

الكَتْرُ عَدَاوَةُ الدِّينِ كَفَافِي

رَكَايَةُ غُفْوِ الطِّفْلِ



دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان



رعاية نتموا الطفل

سلسلة
الثقافة النفسية

(١)

رعايتهم والطفلكم

تأليف

الأستاذ الدكتور عبد الله الدين كفاقي

أستاذ ورئيس قسم الإرشاد النفسي

معهد الدراسات والبحوث التربوية — جامعة القاهرة

الكتاب : رعاية نمو الطفل

المؤلف : علاء الدين كلفى

تاريخ النشر : ١٩٩٨م

حقوق الطبع والترجمة والاقتباس محفوظة

الناشر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

مبعضه غريب

شركة مساهمة معربية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ت ، ف : ٢٤٧٤٠٣٨

المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان

والمطابع المنطقة الصناعية (C1)

ت : ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

التوزيع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص.ب : ١٢٢ الفجالة

رقم الإيداع : ٩٨/٤٤٣١

I S B N : الترميم الدولى :

977 - 303 - 018 - 0

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾

صدق الله العظيم

(الروم - ٥٤)

إهداء

إلى أطفال مصر

أملها في غد مشرق كريم

المحتويات

الموضوع	ص
الباب الأول	١٧
الطفولة	
الفصل الأول	١٩
النمو العضوى فى الطفولة	
— مقدمة	١٩
— النمو الجسمى فى سنتى المهد	٢٩
— النمو الحركى فى سنتى المهد	٢١
— النمو الحسى فى سنتى المهد	٢٢
— النمو الحس حركى فى الطفولة المبكرة	٢٣
— النمو الجسمى فى الطفولة المتأخرة	٢٤
— النمو الحس حركى فى الطفولة المتأخرة	٢٦
— رعاية النمو العضوى فى الطفولة	٢٧
الفصل الثانى	٣٣
النمو المعرفى فى الطفولة	
النمو العقلى	
— بدايات النمو العقلى	٣٣
— معالم النمو العقلى فى الطفولة المبكرة	٣٣
— مظاهر النمو العقلى فى الطفولة المتأخرة	٣٥
النمو اللغوى	٤٣
— مراحل النمو اللغوى فى سنتى المهد	٤٤
— عوامل تؤثر فى النمو اللغوى	٤٧

٤٨	النمو اللغوى فى الطفولة المبكرة
٤٩	النمو اللغوى فى الطفولة المتأخرة
٥٠	رعاية النمو المعرفى فى الطفولة
٥٥		الفصل الثالث

النمو الانفعالى فى الطفولة

٥٥	النمو الانفعالى فى سنتى المهد
٥٨	النمو الانفعالى فى الطفولة المبكرة
٦٠	النمو الانفعالى فى الطفولة المتأخرة
٦٢	بعض/مشكلات النمو عند الأطفال
٧٦	أسس عامة تراعى عند علاج مشكلات النمو عند الأطفال
٧٩		الفصل الرابع

النمو الاجتماعى والخلقى فى الطفولة

٧٩	النمو الاجتماعى فى سنتى المهد
٨٠	النمو الاجتماعى فى مرحلة الطفولة المبكرة
٨٣	النمو الاجتماعى فى مرحلة الطفولة المتأخرة
٨٨	النمو الخلقى عند الأطفال
٨٩	الشعور الدينى عند الأطفال
٩٠	رعاية النمو الاجتماعى والخلقى فى الطفولة
٩٤	التربية الجنسية فى الطفولة

الباب الثانى

المراهقة

١٠١	مقدمة فى معنى المراهقة
-----	-------	------------------------

١٠٧

الفصل الخامس

النمو العضوى فى المراهقة

- ١١٠ - البلوغ الجنسى
- ١١١ - النمو الجسمى فى المراهقة
- ١١٢ - الذات الجسمية فى المراهقة
- ١١٥ - النمر الجنسى فى المراهقة
- ١١٨ - رعاية النمو الجسمى فى المراهقة

١٢١

الفصل السادس

النمو العقلى فى المراهقة

- ١٢٢ - مميزات النمو العقلى فى المراهقة
- ١٢٤ - العمليات العقلية العليا فى المراهقة
- ١٢٥ - القدرات الطائفية فى المراهقة
- ١٢٦ - الميول فى المراهقة
- ١٢٧ - رعاية النمو العقلى فى المراهقة

١٣٣

الفصل السابع

النمو الانفعالى فى المراهقة

- ١٣٤ - مظاهر النمو الانفعالى فى المراهقة
- ١٣٦ - عوامل عدم الثبات الانفعالى فى المراهقة
- ١٣٧ - خصائص الحياة الانفعالية فى المراهقة
- ١٣٩ - تطور عاطفة الحب
- ١٤٠ - مشاكل النمو الانفعالى فى المراهقة
- ١٤٢ - أنماط المراهق المصرى
- ١٤٣ - رعاية النمو الانفعالى فى المراهقة

١٤٥

الفصل الثامن

النمو الاجتماعى والخلقى والدينى فى المراهقة

- ١٤٥ - مظاهر النمو الاجتماعى فى المراهقة
- ١٤٨ - تطور السلوك الاجتماعى فى المراهقة
- ١٥٠ - العوامل التى تؤثر فى النمو الاجتماعى فى المراهقة
- ١٥٥ من الوجهة الاجتماعية
- ١٥٧
- ١٥٩
- ١٦٠

تصدير

تعتبر الثقافة النفسية هامة وضرورية خاصة ونحن على مشارف القرن الحادى والعشرين. وإذا كان هناك اهتمام من خلال وسائل الإعلام بالثقافة السياسية والثقافة الاقتصادية وغير ذلك مما يساعد البشر على فهم ومعالجة أمور الحياة، فإن الثقافة النفسية لابد أن تأتى فى المقدمة. فمعرفة الإنسان لنفسه وفهمه للآخرين ووعيه بنمو الطفل وتطوره ورعايته تدعو إلى تحقيق السعادة والسواء بالنسبة للفرد وبالنسبة للمجتمع.

وقد تبنت الجمعية المصرية لعلم نفس الطفل قضية إصدار سلسلة من المؤلفات تحت مسمى " فى الثقافة النفسية ". تتناول حياة الطفل ونموه والعلاقات الأسرية والانحراف عن السواء وتعلم مفاهيم العلوم والرياضيات فى الطفولة المبكرة وكيفية الوصول إلى مستوى الاتزان النفسى الذى يحقق التكامل والصحة النفسية.

وتتولى دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع مشكورة طباعة ونشر هذه السلسلة إيماناً منها بالدور الذى يجب أن تلعبه دور النشر فى إثراء الفكر والمعرفة. والكتاب الحالى عن رعاية نمو الطفل هو باكورة هذه السلسلة فى الثقافة النفسية.

د. كاميليا عبد الفتاح

رئيسة الجمعية المصرية لعلم نفس الطفل

القاهرة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين وبعد ،،،

قارئ العزيز

ليس لدينا فى حياتنا أعز من أولادنا، ونحن مدفوعين إلى رعايتهم بحكم العاطفة التى تتكون لهم فى قلوبنا، ونحن نشبع من خلال هذه الرعاية دوافع الأبوة والأمومة لدينا. هذا من الناحية النفسية العاطفية، أما من الناحية العملية البرجماتية فإننا نرعاهم لأنهم صانعو المستقبل وعدته. ونحن بهذه الرعاية نعمل على تقدم الحياة وتتميتها وترقيتها. والفرع من علم النفس الذى يدرس نمو الطفل وارتقائه هو علم النفس النمائى أو الارتقائى، وهو العلم الذى يرصد ويحلل أثر الزمن على الظاهرة السلوكية، أو بمعنى آخر العلم الذى يدرس أثر سنوات العمر على الإنسان منذ بداية تكوينه كبويضة مخصبة وإلى أن تنتهى حياته. وبذلك فإن المادة التى يقدمها هذا العلم هامة ومفيدة للعديد من المهنيين الذين يتعاملون - من خلال مهنتهم - مع الأطفال، كما فى مهن التعليم والخدمة النفسية والخدمة الاجتماعية والطب والتمريض. كما أن المعلومات التى يقدمها هذا العلم مفيدة لنا جميعاً كى نمارس أبوتنا وأمومتنا على أساس صحيح متجنبين أخطاء التربية التى يمكن أن تحدث بنقص المعرفة فى معظم الحالات، وإن كانت تحدث بحسن نية فى كل الحالات فى الإطار السوى .

قارئ العزيز

لقد أدركت القيادة السياسية فى مصر أهمية مرحلة الطفولة فخصصت عقد التسعينيات من هذا القرن عقداً للطفل المصرى لتحشد فيه كل الجهود وتسخر فيه كل الإمكانيات بهدف تحقيق الشروط والأوضاع التى تكفل أفضل تنشئة لهذا الطفل. وقد انتهزت "الجمعية المصرية لعلم نفس الطفل" هذه المناسبة واتفقت - ضمن خطة نشاطها هذا العام - مع دار قباء لنشر سلسلة "فى الثقافة النفسية" التى تدور مطبوعاتها حول موضوعات ترتبط بالطفل وكيفية رعاية نموه المتكامل وتحقيق صحته النفسية.

وهذا الكتاب الذى بين يديك — قارئى العزيز — هو باكورة هذه السلسلة ويقدم خلاصة مركزة ومبسطة للتغيرات النمائية التى تحدث للطفل فى كل جوار شخصيته منذ ميلاده وحتى بلوغه سن الثامنة عشرة حسب ما انتهى إليه قاء الطفل المصرى الذى صدر أخيراً، وأقر بأن مرحلة الطفولة تنتهى بنهاية الا الثامن عشر. وقد وضع المشرع المصرى هذا القانون تمشياً مع توجهات منذ الصحة العالمية وما تأخذ به الدول المتقدمة التى تعرف لمرحلة الطفولة فيه وأهميتها وتوفر لها أرقى الخدمات وأشملها. كما يقدم الكتاب أيضاً الخط الأساسية والتوجيهات العملية والتطبيقية التى تكفل رعاية نمو الطفل رعاية شا من حيث أن الكتاب موجه بالدرجة الأولى إلى الآباء والمعلمين ليساعدهم : تخير أفضل الأساليب فى التنشئة والتعامل مع الطفل، وتوفير أفضل مناخ لتت قدراته واستعداداته فى المنزل أو فى المدرسة.

والله من وراء القصد . إنه نعم المولى ونعم النصير

علاء الدين كفافى

نائب رئيس الجمعية المصرية لعلم نفس الطفل

الباب الأول

الطفولة

الفصل الأول

النمو العضوى فى الطفولة

مقدمة :

ميلاد الطفل لا يمثل بداية وجوده ونموه، ولكن ميلاد الطفل يأتى به إلى بيئة مختلفة تمام الاختلاف عن البيئة التى كان يعيش فيها. وإذا كانت بيئة الرحم ثابتة نسبيا ومهياة لمعيشته ونموه، فإن البيئة الجديدة ليست كذلك، بل تحتاج تهيئتها له إلى مجهود من الآباء. كذلك كان الطفل فى مرحلته الجنينية يعتمد اعتمادا كاملا على أمه فى غذائه وتنفسه والتخلص من فضلاته. أما بعد الميلاد فإنه يشارك فى القيام بهذه المهام، ولم يعد ذلك المخلوق الطفيلى بصورة كاملة كما كان من قبل.

وما أن يولد الطفل فإن عليه أن يواجه ظروف البيئة الجديدة، فعليه أن يقوم ببعض العمليات الضرورية كالتنفس والهضم والإفراز والنوم، وأن ينسق بين هذه العمليات. ويستغرق الطفل الأسبوعين الأولين حتى يقوم بهذه الأعمال بنجاح. ويعتبر بعض العلماء أن هذين الأسبوعين مرحلة قائمة بذاتها. كما يعتبرها البعض الآخر امتدادا لحياته الجنينية وإن كانت بشكل آخر.

وسنعالج فى هذا الفصل مظاهر النمو العضوى فى الطفولة: من نمو جسمى ونمو حسى، ونمو حركى، وما يحدث فيها من توافق حس حركى.

أولا : النمو الجسمى فى سنتى المهد

أ - الوزن :

يغطى جسم الطفل عند ولادته طبقة شمعية تزول بعد ساعات عن طريق امتصاص الجلد لها. ويزن الطفل الطبيعى حوالى ثلاثة كيلو جرامات. وقد يزيد عن ذلك، وقد ينقص، وبصفة عامة، فإن الوزن إن قل عن كيلو جرامين احتاج الطفل إلى رعاية خاصة، وقد تكون فرصته فى مواصلة الحياة ضئيلة ويلاحظ أن بعض الأطفال يزن عند الولادة أربعة كيلو جرامات ونصف. وتقل الأنثى عن الذكر ببضعة جرامات. وينمو الوليد بسرعة حتى يتضاعف وزنه عند نهاية الشهر

الرابع، كما يصل ثلاثة أمثال وزنه فى نهاية العام الأول، أى تسه
ويصل فى نهاية العام الثانى إلى أربعة أضعاف وزنه أى اثنا عش

ب - الطول:

يبلغ طول الطفل حديث الولادة ٥٠ سم، ثم يزيد بمعدل ٢
السنة الأولى، فيصل طوله إلى حوالى ٧٤ سم فى نهاية العام الأو
النمو فى السنة الثانية بحيث يزيد فى هذه السنة ١٠ سم فقط، فيكو
العام الثانى حوالى ٨٤ سم.

ج - التسنين:

توجد بذرة الأسنان منذ الشهر الثالث من شهور الحمل، وت
معظم الأطفال فى الشهر السابع من ميلادهم. وتكون السنّة
الأسنان الأمامية السفلى. وتبكر الأسنان عند بعض الأطفال ،
الخامس كما قد يتأخر ظهورها إلى الشهر الثامن. وظهور الأسنان
الصحية، ولذا لا يكون من حسن حظ الطفل، إذا واجهته هذه الأز
أى قبل الشهر السابع. ويصل مجموع الأسنان للطفل فى نهاي
أسنان. ويأخذ عدد الأسنان فى الازدياد، وتظهر الأنياب قرب
الذى ينتهى ولدى الطفل ١٦ سنّة تقريباً.

د - النوم :

الطفل حديث الولادة يقضى ما يقرب من ٨٠% من وقته
فرصة طيبة لتنمو خلايا جسمه دون استنفاد للطاقة التى يفقدها وه
الساعات العشرين فى التناقص مع نمو الطفل. ويبدأ التناقص ف
وتبقى ساعات الليل كما هى. كما يقل النوم المتقطع ليلا ويكاد يفت
النهار. ويتأثر نوم الطفل إلى حد كبير بعادات الأسرة ونظامه
الطفل إلى نهاية عامه الثانى تبلغ ساعات نومه خمس عشرة هـ
حالت بعض الظروف بين الطفل وبين أن ينام ساعات نومه المظلم
الطفل ويؤثر على سلوكه تأثيراً واضحاً.

ثانياً: النمو الحركى فى سنتى المهد

تظهر فى النمو الحركى المبادئ والمميزات العامة للنمو النفسى أوضح ما تظهر فى أى جانب آخر من جوانب النمو كما سنرى. ويحتل النمو الحركى مركزاً هاماً بين ظواهر النمو النفسى لما له من أثر على بقية الجوانب الأخرى. وأهم مظاهر النمو الحركى فى هذه المرحلة هو المشى الذى يكسب الطفل الاستقلال المكانى عن أمه ويجعله أكثر تحرراً، ويعطيه الفرصة للتجول واستكشاف كنه البيئة التى يعيش فيها.

يتحرك الطفل منذ أن يولد، ولكن حركته عشوائية، وفى كل اتجاه، ولا يكون لها هدفاً محدداً، ولكن مع النمو تبدأ هذه الحركات فى التكامل حتى تصل إلى هدف النمو الحركى وهو التحكم فى العضلات المختلفة فى انقباضها وانبساطها وتوافقها حتى يستطيع أن يؤدى العمل الذى يريده، أو ليكتسب المهارة التى يسعى إلى إتقانها. والملاحم الرئيسية للنمو الحركى يمكن إيرادها فى الخطوات الآتية، مع ملاحظة أن قوانين ومبادئ النمو ومستويات النمو الحركى تتمثل فى هذه الخطوات:

١ - الوضع المعتاد للطفل فى الشهور الثلاثة الأولى هو وضع الاستلقاء على الظهر مع حركة مستمرة لليدين والقدمين وقت اليقظة. وتكون هذه الحركات عشوائية، وحسب المثيرات التى يتعرض لها الطفل. ويكون لهذه الحركات هدف التسلية. وقد يحاول الطفل أن يأخذ وضع الرقاد على أحد جنبيه، وقد ينقلب على وجهه أثناء هذه المحاولات.

٢ - عندما يبلغ الطفل الشهر الرابع يكون فى استطاعته أن يتحكم فى عضلات رقبته بحيث يحتفظ برأسه منتصباً، وليست ملقاة على كتفه أو كتف من يحميه، وهذه المهارة يستطيعها معظم الأطفال فى الشهر الثالث. وعندما يكتمل الشهر الرابع تقوى عضلات ظهره بحيث يكون فى إمكان الطفل أن يتخذ وضع الجلوس. ويظل جالساً فترة إذا أحيط بما يسند، ويمكن أن يحرك يديه ورجليه بحرية فى هذا الوضع.

٣ - عندما يصل الطفل الشهر السابع يستطيع أن يجلس بمفرده بدون مساعدة من أحد، بل ويمد يده ليلتقط مكعباً بجواره ولا يخلل توازنه إلا نادراً.

٤ - فى نهاية الشهر التاسع يمكنه أن يتخذ وضعاً يكون له دور هام فى تطوره الحركى، ألا وهو وضع الحبو، حيث يسير الطفل على أربع. ولكنه ليس من

الضرورى أن يمر كل طفل بمرحلة الحبو هذه. ويلاحظ أن الأطفـ
يحبون فترة من الزمن تكون سيطرتهم على مهارة المشى أسرع من
الذين يتعلمون الوقوف والمشى مباشرة دون المرور
الحبو هذه.

٥ - وفى نهاية السنة الأولى يستطيع الطفل أن يقف بمساعدة أحد الكبار و
يخطو بعض الخطوات إذا كان ممسكاً بأحد المناضد، كما يمكنه
السن تقريباً أن يتسلق درجات سلم غير عالية ومتسعة.

٦ - فى بداية العام الثانى وعند بلوغه الشهر الثالث عشر أو الرابع عشر
الطفل أن يقف بمفرده ويحاول أن يخطو خطواته الأولى.

٧ - يتمكن معظم الأطفال من تعلم المشى عند بلوغ الشهر الثالث من العا

٨ - هناك فروق فردية كبيرة فى هذه الناحية - فهناك من الأطفال من
على مهارة المشى بإكمال العام الأول، كما أن البعض يتأخر إلى
العام الثانى، وقد لا يرجع هذا التأخر إلى أسباب عضوية ظاهرة،
هذا البعض المتأخر من الأطفال يستطيع فى غضون أسبوع أو أسبوعين
يجيد المشى وأن يلحق برفقائه ممن تعلموا المشى قبله بشهور، و
لتغذية الطفل ولتدريبه على المشى دخل فى تحديد الموعد الذى
الطفل المشى.

ثالثاً: النمو الحسى فى سنتى المهد

(أ) البصر :

تنضج العين تشريحياً فى منتصف فترة الحمل تقريباً، وتكون جاهـ
منذ الولادة، ولكن على نحو بدائى جداً. حيث لا تكون حركة حدقتى
متفتحتان، ولكن هذه الظاهرة تنتهى بعد أسبوع أو أسبوعين. وتستجيب العين
الحدقة إذا وجه إليها ضوء. ومع ارتفاعه درجة فى سلم النمو يستطيع الوليد
نقطة ضوء متحركة بتحريك حدقة العينين فقط بعد أن كان يحرك رأـ
ولكن المدى البصرى لا يزال قصيراً نظراً لأن نضج الشبكية لا يتـ
منتصف العام الأول. وبداية من الشهر السابع تتحسن رؤية الطفل، و
ينسّق بين الحس والحركة، أى أنه عندما يرى شيئاً يمد يده إليه ليمسكه. و
يحقق التناسق الحس حركى، وهذا التناسق هو بدايات النمو العقلى.

ب (السمع :

يولد الطفل وأذنيه تكاد تكون عاطلة عن العمل، الأرجح أن السبب في ذلك هو وجود مواد مخاطية تملأ الأذن الوسطى، ولكنها تزول بعد فترة. والطفل يستجيب للأصوات العالية المفاجئة بحركة انتفاضية من جسمه. كما أنه يستجيب للأصوات الموسيقية والمنغمة بخلق عينيه. وقد أثبتت البحوث الحديثة أن الطفل لديه في هذه السن المبكرة القدرة على التمييز بين النغمات.

ج (اللمس والشم والذوق:

وهي ما تسمى بالحواس الدنيا، وتكون جاهزة للعمل مباشرة بمجرد ميلاد الطفل. فالطفل منذ البداية يستطيع أن يميز بين الروائح الطيبة والروائح الكريهة، ويعبر عن ذلك بالانفراج أو بالتقلصات في عضلات وجهه . أما اللمس فإن الطفل يستطيع عن طريق حساسية جلده أن يحس بالسخونة والبرودة والضغط وبالنسبة للذوق فإن الطفل يميز بين الطعوم المختلفة، خاصة الحلو والمالح ويظهر ذلك على تعبيرات وجهه أيضاً. أما الحساسية للألم فإنها تنمو سريعاً منذ الأيام الأولى لمولد الطفل، وإن كانت تبدو منعدمة في هذه الأيام الأولى، ولذا تعتمد الأمهات إلى تقب صرصور أذن الطفلة دون أن يسبب ذلك لها ألماً.

رابعاً: النمو الحس حركى

فى الطفولة المبكرة (٣ - ٦)

يبلغ طول الطفل فى أول العام الثالث حوالى ٨٥ سم، كما يبلغ اثنا عشر كيلو جراماً فى الوزن. ويكون معدل النمو فى الجزء الأسفل من الجسم أعلى من معدل النمو فى الجزء الأعلى منه. فيزداد طول الرجلين بينما لا يزيد قطر الرأس الطولى كثيراً. أما من الناحية الحسية فإن حواس الطفل تعمل بصورة طبيعية فى الفترة السابقة كما رأينا. أما حاستى البصر والسمع فإن نموها يستمر طوال هذه المرحلة حتى يكتمل فسيولوجيا ووظيفيا فى بداية المرحلة التالية من النمو، أى فى سن السابعة أو الثامنة ومن الناحية الحركية نجد أن الطفل يسيطر سيطرة كاملة على مهارة المشى، ونراه فى الثالثة يسرع فى خطاه فرحاً بقدرته على السير بسرعة بل إنه يجرى إذا كان يلعب مع أحد أصحابه أو يجرى وراء كرة مثلاً، ويستطيع فى الرابعة أن يقفز ويتسلق. ويكون لدى الطفل طاقة كبيرة بصرفها فى الجرى والقفز، وقد يضيق الكبار بالضوضاء التى يحدثها. مع ملاحظة أن كل هذه

الحركات من النوع الذى يستخدم العضلات الكبيرة فى الجسم مثل عضلات الكتفين والفتخين والساقين، أما الحركات التى تستخدم العضلات الدقيقة، مثل أشغال الإبرة التى تستخدم عضلات أصابع اليد، ومثل قص الأوراق واللعب بالصلصال فإن الطفل لا يجد فيها متعة كبيرة. وإذا بدأ نشاطاً من هذا النوع فسرعان ما ينصرف عنه.

خامساً: النمو الجسمى فى الطفولة المتأخرة (٦ - ١٢)

يمكن أن نحدد أهم ملامح النمو الجسمى فيما يأتى:

- ١ - هذه المرحلة مرحلة نمو بطئ فى الناحية الجسمية يقابلها نمو سريع فى بقية الجوانب الأخرى. ويظهر بطء معدل النمو الجسمى فى هذه المرحلة إذا قورن بالمرحلتين السابقتين (مرحلة سنتا المهد ومرحلة الطفولة المبكرة ٣ - ٥) ويبدو ذلك واضحاً فى الجدول الآتى:

العمر بالسنوات	نسبة النمو
٢	يحقق الطفل ٢٥% من النمو العام
٤	يحقق الطفل ٤٠% من النمو العام
٦	يحقق الطفل ٤٢% من النمو العام
٨	يحقق الطفل ٤٥% من النمو العام
١٠	يحقق الطفل ٥٠% من النمو العام
١٢	يحقق الطفل ٥٨% من النمو العام

نسبة النمو فى الأعمار المختلفة

وبقراءة الجدول يتضح أن الطفل فى السنوات الأربع الأولى يحقق ٤٠% من نموه العام، بينما لا يحقق إلا ١٦% من نموه فى مرحلة الست سنوات من سن السادسة حتى سن الثانية عشرة. ونلاحظ انخفاض معدل الزيادة كلما اتجهنا إلى نهاية المرحلة باستثناء سن الثامنة التى يحدث عندها ذنب طفيفة. ومعظم التغيرات الجسمية التى تحدث فى هذه المرحلة هى تغيرات تتعلق بنسب أجزاء الجسم أكثر

ما تتعلق بحجم الجسم ككل. ويحدث النمو فى النصف الأسفل من الجسم بصورة أكبر مما يحدث فى النصف الأعلى منه.

٢ - أما بالنسبة لنمو الطول فإنه يزيد بنسبة ٥% فى السنة بينما يزيد الوزن بنسبة ١٠% وتستمر هذه النسب إلى نهاية المرحلة تقريباً، إلى أن يحدث البلوغ فترتفع النسبة ارتفاعاً عالياً وفى الجدول الآتى معايير الطول والوزن المصرية كما انتهت إليها إدارة الصحة المدرسية بوزارة التربية والتعليم لكل من البنين والبنات:

السن	الجنس	الطول (سم)	الوزن (كجم)
٦	بنون	١١٠,٧	١٩,٣
	بنات	١٠٩,٨	١٨,٨
٧	بنون	١١٧,٥	٢١,٦
	بنات	١١٥,٦	٢٠,٨
٨	بنون	١٢٢,٨	٢٤,١
	بنات	١٢٢,٦	٢٤,٧
٩	بنون	١٢٩,٩	٢٥,٧
	بنات	١٢٦,٤	٢٥,٨
١٠	بنون	١٣٩,٣	٢٧,٤
	بنات	١٣٠,٧	٢٧,٨
١١	بنون	١٣٥,١	٢٩,٧
	بنات	١٣٥,٦	٣٠,٦
١٢	بنون	١٣٩,٥	٣٢,٠٠
	بنات	١٤١,٥	٣٤,١

ويظهر من دراسة هذا الجدول أن البنين يزدون زيادة طفيفة فى الطول عن البنات حتى سن العاشرة ثم يحدث العكس، فيزيد طول البنات فى العامين الأخيرين فى هذه المرحلة. وبالنسبة للوزن فإن البنين أيضاً يكونون أثقل وزناً بفارق بسيط ثم تنقلب الآية فى العام الثامن ليزيد وزن البنات على وزن البنين. وتستمر الزيادة فى الطول والوزن لصالح البنات إلى نهاية المرحلة. وتغلب البنات على البنين فى

الطول والوزن يتمشى مع التغيرات الأساسية للنمو عند كلاً من الجنسين، حيث يحدث البلوغ عند البنات قبل أن يحدث عند البنين بعام كامل على الأقل.

٣ - تتمثل الزيادة فى الوزن عند البنين بالدرجة الأولى فى بناء النسيج العضلى، بينما تتمثل هذه الزيادة عند البنات فى الدهن الجسمى.

٤ - تتساقط الأسنان اللبنية ويظهر بدلاً منها الأسنان الدائمة وتظهر الأنياب الأربعة فى سن السادسة وهى أنياب مؤقتة يحل محلها أنياب أخرى فى نهاية المرحلة. ويتوالى ظهور القواطع والأضراس إلى أن يكتمل نمو الأسنان.

سادساً: النمو الحسى والحركى فى الطفولة المتأخرة

١ - تنمو حاسة اللمس نمواً كبيراً، حتى أن الطفل فى هذه المرحلة يتفوق على الراشد الكبير فى هذه الناحية. وهى عند البنات أقوى منها عند البنين.

٢ - لا يكون سمع الطفل قد وصل إلى غاية نضجه فى أول المرحلة، رغم النمو المستمر لقدرة الأذن على التمييز بين الأصوات. ولكن الطفل يتذوق الموسيقى ويضطرب للألحان التى يسمعها. وتصل الأذن فى السابعة إلى درجة كبيرة من النضج تسمح للطفل بأن يميز بين نغمات السلم الموسيقى.

٣ - كذلك يتأخر نضج حاسة الإبصار مثل حاسة السمع. حيث يكون حوالى ٨٠٪ من الأطفال قبل سن السابعة مصابون بطول النظر يقابلهم حوالى ٢٪ أو ٣٪ مصابون بقصر النظر. ولكن طول النظر هذا يزول تلقائياً مع النمو، فى الوقت الذى تزيد فيه نسبة قصر النظر، ولكنه يزول أيضاً وتصل العين كحاسة إبصار إلى غاية نضجها فى هذه المرحلة.

٤ - أما بالنسبة للحاسة العضلية - وهى حاسة التمييز بين الأوزان بالاعتماد على العضلات - فإنها تنمو نمواً كبيراً فيما بين سن السابعة وسن الحادية عشرة. وإن كان المعروف أن الطفل يميل إلى استخدام العضلات الكبيرة فى جسمه أولاً، كعضلات الساقين والذراعين، بينما يتأخر نمو العضلات الدقيقة مثل عضلات الأنامل، وبالتالي تتأخر قدرة الطفل على القيام بالأعمال التى تتطلب استخدام هذه العضلات. ولكنه فى النصف الثانى من هذه المرحلة يبدأ الطفل

فى استخدام العضلات الدقيقة - بعد نضجها - بلذة وشغف. وتميل البنات إلى القيام بالأعمال المعتمدة على العضلات الدقيقة أكثر من الأولاد كأشغال الإبرة والتريكو وقص الورق.

٥ - تظهر بوضوح الفروق بين الجنسين فى الناحية الحركية فى لعب كل من البنين والبنات فى هذه المرحلة. فالعاب البنين تتصف بالخشونة وتتسم بالتعبير العضلى مثل كرة القدم "وعسكر وحرامية" واستغماية". أما ألعاب البنات فتتسم بالدقة والتناسق فى الحركات والتوافق الحركى مثل الرقص الإيقاعى و "نط الحبل" والحجلة".

٦ - لا يمكن أن نترك الحديث عن النمو الحركى فى هذه المرحلة قبل أن نشير إلى حالة خاصة فى هذه الناحية وهى حالة الطفل الأعسر أو (الأشول) الذى يفضل استخدام يده اليسرى أكثر من يده اليمنى. نلاحظ أن الأغلبية تستخدم اليد اليمنى فى الكتابة والتحية والأكل، ولكن هناك أقلية تستخدم اليد اليسرى وقد يزج هذا الاختلاف بعض الآباء أو المعلمين ومن ثم نجدهم يحاولون بشتى الطرق تحويل الطفل عن استخدام يده اليسرى إلى استخدام اليد اليمنى. ومهما كان الأمر فإن ما يهمنا هو أن حالة الطفل الأعسر لا تستحق الانزعاج، ولا يجب أن ينظر إليها باعتبارها ظاهرة شاذة. ويجب ألا نقسر الطفل أو نجبره بالقوة على استخدام اليد اليمنى، إذا لم يستطع استخدامها بسهولة ويسر، لأن هذا القسر لن يفلح غالباً فى تحقيق هذا التحول، كما أنه سيسبب للطفل اضطرابات سيكولوجية تظهر على صورة التهمة والخوف والانطواء.

سابعاً: رعاية النمو العضوى فى الطفولة

أ - فى سنتى المهد :

١ / أ فيما يتعلق بالنمو الجسمى :

١ / ١ - يجب تنظيم أوقات رضاعة الطفل بحيث تكون فى الشهور الثلاثة أو الأربع الأولى كل ٣ ساعات. ويمكن أن تكون كل ٤ ساعات بعد ذلك. وتنظيم الرضاعة ينظم عملية الهضم، ويعود أجهزة الهضم أن تعمل بانتظام، وتجنبه المغص والمتاعب المعوية. ولكن ليس معنى ذلك أن تلتزم الأم حرفياً بالفترة التى بين الرضعات:

فلا يجب مثلاً أن توقظ الطفل إذا حانت ساعة رضاعته، كما لا يجب أن تترك الطفل يبكى جوعاً لأن موعد رضاعته لم يحن بعد، كما يجب ألا تنسى الأم - خاصة في الشهور الثلاثة الأولى - أن تعطى للوليد فرصة إخراج الهواء من بطنه "بالتكرير" عن طريق حمله في الوضع الرأسى مع الربت على ظهره.

١ / ١ / ٢ - فى هذه الفترة يتعلم الطفل أن يتحكم فى عمليتي التبول والتبرز وهما عمليتان على جانب عظيم من الأهمية من الناحية النفسية للطفل لأنها تؤثر على نظرة الكبار نحو الطفل. ففى حالة تأخره فى تعلم هاتين العادتين ينال الطفل معاملة سيئة تنعكس على فكرته عن نفسه. ويرتبط تعلم الطفل لهذه العادات بالحالة الصحية والجسمية عند الطفل. فقدرة الطفل على التحكم فى التبول تعتمد على درجة سلامة جهازه البولى، وقدرته على التحكم فى عملية التبرز تعتمد على قوة عضلاته الهاصرة فى فتحة الشرج. ومما يزيد من دقة الموقف وتعقيده أن الأمر يتعلق بالحالة الانفعالية عند الطفل. فكم من طفل سليم البنية وقد تعلم بالفعل ضبط مثانته ثم نجده يتبول على نفسه ليلاً، وأحياناً نهاراً، عندما يواجه بعض المواقف الضاغطة أقوى من إمكانياته وقدراته. كل هذا يجعلنا نوصى الآباء بأن يكونوا على جانب كبير من الحكمة والصبر فى تعليم الطفل هذه العادات. وبصفة عامة فإن التبكير الشديد فى التعليم ضار كما أن الشدة والقسوة مع الطفل فى حالة الفشل ضارة أيضاً. وعلى الأم أن تعود طفلها منذ الشهر الرابع أن يجلس على "القصرية" بعد الرضاعة حتى ولو لم يتبول فيها لأن ذلك سيعلمه أن يربط بين الرضاعة من ناحية وعمليتي التبول والتبرز من ناحية أخرى، وينظم أوقات التخلص من الفضلات مع أوقات الرضاعة، على ألا تنتظر الأم أن يتقن الطفل هذه العادات قبل العام الأول. ومالم يكن هناك عيوب جسمية أو عوامل نفسية تعوق تعلم الطفل، فإنه يتعلم هذه العادات فى سنتى مهده.

١ / ١ / ٣ - يجب توفير الجو المناسب لنوم الطفل من ناحية الهدوء والإظلام، حيث أن ساعات النوم هامة جداً للطفل لسلامة صحته الجسمية وصحته العصبية. ويجب أن يجد الطفل ما يساعده على النوم المريح الهادئ عندما يريد أن ينام .

أ / ١ / ٤ - تحدث عملية على جانب كبير من الأهمية فى هذه المرحلة، ألا وهى الفطام والفظام عملية هامة لأنها من علامات نضج الطفل، واعتماده على نفسه نسبياً، وبالتالي انفصاله عن أمه. فبقدر ما يحدث الاعتماد على النفس يكون الانفصال عن الأم والاستقلال بالذات عن الآخرين. ويرى أصحاب مدرسة التحليل النفسى أن سلوك الوالدين مع الطفل إزاء موقف الفطام وموقف ضبط التبول وضبط التبرز يشكل أهم العوامل المؤثرة فى تكوين شخصية الفرد فيما بعد. ونحذر الأمهات هنا من التبكير أو التأخير فى عملية الفطام. ونهاية العام الأول وبداية العام الثانى وقت مناسب لعملية الفطام. وأهم من وقت الفطام هو الأسلوب الذى تتبعه الأم فى فطام طفلها. والأسلوب الصحيح هو أن يتم الفطام بالتدريج بمعنى أن على الأم أن تعود طفلها عند بلوغه الشهر الخامس على تناول بعض الوجبات المناسبة له عن طريق المعلقة. على أن - تحل هذه الوجبات بالتدريج محل الرضعات من الثدي، حتى إذا انتهى العام الأول يمكن للأم أن تمنع الثدي عن الطفل دون أن تسبب ازعاجاً له أو توقعه فى الصراع، أما الأسلوب الذى تلجأ إليه كثير من الأمهات بوضع مادة مرة على أنفائهن، أو إبعاد الطفل عند أقاربه، فهو أسلوب غير مناسب حيث يتضمن صدمة نفسية أليمة للطفل. لأن الطفل فى ظل هذا الأسلوب يُمنع من الثدي فجأة وبدون ذنب أو جريمة، والثدى بالنسبة له فى هذه السن هو رمز للغذاء والدفع والحنان والرعاية. وحدثت هذه الخبرة للطفل فى الوقت الذى لم يدرك فيه بعد مغزى ما يحدث ولا يملك المحصول اللغوى ليعبر عن نفسه ترسب فى أعماقه شعوراً بأن الدنيا لا أمان لها، وأنه عليه أن يتوقع السوء من أن لآخر.

أ / ٢ - فيما يخص النمو الحس - حركى:

أ / ٢ / ١ - أهم مظاهر النمو الحركى فى هذه السن هو تعلم الطفل مهارة المشى. والمشى كما بيّنا مهارة معقدة، وهى تتويج لعدد كبير من المهارات الحركية السابقة عليها. وأى تأخير فى إتقان هذه المهارات السالفة يؤخر مشى الطفل.

ومن هنا يجب ألا يتعجل الآباء مشى الطفل. حيث أن الأمر يعتمد
– كما في اكتساب كل العادات – على النضج والتعلم معاً، والنضج
يأتى أولاً. ويكون الطفل مهيناً لتعلم المشى – تقريباً – عند الشهر
العاشر. وعليه فإن التبكير فى تعليم الطفل قد يأتى بنتيجة عكسية.
وعلى الآباء أن ينتظروا سن النضج حتى يبدأوا التدريب.

أ / ٢ / ٢ – تعمل معظم الحواس فى هذه المرحلة. ويجد الطفل لذة فى استخدام
حواسه ولذا فإن الآباء عليهم أن يحيطوا الطفل بكل ما يثير حواسه
للعمل. حتى يمكنه أن يدرّب حواسه وهو يلعب. وأفضل مثل على
ذلك للعب الملونة من البلاستيك والمطاط.

أ / ٢ / ٣ – يجب العناية بنظافة الطفل وأخذه إلى الحمام باستمرار، والتأكد من
أن يديه نظيفة لأنه يضعها فى فمه وعلى عينيه.

ب – فى الطفولة المبكرة:

ب / ١ – العناية بصحة الطفل الجسمية والتأكد من أنه أخذ كل التحصينات ضد
الأمراض المختلفة.

ب / ٢ – عدم خلع الأسنان اللبنية وتركها حتى تسقط وتنمو مكانها الأسنان
الأصلية حتى لا يتشوه الفم.

ب / ٣ – مساعدة الطفل على أن يكون عادات نوم صحيحة بأن نعوّده بقدر
الإمكان على ساعة معينة للنوم، وعلى الذهاب إلى الحمام وعلى تنظيف
أسنانه قبل النوم، وتوفير الهدوء والتهوية الجيدة لمكان النوم. وإذا خاف
الطفل من الظلام يمكن أن تترك الحجرة مضاءة. ومن يخشى من
بعض المخاوف يجب أن ترقد بجانبه أمه بعض الوقت وتضمه إلى
صدرها وتطمئنه وتحكى له بعض القصص المسلية، وسوف يترك ذلك
أثراً طيباً فى نفسه ويسلمه للنوم هادئاً مستريحاً.

ب / ٤ – تنظيم مواعيد أكل الطفل ومحاولة ربطها بنظام الأكل فى الأسرة
فالطفل فى المرحلة السابقة كان يتبع نظاماً خاصاً به، ولكنه فى هذه
المرحلة قد فطم وبدأ يأكل كما يأكل الكبار. ولكن ليس معنى ذلك أن
يبقى الطفل بدون أكل ولو كان جائعاً، إذا كان موعد الأكل لم يحن بع
إنما المقصود أن يتعود تناول الطعام مع الأسرة وأن يعمل حساب ذلك

إذا قدمت له الأم بعض الأكل بين الوجبات، لأن جلوس الطفل مع الأسرة عند الأكل يعلمه كثير من العادات السلوكية والشخصية الهامة.

ويجب أن تعود الأم طفلها على أن يأكل الأطعمة ويدون ضغطه، لأن الضغط أو القسر وإجباره على تناول طعام معين قد يأتي بنتيجة عكسية ويجعله يعاف هذا الطعام، وكلما زادت الأم في ضغطها على الطفل بعد الطفل عن الطعام وكرهه. وحتى لو نجحت الأم في جعل الطفل يتناول بعضه بالإرغام، فإنه يكون قد كره هذا الصنف طوال حياته. وأمام حالات رفض الطفل لبعض الأطعمة يمكن للأم بالتشجيع وتوضيح قيمة الصنف في بناء الجسم الصحيح، وتقديمه له وهو جائع بدون تقديم الأطعمة الأخرى التي يحبها، يمكن أن تتجح في حمل الطفل على تناوله طواعية وتعود تناوله بعد ذلك.

ب / ٥ - التأكد من سلامة حواس الطفل خاصة السمع والبصر - مع ملاحظة أن ٨٠٪ من الأطفال في هذه المرحلة مصابون بطول النظر - فالطفل قد يعاني ضعفا في هاتين الحاستين خاصة البصر دون أن يعرف الآباء هذا الضعف لأنه لم يقف في مواقف تكشف هذا الضعف ويجب اكتشاف أى ضعف أو قصور في وقت مبكر حتى يفيد العلاج لأن كثيراً من الأمراض إذا اكتشفت متأخرة يصعب علاجها .

ب / ٦ - إتاحة الفرصة للطفل لينشط ويلعب ويعبر عن طاقته الجسمية والحركية بحرية. لأن ذلك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالشعور بالراحة والسعادة والهدوء. ولذلك نجد أن الأطفال إذا أعيقت حريتهم في الحركة يبدون أقصى مظاهر الغضب والحنق والعناد. وإذا كانت البيوت لا تسمح للأطفال بالتعبير عن نشاطهم بحرية فإن الفرصة تتوفر في الحدائق العامة والنوادي ودور الحضانة. ومن مسئولية الدولة أن توفر هذه الأماكن. والدول المتقدمة تنشئ الحدائق العامة الخاصة بالأطفال والتي تزود بكل لعب الأطفال مثل المراجيح والزلاقات والأحصنة وغيرها من الأدوات والأجهزة التي تمكن الطفل من ممارسة الألعاب التي يرغبها. وكذلك فإن دور الحضانة تقوم بدور هام في هذا المجال، ويجب العمل على تعميمها بالجهود الحكومية أو الشعبية. ولا نقصد هنا بالحضانة مجرد المكان الذي تضع فيه الأم طفلها فترة غيابها في العمل، وإنما نقصد بالحضانة ذلك المكان الذي يهيئ للطفل فرص تنمية حواسه وإدراكه، وإتاحة وسط اجتماعي ينشط فيه الطفل.

ج - فى الطفولة المتأخرة :

ج / ١ - يجب أن يتاح للطفل فرصة التعبير عن نشاطه الجسمى، خاصة البنين الذين يجدون لذة كبيرة فى ممارسة الألعاب ذات التعبير العضلى العنيف ويشعرون بالضيق الشديد إذا أعيقت حريتهم فى الحركة. فالطفل فى هذه السن طفل متحرك يتعلم وهو يلعب، ولذلك يجب توفير المكان والوقت المناسبين للأطفال لكي يعبرون عن طاقاتهم الجسمية والبدنية والأطفال الذين لا يبدون حماساً ولا مشاركة فى اللعب هم أطفال يعانون تعثراً فى النمو ويستحقون المساعدة. وبالنسبة للبنات فهن يرغبن فى أداء الأعمال الدقيقة كاشغال الإبرة والتريكو، ويجب أن تتاح لهن الفرصة لذلك. علماً بأن مناهج المدرسة الابتدائية تحوى دروساً للتربية الرياضية للتلاميذ من كلا الجنسين كما تحوى دروساً فى التربية الزراعية للبنين وفى التدبير المنزلى للبنات.

ج / ٢ - حاسة اللمس والحاسة العضلية تصلان إلى قمة النضج فى هذه المرحلة. ولذلك يجب أن تكون الوسائل التعليمية فى المدرسة الابتدائية مجسمة بقدر الإمكان حيث يستطيع الطفل أن يلمس هذه الوسائل بجانب رؤيتها ويأخذ عن طريقها فكرة أقرب إلى الدقة والواقع. فالخريطة المجسمة أفضل من الخريطة المسطحة، ونموذج القلب أو العين والذى يمكن أن يفكه الطفل ويتعرف على ما بداخله أفضل من الرسومات المسطحة مهما بلغ إتقانها، حيث أن البعد الثالث يتحقق فى الوسائل المجسمة، وكلما استغلت الوسيلة حواساً أكثر زادت قيمتها التربوية.

ج / ٣ - يتغير بصر الطفل عند سن السابعة بصورة واضحة. ويجب أن يكون الآباء والمعلمين على علم كامل بهذه الناحية حيث أن عدداً كبيراً من الأطفال قبل السابعة يعانون من طول النظر. ويزول بعد ذلك تلقائياً. وهذا يدعو الآباء والمدرسة معاً إلى الكشف سنوياً على قوة إبصار الأطفال الذين يلبسون نظارات طبية من الصغر، حيث أن البصر تكوينياً وداخلياً يتغير ولذلك يجب التأكد من قوة الإبصار دائماً وملائمة النظارة.

ج / ٤ - نؤكد مرة ثانية أنه فى حالة الطفل الأعسر لا يجب أن يضغط الآباء عليه لاستخدام يده اليمنى. وهذا التحذير يقدم أيضاً إلى المعلمين لأن ذلك يرجع إلى أسباب خارجة عن إرادة الطفل. وغالباً ما يتعذر إحداث تغيير فى هذه الناحية، ولن يفلاح الآباء إلا فى بث الخوف والاضطراب فى نفس الطفل ودفعه إلى مزيد من السلوك الشاذ.

الفصل الثانى

النمو المعرفى فى الطفولة

القسم الأول: النمو العقلى

أولاً : بدايات النمو العقلى

يولد الطفل ومعظم حواسه جاهزة للعمل — باستثناء البصر والسمع اللذان يتأجل اكتمال نضجهما، وبالتالي يتأخر أدائهما لوظيفتهما كاملة إلى سن متأخرة. ويلاحظ أن هذه الحواس تعمل كل منها فى استقلال عن الأخرى فى البداية، ولكن مع تقدم الطفل فى مدارج النمو يبدأ نوع من التناسق أو التوافق بين عمل هذه الحواس، بحيث تؤدي كل منها دورها فى خدمة الكائن، وفى تسهيل مهمة تكيفه فى البيئة التى يعيش فيها.

ويستدل علماء النفس من درجة التوافق الحس حركى عند الطفل على درجة نكائه، فإذا أظهر الطفل قدرة طيبة على التوافق دل ذلك على ارتفاع نسبة نكائه. والعكس صحيح فإن من يتأخر لديه هذا التوافق — مالم يرجع إلى ضعف فى الحواس — كان هذا مؤشراً لانخفاض نكائه. مع ملاحظة أن التوافق الحس حركى لا يصل إليه الطفل إلا بعد محاولات عديدة من الصواب والخطأ.

ثانياً: معالم النمو العقلى

فى الطفولة المبكرة

يحدث تطور كبير فى الجانب العقلى للطفل فى هذه المرحلة، فلم يعد النشاط العقلى فى مرحلة الطفولة المبكرة قاصراً على الإدراكات الحسية وما يتبعها من سلوك حركى، وإنما تظهر بعض العمليات العقلية العليا. وسيقتصر حديثنا على مظهرين من مظاهر النمو العقلى فى هذه المرحلة هما: التخيل وإدراك الزمن.

التخيل:

بعد أن كانت العملية العقلية العليا التى يمكن أن نكتيبنها بوضوح عند الطفل فى سنتى مهده هى التذكر نجد أن العملية العقلية العليا التى تسود فى هذه المرحلة هى التخيل. وهناك فرق بين التذكر والتخيل، فالتذكر هو استرجاع خبرة مرت بالفرد، أما فى التخيل فإن الفرد يضيف من عنده إلى الواقع. والتخيل له أساسه الحسى أيضاً. والتخيل فى هذه المرحلة تخيل بصرى بمعنى أنه يعتمد على الصور البصرية. وهذا النوع من التخيل يختلف عن التخيل الذى سيمسود فى المراحل التالية، وهو التخيل المعتمد على الألفاظ وليس على الصور البصرية. وانبثاق قدرة التخيل عند الطفل دلالة على صعوده درجة فى سلم النمو العقلى.

والطفل عندما يتخيل، فإنه يبدأ من الواقع ولكنه يضيف إليه من عنده، فإذا رأى سيارة تصدم شخصا وتلقيه أرضاً فإنه يروى للآخرين أنه رأى سيارة تصدم شخصا فإذا بالشخص يطير فى الهواء ليسقط فوق إحدى الأشجار. وهذه الخاصية - خاصية التخيل تؤثر فى لعب الطفل. ويسمى لعبه فى هذه السن "اللعب الإيهامى"، وهو أن يتخيل نفسه أثناء لعبه قائد طائرة إذا تجول فى حجرته، وإذا وضع بعض المكعبات بعضها فوق بعض فإنه مهندس معمارى كبير. والتخيل هنا تخيل جامع يبدأ من الواقع ولكنه لا يلتزم بأى قيود. وهو تخيل يعكس انطلاق بعض القوى الجسمية والعقلية للطفل ومن ناحية أخرى يعوض عجزه عن أن يفعل ما يفعله الكبار.

إدراك الزمن :

لا يزال هناك قصور فى إدراك البعد الزمنى عند الطفل. فهو لا يدرك تماماً عناصر الزمن المتسلسلة والممثلة فى الماضى والحاضر والمستقبل، ولا يدرك العلاقة بينها. فهو لا يعيش إلا فى حاضره، فالماضى بالنسبة له حوادث مرت وخبرات عاشها وقد يخلط بين ما حدث فيه وما يحدث الآن، كما أن المستقبل لا يعنى له شيئاً، ويترتب على هذا أنه لا يفهم معنى التأجيل والانتظار. فالطفل لديه حاجات يريد إشباعها إشباعاً عاجلاً، فإذا طلب من والده شيئاً وقال الوالد: نعم، سأحضره لك فى الغد، فإن هذه الإجابة عند الطفل تعادل الرفض. فهو لا يقتنع إلا بالحاضر وبما يحدث أمامه. ولا يستطيع أن يتصور شيئاً لا يحدث الآن ولكنه سوف يحدث مستقبلاً.

ثالثاً: مظاهر النمو العقلى فى الطفولة المتأخرة

مقدمة:

توصف مرحلة الطفولة المتأخرة من النمو بأنها المرحلة التى يبطئ فيها النمو الجسمى لحساب جوانب أخرى يسرع فيها النمو. وهذه الجوانب هى الجانب العقلى ونمو الذات والنمو الاجتماعى. ويتضح لنا هذا القول إذا قارنا الطفل فى بداية هذه المرحلة وفى نهايتها. فالطفل الذى كان لا يفهم من أمور بيئته وما يحيط به شيئاً، يعيش منحصرًا داخل نفسه لا يرى إلا رغباته ومطالبة، يريد لها إشباعاً عاجلاً بصرف النظر عن أية ظروف أخرى. هذا الطفل المتسرع المتلهف القلق، نجده فى نهاية المرحلة طفلاً أقرب إلى اليقظة هادئاً متزاناً، يدرك كثيراً مما يدور حوله، يؤجل رغباته، ويمثل لرغبات الكبار، ويقدر ظروفهم ويحرص على رضائهم، ويربط الأسباب بالمسببات، والخلاصة أنه يبدو وكأنه رجل صغير. ونسمع كثير من الآباء يصفون أبنائهم فى هذه المرحلة بأنهم "كبروا وعقلوا" بل إننا نسمع من الآباء تعليقات تعبر عن دهشتهم لطيش أبنائهم المراهقين مقارنين بين هذا السلوك وبين سلوكهم فى المرحلة السابقة وهى مرحلة الطفولة المتأخرة.

مما تقدم يظهر لنا أن الطفل يقطع شوطاً طويلاً فى طريق النمو العقلى طوال هذه المرحلة. وأهم مظاهر النمو العقلى تتمثل فى النمو الكبير الذى يطرأ على العمليات العقلية العليا ونمو الذكاء والتفكير والوصول إلى مرحلة القدرة على تكوين المفاهيم العامة والتعامل بها. وسنعالج النمو العقلى فى هذه المرحلة تحت العناوين الآتية:

- * خواص النمو العقلى
- * العمليات العقلية العليا
- * الذكاء والتفكير
- * أنواع التفكير
- * تكوين المفهوم الكلى

أ (خواص النمو العقلى:

يتميز النمو العقلى فى الطفولة المتأخرة بمجموعة من الخواص والملاح
أهمها: -

١ - يذهب الطفل إلى المدرسة مع بداية هذه المرحلة. ويتعلم القراءة والكتابة والحساب، والقراءة - أهم الأدوات فى اكتساب المعرفة - ويبدأ فى تلقى الدروس، ويمر فى المدرسة بخبرات متنوعة. ويعيش فيها فى بيئة مليئة بالمشيرات. وكل هذه الخبرات وتلك المشيرات تؤثر فى النمو العقلى.

٢ - من علامات الترقى العقلى الذى يقطع الطفل فيه شوطاً طيباً فى هذه المرحلة تمايز القدرات. فبعد أن كانت الحياة العقلية فى المهد تناسقاً بين الحس والحركة وإدراكاً محدوداً معتمداً على هذا التناسق، أضيف إليها فى مرحلة الطفولة المبكرة ذاكرة قصيرة وخيال منطلق وإدراك قاصر لبعد الزمن مع قدرة طيبة على التعبير، نجد أن العمليات العقلية العليا فى الطفولة المتأخرة تتمثل فى الانتباه والتذكر والتخيل والتفكير بمعنى إدراك العلاقات. مع اختلاف كل من التذكر والتخيل فى هذه المرحلة عنه فى المراحل السابقة كما سنرى.

٣ - يستطيع الطفل فى هذه المرحلة أن يفكر تفكيراً مجرداً وإن كان بصورة محدودة. والتفكير المجرد هو التفكير المعتمد على المبركات الكلية أو المفاهيم العامة. ويمكنه أن يدرك بعض المفاهيم مثل العدل والظلم كما يعرف بعض القيم الخلقية كمفاهيم مجردة غير مرتبطة بمواقف خاصة أو بملايسات معينة مثل الأمانة والصدق.

٤ - تظهر الفروق الفردية بشكل واضح فى الناحية العقلية، وهو أمر طبيعى يترتب على نمو القدرات العقلية من ناحية وتمايزها من ناحية أخرى. وتظهر الفروق فى المستوى الرأسى بمعنى تشتت درجات الأفراد على مقياس الذكاء بصورة أكبر، كما تظهر الفروق فى المستوى الأفقى بمعنى تباين الميول والقدرات الخاصة بين الأطفال الذين يحصلون على درجات متساوية فى القدرة العامة. ويظهر نوع آخر من الفروق أيضاً، وهى الفروق بين البنين والبنات فنجد فى أول المرحلة تفوقاً للبنات على البنين، وتنعكس الصورة فى النصف الثانى من المرحلة حيث يتفوق البنين على البنات حتى يقفا متساويين على عتبة المراهقة.

٥ - يتسم الطفل في هذه المرحلة بحبه للاستطلاع والكشف، ويبدو ذلك في سؤاله عن كل شئ يقابله. وهذا الفهم للمعرفة شئ محمود ويجب أن نستغله عند الطفل بل وننميه بتوفير الكتب المصورة والمجلات التي تعرض للموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والنظريات وتطبيقاتها في الحياة بطريقة مبسطة كما يجب أن نجيب على تساؤلات الطفل بما يتفق ونمو مداركه. ولا يجب أن يضيق الوالد أو المعلم بأسئلة الطفل، لأن الانصراف عنه يحرمه من فرصة المعرفة. ويخطئ من ينهر الطفل إذا زادت أسئلته لأن هذا السلوك إذا تكرر من جانب الآباء أو المعلمين يضعف في الطفل حب البحث والرغبة في المعرفة.

٦ - يتسم تفكير الطفل بالإحيائية وهي نسبة الحياة إلى الأشياء والكائنات غير الحية، فنجد الطفلة تتكلم مع عروستها وكأنها كائن حي وليست جمادا، ثم تتناقص هذه الخاصية في تفكير الطفل مع تقدم النمو، ويبدأ الطفل في منتصف هذه المرحلة يأخذ من الحركة الذاتية والنشاط معياراً للفرقة بين الكائنات الحية وغير الحية.

ب (العمليات العقلية العليا :

١ - الانتباه :

الانتباه من أهم العمليات العقلية لأنه يشترك في معظمها، وله دور في كل الوظائف العقلية تقريبا. والانتباه هو أن يحتفظ الفرد بموضوع ما في بؤرة مجاله الإدراكي. وفي الانتباه عادة نميز ناحيتين. الأولى مدى الانتباه والثانية مدة الانتباه. أما مدى الانتباه فنقصد به عدد الموضوعات التي يستطيع الفرد أن يحتفظ بها في بؤرة مجاله الإدراكي في وقت واحد، فإذا كان في إمكان الشخص أن يحتفظ بعدد كبير من الموضوعات نقول إن مدى الانتباه لديه واسع. وإذا كان الشخص لا يستطيع أن يركز انتباهه إلا على عدد قليل من الموضوعات قيل إن مدى الانتباه لديه ضيق. وينمو مدى الانتباه مع النمو العقلي فإذا كان الطفل في أول هذه المرحلة ضيق الانتباه فإن هذا المدى يتسع في نهاية المرحلة. كما نلاحظ بصفة عامة أن الراشد الكبير يستطيع أن يركز انتباهه على عدد كبير من الموضوعات في وقت واحد. فإذا كان طفل السنة الأولى الابتدائية وهو في سن السادسة -

لا يستطيع أن يركز انتباهه إلا على موضوع واحد فإن طالب الجامعة يستطيع مثلاً أن يستمع لمحاضرة، وأن يسجل بعض نقاطها وأن يجهز سؤالاً في ذهنه، وأن يتابع نقطة جديدة قالها المحاضر، كل ذلك في وقت واحد.

والناحية الثانية من الانتباه هي مدة الانتباه، وهي الوقت الذي يستطيع فيه الفرد أن يحتفظ بموضوع ما في بؤرة مجاله الإدراكي قبل أن يختفى هذا الموضوع ويظهر مكانه موضوع آخر. ويبدو أن هناك علاقة عكسية بين مدى الانتباه ومدته. فإذا زاد أحدهما قل الآخر. وفي هذه الناحية أيضاً يختلف الراشد الكبير عن الطفل حيث تكون المدة عند الأول أطول منها عند الثاني، ويظهر ذلك جلياً في أن درجة تشتت انتباه الطفل أعلى، وفي أن طالب الجامعة يستطيع أن يركز انتباهه مدة أطول على موضوع ما إذا أراد.

٢ - التذكر :

التذكر هو استرجاع خيرة سبق أن مر بها الشخص، والتذكر من أول العمليات التي تظهر في حياة الطفل وتنمو نمواً هائلاً في هذه المرحلة حتى أن الذاكرة عند الطفل في هذه السن أقوى منها عند الراشد. وربما كان السبب أن الذاكرة أول العمليات العقلية ظهوراً وأبكرها نضجاً في الوقت الذي لم تتنضج فيه قدرات أخرى بعد. والتذكر في النصف الأول من هذه المرحلة ذاكرة صماء بمعنى أن الطفل في المدرسة يستطيع أن يتذكر أى مادة تعليمية حتى لو لم يفهمها. ولذا نجد أطفال الصفوف الثلاثة الأولى في المدرسة الابتدائية يحفظون بعض الآيات القرآنية والأنشيد بدون فهم، وأحياناً يخطئون في نطقها، ويحلون كلمة مكان كلمة شبيهة بها في جرسها، مما يقطع بعدم فهمها. ولكن في النصف الثاني من هذه المرحلة يبدأ عنصر الفهم يدخل كأحد العوامل التي تساعد على التذكر. فنجد أنه يسهل على الطفل حفظ وتذكر المادة المفهومة أكثر من المادة غير المفهومة، ويتزايد أهمية عنصر الفهم في التذكر، حتى ليكاد يستحيل على المراهق تلميذ المدرسة الإعدادية والمدرسة الثانوية أن يحفظ ويتذكر قصيدة شعر لم يفهمها مثلاً.

٣ - التخيل :

وهذه عملية أخرى على جانب كبير من الأهمية، لأنها الخاصية التي تميز الإنسان، والتي مكنته على مر التاريخ من تشييد حضارته. والتخيل يختلف عن

التذكر حيث أن العملية الأخيرة تتضمن استرجاعاً لخبرة سبقت في حياة الفرد. أما التخيل فإن فيه إضافة جديدة إلى الواقع. فالإنسان عندما يتخيل فإنه يبدأ من عناصر الواقع ويبني تصوراً يضيف إليه من عنده. ومن هنا فإن التخيل في هذه المرحلة يختلف عن الخيال الذي كان موجوداً في المرحلة السابقة من النمو. فإذا كان الخيال في مرحلة الطفولة المبكرة يبدأ من الواقع أيضاً، لكنه تخيل جامح لا يتقيد بقوانين الطبيعة وبإمكانيات البشر، فيتصور الطفل نفسه طائراً أو عابراً للقارات أو محطماً الجبال، فإن التخيل في هذه المرحلة تخيل مرتبط بالواقع ومقيد بقوانين الطبيعة، وبما يمكن أن يفعله الإنسان بالفعل. وهناك صلة وثيقة بين هذا التخيل وبين الإبداع أو الابتكار. والإبداع هو التفكير المتسم بالجدة والأصالة. ولذلك فالتفكير الإبداعي يعتمد إلى حد كبير على التخيل، لأن الأساس فيه إتيان أفكار جديدة غير مسبقة، وعليه فإن بؤادر التفكير الإبداعي تظهر عند الطفل في هذه المرحلة ممثلة في التفكير التخيلي.

ج) الذكاء والتفكير :

١ - الذكاء هو القدرة الفطرية العقلية العامة. ويبدو من هذا التعريف أن الذكاء فطري ولادى وليس مكتسباً. وأنه يتعلق بالنشاط العقلى، وأنه لا يختص بمواقف معينة أو بتحصيل مواد معينة، وإنما هو قدرة عامة تشترك في جميع المواقف وكل المواد. والتعريف الإجرائى يرى الذكاء إدراكاً للعلاقات بين الأشياء أو بين عناصر الموقف.

٢ - التفكير هو المجهود العقلى الذى يبذله الفرد لمواجهة مشكلة ما أمامه. ولعملية التفكير مستويات كثيرة، ولها صور متعددة أيضاً. ولا شك أن أرقى صور التفكير هى إدراك العلاقات بين الأشياء أو بين عناصر الموقف بحيث يودى هذا الإدراك فى النهاية لحل المشكلة. وبالتالي فإن التفكير هو وظيفة الذكاء ولا غرابة إذن أن التفكير تتويع لكل العمليات العقلية، فكل من عمليات التذكر والتخيل تضع نفسها فى النهاية فى خدمة التفكير، باعتبار أن التفكير هو المحاولة التى يبذلها الكائن لمواجهة مشكلة تعترض سبيل تكيفه.

د) أنواع التفكير :

للتفكير عدة أنواع أو صوراً أهمها :-

١ - إدراك العلاقات بين الأشياء :

وهو الذى ذكرناه آنفاً. وهو أشهر صور التفكير. وأهم العلاقات التى يستطيع الأطفال إدراكها، علاقات الزمان والكمية والتشابه والاختلاف طالما هى بسيطة. وتبدأ هذه القدرة فى الطفولة المبكرة وتزداد فى الطفولة المتأخرة دقة ووضوحاً.

٢ - التفكير الاستدلالي أو القياسى:

وهو الذى يعتمد على استنباط أو استخلاص قضية من قضايا معروضة. فإذا قلنا إن جميع المعادن تتمدد بالحرارة وقلنا إن الحديد معدن أمكننا استنتاج أن الحديد يتمدد بالحرارة وهى الصورة الأولى أو الشكل الأول من صور المنطق الأرسطى. ويسمى هذا التفكير بالتفكير الرمضى أو المنطق الصورى. ويستطيع الطفل أن يمارسه فى هذه المرحلة.

٣ - التفكير الاستقرائى :

وهو عكس النوع السابق، ويعتمد هذا النوع على استقراء وحدات الطبيعة للخروج بقانون عام. فإذا وجدنا من مشاهداتنا وتجاربنا أن الحديد والنحاس والقصدير والرصاص وكافة المعادن التى نعرفها تتمدد إذا تعرضت للحرارة، انتهينا إلى قاعدة عامة هى أن المعادن تتمدد بالحرارة وهذه القاعدة هى القانون العلمى. ونلاحظ أن الاستدلال يبدأ من قضية كلية أو قانون عام ثم يطبق على الحالات الفردية. أما الاستقراء فيبدأ من الحالات الفردية لنصل إلى قضية كلية أو قانون عام. وهذا اللون من التفكير يستطيعه الطفل أيضاً فى هذه المرحلة.

٤ - التفكير النقدي:

وهو تبين نقاط الصحة ونقاط الخطأ أو الضعف فى التفكير. وهى قدرة عقلية تتأخر كثيراً عند الفرد. وبصفة عامة فإن الطفل فى نهاية المرحلة يستطيع أن يكتشف بعض المغالطات أو التناقضات فى قصة تحكى له، ولذا تحوى اختبارات الذكاء نماذج من هذه المغالطات مثل: "امبارح شقنا راجل طويل قوى، ماشى فى الشارع، حائط يديه فى جيوبه ويهز عصاته وهو ماشى". (مقياس الذكاء - إسماعيل القباني) هذه القدرة تظل ضعيفة بصفة عامة طوال هذه المرحلة، حيث يظل على الطفل طابع المسايرة أكثر من طابع النقد. ولكن هذه القدرة تتضح فى مرحلة المراهقة.

٥ - نماذج من اختبارات الذكاء:

وهذه بعض الفقرات من اختبارات الذكاء لنوضح نوع العلاقات والمشكلات المطلوب من الأطفال حلها: -

- سن ٧ : نقل رسم معين.
إعادة ثلاثة أرقام بالعكس.
معرفة وجه الشبه بين شيئين.
- سن ٨ : العدد بالعكس من ٢٠ - ١ .
معرفة أوجه الشبه والاختلاف بين شيئين.
اكتشاف السخافات اللفظية.
- سن ٩ : إعادة أربعة أرقام بالعكس.
معرفة أسماء الشهور.
اكتشاف السخافات اللفظية.
- سن ١٠ : إعادة ستة أرقام.
ذكر ثمانية وعشرون كلمة في دقيقة.
إعطاء الأسباب.
- سن ١١ : فهم المعاني المجردة.
معرفة أوجه الشبه بين ثلاثة منها.
الاستدلال.
- سن ١٢ : إعادة خمسة أرقام بالعكس.
الفهم .
التفكير.

هـ (تكوين المفهوم الكلى :

١ - يقدم لنا علم المنطق مصطلحي "المفهوم" ، "الماصدق" والمفهوم هو الصفات التي تنطبق على شيء ما، وتجعلنا نطلق عليه اسمه. أمّا الماصدق فهو عدد

الأفراد أو العناصر أو الأشياء التي ينطبق عليها المفهوم، فإذا قلنا أن كلمة "طبيب" مفهوم فنحن نعني بهذا المفهوم ذلك الشخص الذي تخصص في دراسة الطب في الجامعة، وتخرج منها ويزاول مهنة العلاج. أما الماصدق فهو عدد الأفراد الذين ينطبق عليهم هذا الوصف أو هذا المفهوم. فنقول إن هذه البلدة فيها ٥ آلاف طبيب مثلاً وهم الماصدقات لهذا المفهوم. إذن فالمفهوم فكرة مجردة منفصلة عن مفرداتها أو مظاهرها الخاصة.

٢ - المفاهيم ضرورية للتفكير. فنحن لا نفكر أو نستخدم في حديثنا وتفكيرنا أسماء المفردات أو الماصدقات، وإنما نستخدم المفاهيم العامة أو الكلية وإذا حللنا إحدى المقالات المنشورة في صحيفة، أو تلك المدونة في كتاب بقصد معرفة نسبة استخدام الألفاظ التي تدل على مفاهيم عامة إلى الألفاظ التي تدل على عناصر معينة، فسنجد أن الأولى أكثر بكثير. ولذا فإنه يجب أن يكون لدى أى طفل في هذه المرحلة بالذات أكبر قدر ممكن من المفاهيم المرتبطة بحياته وبيئته والمرتبطة أيضاً بالحياة الاقتصادية والاجتماعية والمكتشفات العلمية والصناعية.

٣ - تعتمد عملية التكوين للمفهوم الكلى على ثلاث عمليات عقلية هامة هي: -

التصنيف	* Classification
التجريد	* Abstraction
التعميم	* Generalization

ويتعامل الطفل منذ البداية مع العالم المحيط به بناء على هذه العمليات. فالطفل في عامه الأول يكون متركزاً حول ذاته، ويحصل على لذة كبيرة من عملية المص، ولذا نجده يضع في فمه كل ما يصل إلى يديه ويبدأ في مصه. ثم يميز بعد ذلك ما يؤكل وما لا يؤكل مستعيناً بخبرته النامية ويتطور إدراكه. ثم يجد أن من بين ما يؤكل أشياء مختلفة تماماً. فالموز والبرتقال والتفاح والتين كلها أشياء تؤكل بعد الأكل الأساسى، ولكنها مختلفة في الشكل والحجم والطعم واللون. ويعتمد الطفل في هذا التمييز على ملاحظته لهذه الأشياء ومقارنته لأوجه الشبه وأوجه الخلاف بينها، فيجمع بين الأشياء المتشابهة في مجموعة واحدة ويضطر إلى استخدام اللفظ الذى يطلقه الكبار على هذه المجموعة، وهذه هى عملية التصنيف، وعملية التصنيف نفسها تتضمن عملية تجريد. والتجريد هو استنتاج الصفات العامة

الجوهرية التي تميز مجموعة ما عن مجموعة أخرى بحيث تتفصل هذه الصفات عن مفرداتها أو عن "ما صدقاتها"، فإذا استقر في ذهن الطفل أن الفاكهة نوع من الطعام يؤكل في صورته الطبيعية ، و نتاوله ليس كوجبة رئيسية ولكن لقيمتة الغذائية أو لطعمه، وإذا استطاع أن يحدد بناءً على هذا المعنى ما إذا كان صنفاً معيناً لم يره من قبل فاكهة أم لا، فإنه يكون قد قام بالعملية الثالثة والأخيرة في تكوين المفهوم، وهى عملية التعميم، مع ملاحظة أن هذه العمليات متداخلة وليست منفصلة، كما أنه ليس من الضروري أن تتم كل العمليات في كل عملية تكوين للمفهوم.

٤ - هناك المفاهيم الكلية المجردة التي ليس لها أساس حسي كالفضيلة والريضة والخير والشر، وهذه لا يدركها الطفل إدراكاً واضحاً ودقيقاً كما يظهر في استخدامه الصحيح لها، إلا في مرحلة المراهقة.

القسم الثاني : النمو اللغوى

أولاً : النمو اللغوى فى سنتى المهد

مقدمة :

للغة عدة وظائف، وعلى رأس هذه الوظائف:

- * الوظيفة الاجتماعية، من حيث أنها وسيلة اتصال الفرد بالمحيطين به.
- * الوظيفة العقلية، من حيث الاستدلال من بدء تعلمها وطريقة استخدامها على القدرة العقلية للفرد.

ويجب أن ننبه أن علماء النفس الاجتماعى يفرقون بين نوعين من اللغة، اللغة اللفظية واللغة غير اللفظية. واللغة اللفظية هى اللغة التى نتكلم بها وتعتمد على الألفاظ والكلمات. أما اللغة غير اللفظية فلا تعتمد على الألفاظ وإنما على الرموز والإشارات والإيماءات. مثل إشارات اليدين وتعبيرات الوجه والرموز التى يستخدمها رجال الجواله ولغة الشفرة التى يستخدمها الجنود. بل إن بعض العلماء يعتبرون صيحات الحيوان لغة، حيث أن لكل صيحة معنى يفهمه بقية أفراد القطيع

ولكنه إذا كانت اللغة بهذا المعنى الواسع (وسيلة الاتصال بين الأفراد) يشترك فيها الإنسان والحيوان، فإن الإنسان فقط - بفضل تطور جهازه العصبى وقدراته العقلية - يستطيع أن يتكلم وأن يستخدم اللغة استخداما على أعلى درجات المرونة. والاستعداد للكلام استعداد طبيعى فطرى عند الفرد، ولكن تعلم لغة معينة أمر يخضع للتدريب والمران والتقليد.

مراحل التطور اللغوى فى سنتى المهد :

ولأهمية اللغة فى حياة الإنسان على المستوى الفردى والمستوى الاجتماعى فقد اهتم العلماء برصد السلوك اللغوى عند الطفل، وقدموا تفسيرات وتصنيفات مختلفة لمظاهر النمو اللغوى. وبصفة عامة، فإن علماء النفس يقسمون التطور اللغوى عند الطفل فى سنتى مهده إلى المراحل التالية: -

١ - مرحلة الصراخ :

ويدخل فى ذلك الصرخة الأولى التى يطلقها الطفل عند الميلاد، والتفسير الذى يقبله العلم اليوم لصرخة الميلاد هو أن هذه الصرخة، تحدث عندما يندفع الهواء لأول مرة إلى رئتيه، أى أن الصرخة الأولى رد فعل لأول عملية شهيق. ويظل الطفل فى الأيام الثلاثة الأولى يصدر صرخات ليست عالية، ثم يعلو صراخه بعد ذلك. وصراخ الوليد فى هذه الفترة يعبر عن جوعه، وعن متاعب معوية أو عن ضيقة من البلل، ولكنه قد يصرح لمجرد سماع صوته وإحداث تأثير فى البيئة المحيطة به، وهذا الصراخ يدرّب الأحبال الصوتية فى الحنجرة. وسيربط الطفل فيما بعد بين صراخه وحضور الأم. ويتعلم أن يصرخ عندما يريد استدعاء أمه.

٢ - مرحلة الأصوات العشوائية:

يصدر مع الصراخ أصوات أخرى مختلطة تعلو أحيانا لتكون أشبه بالمناغاة. وهذه الأصوات هى المادة الصوتية التى تتشكل منها الكلمات وبالطبع فإن الطفل عندما يكون مرتاحا ومشبعًا ونظيفًا فإنه يمكن أن يصدر أصوات أقرب إلى المناغاة. ويعلو صراخه فى حالات الجوع أو الغضب أو الرغبة فى النوم.

٣ - مرحلة الحروف التلقائية:

تتشكل الأصوات العشوائية والمناغاة إلى حروف أو إلى أصوات أقرب إلى الحروف. وبالطبع فإن الطفل لا يقصد في البداية نطق حرف معين وإنما هو يصدر أصواته المختلفة، ثم يحدث أن يشجعه الآباء بتعليقاتهم وبالأصوات التي يصدرونها أمامه فيجعلونه أميل إلى تكرار بعض الأصوات القريبة إلى أحد الحروف. وهناك من الحروف ما يصدر عن الحلق مثل "ع" و "و" و "غ". وهناك الحروف الأنفية مثل "م" و "ن"، كما أن هناك حروف الشفاه مثل حروف "ب" و "و" و "و"، وكذلك هناك حروف تشترك فيها الأسنان مثل حروف "ت" و "ث". ويلاحظ أن هذه المراحل متداخلة بمعنى أن بداية مرحلة لا تنتهي بخصائص المرحلة السابقة، وإن كان بعض العلماء يحدد بداية المناغاة في الشهر الثالث.

٤ - مرحلة التقليد والاستجابة اللغوية:

وفي النصف الثاني من عامه الأول يكون الطفل قد وصل إلى مستوى من النضج العصبي والفيسيولوجي والعقلي يسمح له بأن يكون أقدر على تقليد الكلمات والحروف التي يسمعها من المحيطين به. وغالباً ما يستطيع الطفل أن يردد أحد المقاطع اللفظية أو كلمة تتكون من مقطعين متكررين مثل "بابا"، "ماما"، وهنا يظهر أول أثر للتعليم والتدريب المقصود من جانب الأبوين والمحيطين بالطفل. ويظهر في هذه المرحلة الجانب الاجتماعي والإنساني في اللغة. لأن الأطفال الذين وجدوا يهيمنون على وجوههم في الغابات، ولم يتربوا في وسط إنساني لا نجد عندهم هذه المرحلة. وتمتد هذه المرحلة حتى الشهر الثامن أو التاسع عندما ينطق الطفل بأول كلمة كاملة.

٥ - مرحلة المعاني:

وفيها يكون الطفل قد أتقن تقليد ما يسمعه من حروف أو مقاطع أو كلمات بسيطة ثم يتمكن من ربط هذه المقاطع أو الكلمات بأشياء معينة أي ربط الأسماء بمسمياتها.

متى ينطق الطفل بأول كلمة ؟

يهتم كثير من الباحثين بتحديد السن التي ينطق فيها الطفل بأول كلمة كاملة. ولا يخفى علينا أن هذه السن تتفاوت من طفل إلى آخر بدرجة كبيرة ومجال الفروق الفردية فيها متسع. وظهر من أحد البحوث أن متوسط السن التي ينطق فيه الطفل بالكلمة الأولى كالآتي:

العمر بالشهور	عدد الأطفال
٨	١
٩	٥
١٠	١١
١٢	٣
١٣	٥
١٤	٣
١٥	١
المجموع	٣٥

ويظهر من النتائج أن أكبر مجموعة تتنطق بالكلمة الأولى في الشهر العاشر وإن كانت العينة صغيرة لا تسمح بالتعميم. وبصفة عامة يمكن أن نقول إن الطفل ينطق بكلمته الأولى في نهاية العام الأول. ويلاحظ هنا أن الطفل ينطق كلمة واحدة ويقصد بها معنى يحتاج إلى جملة كاملة فيقول كرة وهو يعنى " أنا أريد هذه الكرة " كما كان في مرحلة سابقة يردد حرفاً واحداً أو مقطعاً من كلمة وهو يقصد الكلمة كلها.

نمو المحصول اللغوى :

وما إن ينطق الطفل كلمته الأولى حتى يبدأ محصوله اللغوى فى الزيادة عن طريق عملية الربط بين المثيرات الصوتية والمثيرات المرئية. فهو يرى شيئاً ويسمع اسمه ويربط بين شكل ما يراه والاسم الذى يسمعه. ولأن الطفل لا يستطيع القيام بعملية التجريد فى هذه السن. فإنه يربط بين شكل معين وبين اسم هذا الشكل. بحيث إذا حدث تغيير فى شكل هذا الشئ، أو رآه فى صورة غير التى تعود أن يراه عليها فقد لا يتعرف عليه. وفى إحدى الدراسات التى استخدمت المنهج العرضى،

حيث انصبت على عينات من الأطفال في كل سن، وُجد أن متوسط الكلمات "المحصول اللغوى" لديهم كالآتى : -

العمر بالشهور	عدد الأطفال	عدد الكلمات
٨	١٣	—
١٠	١٧	١
١٢	٥٢	٣
١٥	١٩	١٩
١٨	١٤	٢٢
٢١	١٤	١١٨
٢٤	٢٥	٢٧٢

ويظهر من هذه النتائج أن الطفل عندما يصل عمره إلى سنة ونصف، ويكون لديه السيطرة على مهارة النطق، يزيد عنده المحصول اللغوى زيادة كبيرة جداً. ويظهر ذلك من المقارنة بين محصوله اللغوى عند بلوغه العام ونصف، وعند بلوغه واحد وعشرين شهراً ثم عند بلوغه العامين.

عوامل تؤثر فى النمو اللغوى :

وهناك عوامل متعددة تؤثر فى تحديد السن التى يبدأ فيها الطفل النطق وفى كمية محصوله اللغوى، وفى قدرته على استخدام هذا المحصول استخداماً وظيفياً سليماً، وفى مظاهر النمو اللغوى بصفة عامة. وأهم هذه العوامل هى : -

١ - الذكاء والقدرة اللغوية : باعتبار أن استخدام اللغة عملية عقلية تتأثر بالقدرات العقلية للفرد .

٢ - سلامة الأعضاء والحواس : لأن الكلام مهارة معقدة يشترك فيها كثير من أجهزة الجسم كالحنجرة والرئتين والحجاب الحاجز واللسان ومراكز الكلام فى المخ. كذلك لابد من سلامة حواس السمع والبصر، لأن الكلام كما أوضحنا ربط بين المثيرات الحسية الضوئية التى تستقبلها العين والمثيرات الحسية السمعية التى تستقبلها الأذن.

٣ - المثيرات البيئية الثقافية : فهناك البيئة الغنية بالمثيرات الثقافية، وهناك البيئة الفقيرة بالمثيرات الثقافية. ونقصد بالبيئة الأولى تلك البيئة التى تتوافر فيها

المجلات والجرائد والكتب وأجهزة الإعلام والترفيه والمناقشات العلمية والثقافية بين أفراد الأسرة. أما البيئة الثانية فهي البيئة المحرومة من هذه المثيرات. ومما لا شك فيه أن معيشة الطفل في بيئة من النوع الأول تسهم بدرجة كبيرة في نموه لغوياً.

٤ - الحرمان العاطفي : ظهر أن للحرمان العاطفي دخل في إعاقة النمو اللغوي. وقد تبين لنا ذلك من المقارنة بين أداء الأطفال الذين ينشأون في المؤسسات والملاجئ ونظرائهم ممن يعيشون في بيوت عادية بين آبائهم في كل اختبارات الأداء اللغوي.

ثانياً : النمو اللغوي في الطفولة المبكرة :

يمكن تلخيص أهم ملامح النمو اللغوي في مرحلة الطفولة المبكرة فيما يأتي:

١ - يعرف الطفل في عامه الثاني أن للأشياء أسماء. وفي نفس السنة يكون لديه القدرة على نطق أي كلمة يسمعها، وهذا يفتح الطريق أمام النمو الهائل لثروة الطفل اللغوية ابتداء من العام الثالث حتى أن الطفل ينهي هذه المرحلة "نهاية السنة الخامسة" ومحصوله اللغوي لا يقل عن ٢٠٠٠ "الفين" من الكلمات تقريباً.

٢ - في المرحلة السابقة كان الطفل ينطق كلمة واحدة يعبر بها عن جملة كاملة كقوله "عروسة" وهو يريد أن يقول "أعطني هذه العروسة". أما في المرحلة الحالية فإنه يستطيع أن يكون جملاً، ولكن الجملة تكون في البداية قاصرة تقريباً على الأسماء وتكاد تخلو من الحروف والضمائر والأفعال. ثم يأخذ التعبير اللغوي بعد ذلك في الاتجاه نحو الدقة فلا ينهي الطفل هذه المرحلة حتى يستطيع أن يعبر عن نفسه بوضوح، وفي جمل كاملة تامة المعنى.

٣ - تتزع لغة الطفل في هذه المرحلة إلى التجريد، وهو من سمات الرقي العقلي الذي يصل إليه في هذه المرحلة، حيث يستطيع أن يستخدم كلمات الجنس العام مثل كلمة "حيوان" التي تشمل القطط والكلاب والذئاب وغيرها. وهذا الاستخدام "التجريدي" للغة يمثل نقلة كبيرة في لغة الطفل وتفكيره.

٤ - وظيفة اللغة الأساسية هي التواصل أو إدارة الاتصال بين الأفراد. ولكن اللغة في بداية تعلمها لا يكون لها هذا المعنى. فالطفل في العام الثاني لا يتكلم دائماً ليوضح نفسه أو لشرح فكره أو ليلقي سؤالاً ينتظر جوابه أو ليسهم في مناقشة مع آخرين، بل قد يتكلم مع نفسه وقد يلقي سؤالاً ولا ينتظر إجابته وقد يجيب على سؤال لصديقه بسؤال آخر أو بإجابة لا علاقة لها بالسؤال، وهذا ما يسميه بياجييه باللغة "المتكررة حول الذات". "وهناك اللغة المتمركزة حول المجتمع". وتستمر اللغة المتمركزة حول الذات طوال هذه المرحلة.

٥ - من العوامل التي تزيد من قدرة الطفل اللغوية وجود الدافع عنده لاستخدام اللغة. وتستطيع الأم ومن يحيط بالطفل أن يخلقوا هذا الدافع لديه. ويفيد في هذا السبيل حديث الأم مع الطفل أثناء عنايتها به، وتوضيح الأمور له بأسلوب سهل وبعبارة مختصرة وبمفردات بسيطة. وتقيد هذه الأساليب في زيادة حصيلة الطفل اللغوية ومن قدرته على تركيب الجمل بطريقة صحيحة. ولكي تدفع الأم طفلها إلى التكريب على تركيب الجمل والتعبير بعبارة تامة المعنى يجب عليها أن تشجعه أن يصيغ طلباته في جمل وليس في كلمة أو همهمه. فإذا أراد الطفل أن يطلب من الأم بعض الحلوى فعليها أن تشجعه أن يصيغ هذا الطلب في جملة مفيدة ولا تكتفى بأن يقول لها "حلوى" لأن الأم إن استجابت له في هذه الحالة الأخير فكأنها تدعم لديه أسلوب سابق من أساليب التعبير اللغوي.

٦ - يوجد ارتباط إيجابي بين الذكاء والنمو اللغوي في هذه المرحلة. كما أن البنات أسبق من البنين في نموهن اللغوي في هذه السن.

ثالثاً : النمو اللغوي في الطفولة المتأخرة:

تتحدد ملامح النمو اللغوي عند الطفل في هذه المرحلة كالآتي :-

١ - يكون محصول الطفل اللغوي في سن السادسة أي عند دخوله المدرسة حوالي ٢٥٠٠ كلمة "ألفان وخمسمائة".

٢ - هذه المرحلة هي التي يدخل فيها الطفل إلى المدرسة، حيث يتعلم القراءة. والقراءة مهارة معقدة تتضمن مجموعة كبيرة من المهارات الفرعية، ولذلك

يتعلمها الطفل بعد فترة من المحاولة والخطأ. وعندما يتعلم الطفل القراءة يكون قد حصل على مفتاح سحري يزيد به محصوله من الألفاظ والمصطلحات والتركيبات اللغوية.

٣ - يستطيع الطفل في أول هذه المرحلة أن يكون جملة من أربع أو خمس كلمات ويعبر بها تعبيراً صحيحاً عن فكرة واضحة في ذهنه. وتعمل المدرسة على تنمية هذه المهارة في التعبير الشفوي عند الطفل. ويستمر تحسن قدرة الطفل على تركيب الجمل طوال هذه المرحلة.

٤ - يوجد بجانب القراءة الجهرية نمط آخر من القراءة، وهو القراءة الصامتة. وهي أسرع وأقرب إلى الفهم من القراءة الجهرية. ولذا تهتم المدارس بتدريب التلاميذ على إتقانها بعد تعليمهم المهارات الأساسية في القراءة، باعتبار أن القراءة الصامتة هي الأساس في التحصيل الذاتى وهى النمط المستخدم في الحياة اليومية.

٥ - يستطيع الطفل في منتصف المرحلة أن يأتي بالمرادفات للكلمات الشائعة في بيئته وأن يميز بين الأضداد، ويحدث ذلك خاصة بين الأطفال الذين يعيشون في بيئات غنية بالمثيرات الثقافية.

٦ - بجانب التعبير الشفوي يوجد التعبير التحريري عندما يكون الطفل قد تعلم الكتابة. ويتحسن تعبير الطفل عاما بعد عام في هذه المهارة من ناحية دقة التعبير وسلامة التركيب للغة واستخدام الضمائر الاستخدام الصحيح، وفي استواء الخط. وفي النصف الثانى من هذه المرحلة يمكن للطفل أن يستخدم الكلمات الدالة على المفاهيم الكلية - التى لها مقابل حسى في تعبيره الشفوي وفي تعبيره التحريري أيضاً.

٧ - نجد في هذه المرحلة تفوقاً من جانب البنات على البنين في معظم جوانب النمو اللغوى، حتى أن أمراض الكلام توجد بصورة أقل عند البنات أيضاً.

القسم الثالث : رعاية النمو المعرفى فى الطفولة

(أ) فى سنتى المهد :

يتعلم الطفل الكلام فى هذه المرحلة. وللآباء أثر كبير فى تحديد السن التى يبدأ فيها الطفل النطق، وفى زيادة محصوله اللغوى، وفى طريقة استخدام هذا

المحصول فى التعبير، فحديث الأم إلى الطفل منذ الشهر التاسع - وهو الشهر الذى يحاول فيه الطفل تقليد ما يسمع من أصوات وكلمات - يجعله أقرب إلى تعلم الكلام من الطفل الذى لا يحدثه أحد. كما أن على الآباء أن يزيّدوا من ثروة الطفل اللغوية بإسماعه أسماء الأشياء المحيطة به. وترديد الجمل البسيطة ذات المعنى الواضح له أمامه حتى يعرف كيف يتم بناء الجملة.

ب (فى الطفولة المبكرة :

١ - توفير المواقف التى تدعو الطفل إلى أن يفكر ويشحذ قدراته العقلية. ومن هذه الوسائل المكعبات (الميكائو) الذى يستطيع الطفل منها أن يبنى بيوتا وأبراجاً ومنشآت مختلفة، وتساعد على تنمية قدرات الطفل الابتكارية أيضاً.

٢ - يجب أن نشجع الطفل على طلب المعرفة بأن نجيب على تساؤلاته بما يناسبه ونضع تحت يديه بعض القصص المصورة والتى تحوى الحيوانات والطيور والنباتات، خاصة تلك التى لا يراها فى بيئته، وكذلك المخترعات والأجهزة الحديثة. وسوف يسأل الطفل عندما نعرض عليه هذه الصور عن أسماء الأشياء وخواصها، وبالتالي تزد ثروته اللغوية وتتسع مداركه. ويظهر الفرق واضحاً بين الأطفال الذين ينشأون فى بيوت بها هذه المثيرات الثقافية وبين الأطفال الذين ينشأون فى بيوت محرومة من هذه المثيرات، فى أسلوبهم فى التعبير، وفى كمية معارفهم وفى قدرتهم على فهم الظواهر الطبيعية وعلى كيفية عمل الآلات والأجهزة، اعتماداً على ما لديهم من معلومات سابقة، وهذا الفرق بالطبع لصالح أبناء البيئات الأولى.

٣ - ينمو خيال الطفل فى هذه السن نمواً كبيراً، وقد ذكرنا أن هذه الخاصية تظهر فى سرده للقصص، كما تجده يستمتع بسماع القصص التى يشيع فيها الخيال، وبعضهم لا ينام إلا إذا سمع بعض هذه القصص. ولهذا يخرمون بما تحكيه الجدات والمسنيين فى العائلة حيث أن هؤلاء الأخيرين لديهم من الوقت والأسلوب الهادئ المترن المشبع بالخيال الحالم والذى يشيع فيه الحنان ما يسلب لب الطفل. وقص هذه القصص على الأطفال له قيمة تربوية إذ تنمى خيالهم، ولكن يجب ألا نبالغ فى هذه الناحية، حتى لا نبعد الأطفال عن أرض الواقع ونجعلهم يعيشون فى الخيال باستمرار. ويجب أن تكون القصص التى تحكى للأطفال ذات مغزى اجتماعى وخلقى وألا تحوى قيماً هابطة أو معان مسفة.

٤ - ذكرنا أن الطفل فى هذه المرحلة - خاصة فى نصفها الأول - لا يدرك تسلسل وحدات الزمن. ولا يعيش إلا واقعه الحاضر. وبالتالي لا يفهم معنى التأجيل والانتظار. ولذلك علينا أن نتعامل معه على هذا الأساس، فلا نغضب منه إذا رأيناه لا يفهم وعداً قطعناه له، كما يجب ألا نعطيه وعوداً طويلة الأمد، حتى لا نرهقه بالانتظار الممل الحائق.

٥ - يجب ألا يدفعنا طموحنا ورغبتنا فى تفوق أطفالنا دراسياً إلى الإسراع بتعليمهم القراءة والكتابة، وإلى إلحاقهم بالصف الأول بالمدرسة الابتدائية قبل سن السادسة، لأن فى ذلك إرهاب للطفل عقلياً وعصيباً. إذ يكلف الطفل بالقيام بأعمال لا تتناسب مع إمكانياته. وقد وضعت مناهج الصف الأول للطفل فى سن السادسة. فما لم يكن الطفل سابقاً لسنة فى النمو، وأعلى من المتوسط فى ذكائه تعثر فى تحصيله وربما ساء تكيفه الدراسى والاجتماعى، وانعكس ذلك كله على سلوكه. ولا يجب أن يقبل الوالد الواعى بوضع ابنه فى هذا الموقف الضاغط.

٦ - يجب أن نعمل على زيادة ثروة الطفل اللغوية وأن نساعد على حسن استخدامه للتراكيب اللغوية الصحيحة. وذلك بأن نتحدث إليه وأن نصيغ تعليقاتنا له فى جمل واضحة وليست على شكل أوامر مقتضبة. وأن نحلل له ما نطلبه منه ونشجعه على أن يعبر عن نفسه. وأن نحيطه بالمثيرات التى تكفل له اكتساب مفردات لغوية جديدة.

جـ (فى الطفولة المتأخرة :

١ - يحدث تمايز كبير فى القدرات العقلية فى هذه المرحلة. ويجب أن نتيح الفرص التعليمية لتنمية هذه القدرات ومراعاتها أثناء التدريس والتعليم. فبالنسبة للانتباه مثلاً نجد مدى الانتباه ومدة الانتباه. وفى الناحية الأولى على المعلم ألا يشتت انتباه الطفل بتقديم أكثر من مثير له فى وقت واحد. بل يجب أن نساعد على التركيز، ونعرف أنه إذا عرض عليه أكثر من موضوع واحد فإنه لن يستطيع أن ينتبه إلى أى منها. وفى الناحية الأخرى يجب على المعلم أن ينوع فى تدريسه فمن شرح لإحدى الفقرات، إلى مناقشة التلاميذ، إلى استخدام السبورة أو أى وسيلة تعليمية، إلى مناقشة بين التلاميذ أنفسهم.

وهكذا لا يستمر نشاط معين على وتيرة واحدة فترة طويلة. ويستطيع المعلم بذلك أن يحتفظ بانتباه التلاميذ معه طوال الدرس.

٢ - تتمو قدرة التذكر نموا هائلا فى هذه المرحلة حتى يطلق العلماء عليها "العصر الذهبي للذاكرة" ويستطيع الطفل أن يحفظ ويتذكر أشياء لا يفهمها فى بداية المرحلة. ولكنه فى مجال التربية يجب أن يحرص المعلم أن تكون الخبرة المقدمة للتلميذ مفهومة دائماً. وسيجد الطفل فى النصف الثانى من هذه المرحلة صعوبة فى حفظ واستيعاب ما لا يفهم.

٣ - أما التصور فإن الطفل بصري. ولذا يفضل أن نكثر من استخدام الوسائل التعليمية. حيث أن هذه الوسائل تساعد الطفل على الاستيعاب والفهم.

٤ - تتمو القدرة على التخيل عند الطفل ويمكن أن نتخذ من هذه الحقيقة نقطة انطلاق لتنمية القدرات الابتكارية عند الطفل، ولذا يجب أن تتيح المدرسة والمنزل معاً الفرصة للطفل لأن ينطلق بخياله فى الرسم والأشغال اليدوية وفى موضوعات الإنشاء والتعبير بدون وضع قيود كثيرة مع تعليمه الأسس الصحيحة فى التعبير حتى ننمى هذه القدرة لديهم. وحتى يمكن اكتشاف الأطفال ذوى الخيال الخصب وذوى القدرات الابتكارية فى وقت مبكر، فإذا وجدنا عناصر من هذه الفئة يجب أن نحاط بكل ما يضمن تفوقها وامتيازها.

٥ - يجب تدريب الطفل فى هذه المرحلة، خاصة فى العامين الأخيرين - الصغين الخامس والسادس، على التفكير بمعنى اكتشاف العلاقات بين الأشياء. وذلك بعرض قضايا تحوى علاقات بسيطة يمكن للطفل اكتشافها. كما يجب تدريب التلاميذ على ممارسة ألوان التفكير الأخرى. فيمكن استغلال دروس العلوم فى توضيح المنهج الاستقرائى للتلميذ ويمكن تدريبهم على ممارسته فى المعمل كذلك يمكن الاستفادة من منهج المواد الاجتماعية فى شرح المنهج الاستدلالي فى التفكير. ومن الأهداف التربوية المنشودة أيضاً تنمية قدرة النقد واكتشاف المتناقضات والمغالطات وعدم قبول الأقوال بدون تمحيص.

٦ - يجب تدريب التلاميذ على إجابة القراءة الصامتة، وعلى سرعة الفهم من خلالها حيث أن هذا النوع من القراءة هو المستخدم فى الحياة اليومية، ويشجع التلميذ بأن يوفر له مجموعة من القصص والكتب العلمية والاجتماعية الشيقة لتدفعه إلى القراءة والتحصيل الذاتى.

الفصل الثالث

النمو الانفعالى فى الطفولة

أولاً : النمو الانفعالى فى سنتى المهد :

تعريف الانفعال :

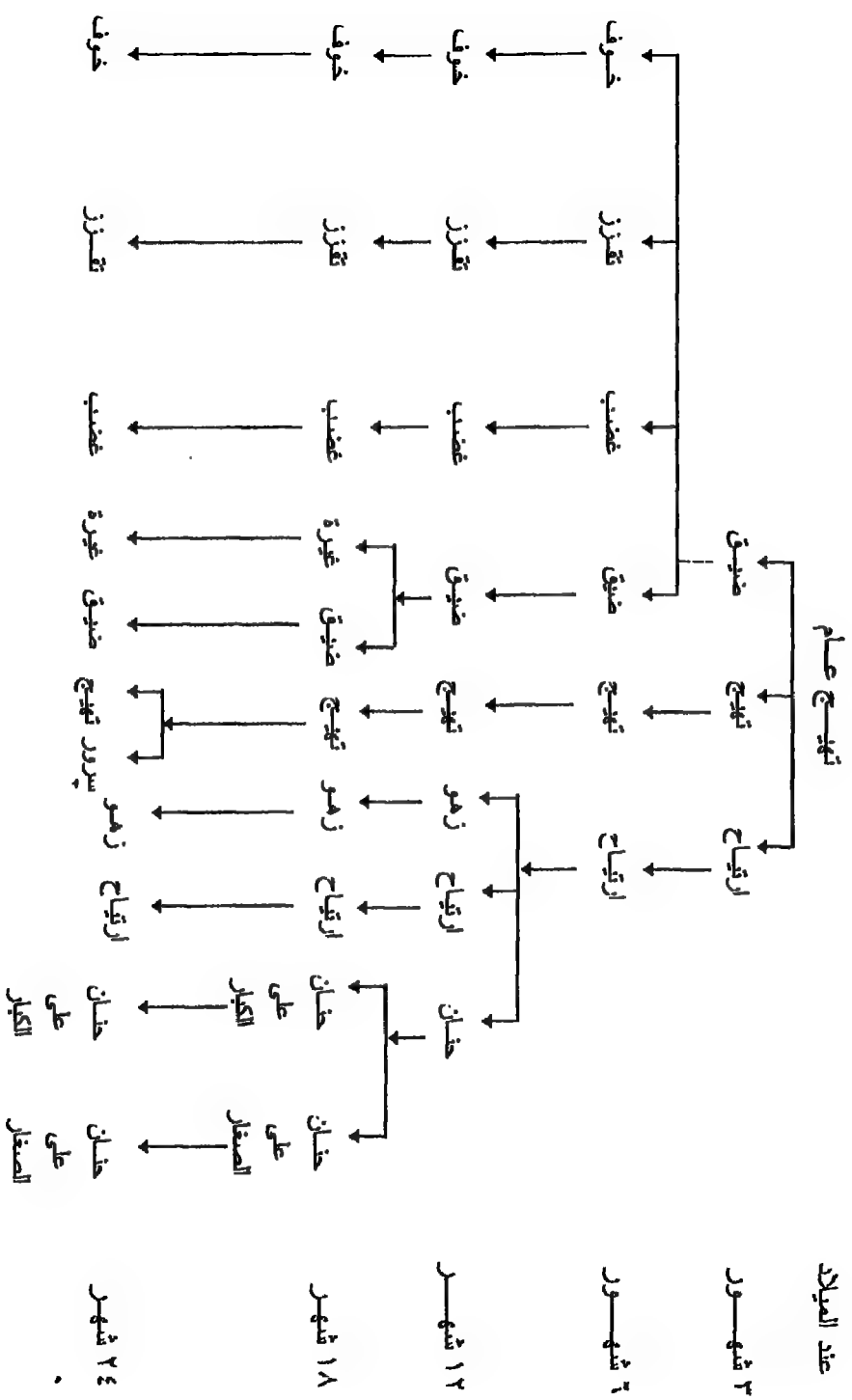
يختلف العلماء فى تعريف الانفعال حسب الزاوية التى ينظر منها كل منهم إليه، وإن كان الجميع يتفقون على أن الانفعال حالة لها مظاهرها الجسمية الظاهرة والفسولوجية الداخلية، كما أن لها مظهرها النفسى المميز، وهى حالة عامة تشمل الجسم كله، ويشعر بها الفرد، ويستطيع فى الحالات العادية أن يعبر عنها " فالانفعال حالة يمكن ملاحظتها لما تنسم به من حركات جسمية وتعبيرات وجهية". وتكون هذه الحالة استجابة لمثيرات قد تكون خارجية أو داخلية عن طريق التذكر أو الإحساس.

تصنيف الانفعالات :

كان بعض العلماء يرى أن الطفل يولد ولديه بعض الانفعالات وهى الخوف والغضب والحب وتصبح كافة المثيرات الطبيعية مثيرة لأى من هذه الانفعالات. وتكتسب بعض المثيرات عن طريق الاشتراط خواص المثيرات الطبيعية ولكن هذه النظرية ثبت عدم صحتها بفضل بحوث "برنجز" التى انتهت إلى أن الطفل لا يولد بانفعالات معينة وإنما يكون لديه ما يمكن أن يسمى "بالتهييج العام" وهو المادة الخام التى تتشكل منها الانفعالات فيما بعد. ففى بداية الحياة لا يخبر الوليد أى انفعالات محددة. وهو رأى صحيح لأن الطفل لكى يشعر بالإثم لابد أن يعرف ما هو المحرم وما هو المباح، ولكى يشعر بالفخر لابد وأن يعرف ما هى مواطن الفخر. وهذا ما يؤكد ارتباط النمو الإدراكى عند الطفل بتنوع انفعالاته وتمايزها. فكلما نما الطفل واتسع إدراكه تنوعت أشكال الانفعال لديه وتعددت. كما يؤكد أيضاً الصفة التلازمية لجوانب النمو بمعنى أن يرتبط الارتقاء فى كل جانب بالارتقاء فى الجوانب الأخرى.

تطور الانفعالات فى سنتى المهد :

فى الشهرين الأول والثانى لا يوجد إلا الانفعال العام الذى لا نستطيع تمييز مشاعر محددة فيه وهو ما نطلق عليه "التهيج العام". وفى الشهر الثالث يظهر انفعالات متميزان هما انفعال الارتياح وانفعال الضيق بجانب التهيج. ويعبر الطفل بالانفعال الأول عن شعوره بالشبع والرضا والدفاء الأموى. ويعبر بالانفعال الثانى عن شعوره بالجوع أو المغص أو الإهمال. وفى الشهر السادس يتميز فى انفعال الضيق ثلاثة انفعالات فرعية هى انفعالات الغضب والتقزز والخوف وفى نهاية العام الأول يتميز انفعال الارتياح إلى حنان وزهو. وفى منتصف العام الثانى يتضح فى انفعال الحنان نوعان، حنان نحو الكبار وحنان نحو الصغار. ويمكن أن نبين تطور هذه الانفعالات فى الرسم التوضيحي الآتى:



تطور الانفعالات في منتهى المهد

وهكذا نجد أنه باكتمال العام الأول يتكون لدى الطفل مجموعة متباينة من الانفعالات تشمل الحنان والزهو والغضب والتقزز والخوف والضيق بجانب الارتياح والتهيج. ويكون أقواها الغضب. ويصل غضب الطفل إلى غايته إذا أعيقت حريته أو إذا لم يستطع أن يحصل على ما يريده.

وهذا الاستعداد الشديد للغضب يلقي على الآباء واجبا يتمثل في تنظيم إشباع حاجات الطفل الجسمية وإعداد ما يمكن أن يثير غضبه وحققه وعدم مقابلة غضبه وثورته بغضب وثورة مماثلة، خاصة وأن العام الثاني هو العام الذي يتعلم فيه كثير من العادات الحركية والجسمية والصحية. فهو يتعلم خلال هذا العام المشي، كما يتعلم الكلام، ويتعلم أيضاً ضبط عمليات التبول والتبرز، وفوق هذا كله يتعلم الطفل القضم ويكون مُطالباً بأن يأكل كالكبار، وأن يتعود عادات الأكل ونظامه. كل هذه العادات والأساليب السلوكية الجديدة لا يتعلمها الطفل بسهولة، بل عن طريق المحاولة والخطأ، واكتساب المهارات المتعلقة بهذه العادات بالتدرج. وعلى الآباء أن يتحلوا بالصبر والحكمة في تعليم الطفل وتدريبه على هذه الأشياء إذا عرفنا أن لديه استعداد للعناد والحران.

ثانياً : النمو الانفعالي في الطفولة المبكرة :

الثورة الانفعالية :

هذه المرحلة من النمو يطلق عليها بعض علماء النفس "مرحلة الطفولة الصاخبة" أو أزمة النمو الأولى (باعتبار أن المراهقة هي أزمة النمو الثانية) لأن هذه المرحلة تنسم في بدايتها بالثورة الانفعالية الشديدة. يبدأ الصدام بين الطفل وبينته في أول المرحلة، ويصل إلى قمته في نهاية السنة الثالثة. ومظاهر هذه الثورة هي الحدة في الانفعالات، فكل انفعال عنده شديد عنيف. فهو عندما يفرح يفرح بشدة وعندما يغضب يغضب بعنف. ولا يقتصر الأمر على الشدة والحدة في الانفعال وإنما تتمثل الثورة أيضاً في التقلب المفجائي من حالة الفرح الشديدة إلى حالة الغضب الشديدة أيضاً. فهو يغضب لأتفه الأسباب غصبة شديدة ولكنه سرعان ما يتحول غضبه إلى الفرح والسرور إذا وجد ما يرضيه أو إذا أزيل سبب غضبه ولذلك فانفعالاته سطحية رغم عنفها.

أسباب الثورة الانفعالية :

١ - ربما كان سبب هذه الثورة هو رغبة الطفل في تأكيد ذاته. فهو قد تعلم المشى، كما تعلم الكلام، وأصبح يأكل كما يأكل الكبار، وأصبح عنده من القوة العضلية ما يجعله يقوم بألوان من النشاط لم يكن يستطيع أن يقوم بها من قبل كما أن خياله قد نما بدرجة كبيرة. وغدا الطفل في عامه الثالث يشعر وكأنه كائن جديد منطلق بعضلاته وبيخاله معا. وأصبح شخصا مختلفا عن ذلك المخلوق الضعيف الذى كان يعتمد على أهله اعتماداً كاملاً. والآن هو يريد أن ينطلق، ويريد ألا تعترض سبيله أية عقبات. وإذا حدثت الإعاقة يغضب ويثور، ويفرح ويسر عندما تتحقق رغبته.

٢ - يرتبط بالسبب السابق أن الطفل كما قلنا لا يدرك وحدات الزمن ولا يعترف إلا بما هو حاضر ولا يفهم معنى التأجيل والانتظار. فإذا أجل والده له رغبة فهو يحنّ ويثور لأنه يريد تحقيقاً فورياً وسريعاً لكل رغبة تطرأ على ذهنه وهو أمر يتعذر تحقيقه.

٣ - يضيف بعض الباحثين إلى السببين السابقين سبب ثالث وهو مولد الطفل التالى، مما يسبب غيرة شديدة للطفل، إذا وجد انصرافاً من والديه إلى أخيه الصغير. وربما يرجع هذا الرأى إلى أن الطفل لا يعرف الغيرة إلا فى منتصف عامه الثانى.

تكوين العواطف :

تستمر الثورة الانفعالية طوال العام الثالث. وفى العام الرابع تبدأ حدة الانفعالات تخف، وتستقر انفعالات الطفل وتنتج من التناقص إلى التكامل. فبعد أن ثمان الشخص موضوعاً لحب الطفل وكراميته حسب ما يصدر من هذا الشخص من سلوك يرضيه أو يغضبه، نجد أن هذا التارجح والتذبذب فى الانفعالات يقل حتى يستقر. ويصبح الشخص هدفاً لانفعال واحد، إما حباً وإما كراهية. وهنا نقول إن "العاطفة" قد تكونت. فالعاطفة هى عادة انفعالية ثابتة. وتتخذ من الأشخاص المحيطين بالطفل موضوعاً لها. ونتوقع أن تكون أول عاطفة فى حياة الطفل السوى هى عاطفة الحب ويكون موضوعها الأم أو من يقوم مقامها. فبعد أن كانت الأم موضع سخط الطفل ورضاه حسب تلبيةها لرغباته، تصبح الأم موضوعاً لحبه واحتوائه فى كل الحالات حتى فى المواقف التى ترفض فيها مطالبه أو تؤجلها، أو حتى حين تعاقبه. ثم يكون الطفل عاطفة نحو أبيه ثم إخوته وجيرانه وأقاربه حسب اتساع دائرة معارفه الشخصية.

عوامل انتهاء الثورة الانفعالية :

تنتهى الثورة الانفعالية فى غضون العام الرابع وأهم العوامل التى تساعد على انتهائها هى :

١ - بتكوين العواطف تبدأ ثورة الطفل الانفعالية فى الخمود، وتزول تماماً عندما تتسع دائرة معارفه، وتشمل إخوته وجيرانه وأقاربه. ويجد الطفل فى هذا المجتمع فرصة طيبة ليصرف طاقته الانفعالية فى التعامل معه مؤكداً ذاته داخل هذا المجتمع.

٢ - إدراك الطفل لبعد الزمن ومعرفته بأن من المطالب مالا يتحقق تحقيقاً عاجلاً بل يتأجل تحقيقه. ويساعده نضجه العقلى على ترتيب رغباته حسب أهميتها بالنسبة له.

٣ - مع نمو الطفل العقلى والاجتماعى يدرك أهمية حصوله على رضا الوالدين ويعرف أن السبيل للحصول على هذا الرضا هو طاعتهما والحرص على عدم عصيانهما وتجنب ما قد يضايقهما.

٤ - تكوين الأنا الأعلى - وهو مظهر من مظاهر النمو الاجتماعى والخلقى فى هذه المرحلة - يساعد الطفل على أن يتعامل مع المحيطين به من صغار وكبار بصورة أكثر موضوعية وثباتاً.

ثالثاً: النمو الانفعالى فى الطفولة المتأخرة

تتميز هذه المرحلة بالهدوء والثبات الانفعالى بصورة واضحة، وهى سمة غالبية على الجانب الانفعالى طوال المرحلة. ويؤثر هذا الهدوء فى الجانب الانفعالى فى شخصية الطفل على جوانب أخرى كالنمو الاجتماعى، كما أنه متأثر بالتطور العقلى الذى يبلغه الطفل فى هذه السن، مما يؤكد علاقة جوانب النمو وتسايقها، وأثر بعضها على بعض.

وهذه المرحلة الهادئة انفعالياً تتوسط مرحلتين كلاهما عنيف من الناحية الانفعالية، وهما مرحلة الطفولة المبكرة ومرحلة المراهقة. وكان انفعالات الطفل تمر بفترة استراحة تهدأ فيها وتترك المسرح لجوانب أخرى من النمو لتحقيق تنمهاً مميزاً. ولكن هذه الانفعالات ما تلبث أن تتطلق مرة أخرى فى بداية مرحلة المراهقة.

وقد أشرنا في الفقرة السابقة إلى عوامل انتهاء الثورة الانفعالية عند الطفل في مرحلة الطفولة المبكرة. ولا بأس من الإشارة إلى أهم العوامل التي تساعد الطفل على تحقيق فترة هدوء انفعالي تمتد طوال سنوات هذه المرحلة. وأهم هذه العوامل ما يأتي:

١ - بعد أن كان الطفل منحصراً داخل نفسه مركزاً كل اهتمامه على تحقيق مطالبه ورغباته. فإنه يتجه مع بداية هذه المرحلة إلى العالم الخارجي، فيبدأ في الالتفات إلى أشياء لم يكن يهتم بها من قبل، كما يبدأ في التعامل مع الآخرين، وخاصة أنه أصبح تلميذاً في مدرسة ويوجد يومياً وسط عشرات من أقرانه، ويتعود أيضاً للتعامل مع كبار آخرين غير والديه. وهذا التنوع والاتساع في دائرة الطفل الاجتماعية يصرفه عن التركيز على مطالبه الشخصية فلا تكون هناك مبررات للثورة والغضب والتوتر الدائم الذي كان سائداً في المرحلة السابقة مثلاً.

٢ - هناك أوجه كثيرة من النشاط تتيحها المدرسة والبيئة التي يخرج إليها الطفل، مما يوجد له مجالات جديدة ليعبر فيها عن طاقاته الجسمية والحركية والعقلية تعبيراً يأخذ أشكالاً أخرى غير العوان والغضب والغيرة.

٣ - ولا ننسى أن تنظيم انفعالات الطفل في شكل عواطف أو عادات انفعالية ثابتة يسهم كثيراً في نمو الطفل انفعالياً، ويجعل انفعالات الطفل في خدمة أهدافه الاجتماعية وليست في خدمة مطالبه الطفلية، وحيث تكون العواطف دوافع للسلوك الاجتماعي المرغوب فيه.

٤ - التطور الخلقى والاجتماعي الذي يطرأ على الطفل يجعله على استعداد للتنازل عن بعض رغباته أو تأجيلها وفقاً لمقتضيات الواقع وظروف المحيطين به. وهذا يقلل من فرص صدامه مع والديه أو إخوته أو أقرانه.

ولا يعني حديثنا عن الهدوء الانفعالي في هذه المرحلة أن الطفل لا يغضب، ولا يشعر بالغيرة، ولكن الحقيقة أن الطفل يخبر كل الانفعالات، ولكن الفرق أنه في هذه المرحلة يغير من طريقة تعبيره عن انفعالاته. فلم يعد ذلك الطفل الذي يضرب الأرض برجليه ويصرخ عندما لا يجاب إلى طلبه، بل أصبح يسلك بطريقة مختلفة، فهو قد يحتج لفظياً، وقد يناقش مشروعية طلبه، وقد يعاند إذا لم يقتنع. والطفل السوي لا يشعر بالغيرة كثيراً من إخوته وزملائه، وإذا شعر بها فإنه يعبر عن ذلك بالتهكم والسخرية والانتقاد اللفظي ممن يشعر بالغيرة تجاههم، كما أن الطفل لديه

مخاوفه ولكن مصادر الخوف تتغير، فبعد أن كان يخاف من الأصوات والأشياء الغريبة والحيوانات يخاف الآن من الأشباح ومن الخطرين والمجرمين الذين يسمع عنهم.

ويرتبط بالنمو الانفعالي في هذه المرحلة نمو الميول. فمما لا شك فيه أننا في هذه المرحلة يمكننا أن نتحدث وبدرجة لا بأس بها عن الميول عند الطفل. وتختلف هذه الميول من طفل إلى آخر، ويظهر ذلك في تفضيله لمهنة معينة يريد أن يعمل بها عندما يكبر. وهذا التعبير اللفظي وإن تأثر بما يسمعه من الكبار حوله، وإن كان عرضه للتغير أيضاً، فإنه يعتبر مؤشراً لميول الطفل الدراسية والمهنية. ويصرف النظر عن الفروق الفردية التي تظهر بين الأطفال في هذه الناحية فإن هناك ميولاً عامة تميز هذه المرحلة. ففي النصف الأول منها يغلب على ميول الأطفال الجانب الحسى والحركى ويتمثل ذلك فى لعبهم، وفى النصف الثانى يظهرون الميل لتركيب الأشياء وصنعها. ويستطيع الطفل فى هذه السن أن يقوم بصنع الأشياء الدقيقة لأن العضلات الصغيرة لديه قد نمت وهو يجد لذة كبيرة فى صنع الأشياء وفكها وتركيبها. ويغلب عليه هذا الطابع العملى إلى نهاية المرحلة.

رابعاً: بعض مشكلات النمو عند الأطفال

يرى بعض العلماء أن كل الأطفال تقريباً يصدر عنهم بعض المشكلات السلوكية أو المخاوف أو القلق ولذلك كان علينا ألا نعد الطفل "عصابياً" أو "مشكلاً" إلا إذا حالت كثرة هذه الاستجابات أو حدثت بينه وبين أن يودى وظائفه على نحو مرض، أو حالت بينه وبين أن يستمتع بالتفاعل الاجتماعى السوى مع غيره من الناس.

وهم محقون فى ذلك لأن الطفل فى هذه السن يواجه كثيراً من الصعوبات ويعانى من كل من الإحباط والقلق والتوتر والخوف، وهو أمر طبيعى لأنه يدخل إلى عالم ملئ بالمثيرات بعضها سار وبعضها الآخر غير سار، وهو لم يكتمل إعدادة للحياة بعد، ولم تتم خبرته بالدرجة الكافية. ويزيد الأمر صعوبة أن الطفل فى هذه السن يمر بثورة انفعالية كما أسلفنا، ويغلب على سلوكه الإلحاح فى إجابة مطالبه بسرعة بدون تأجيل أو انتظار. ولذلك فإن صدور سلوك من الطفل يتم بالعناد أو التشبث أو التخريب لا يعد من قبيل الحالات المرضية أو الحالات غير الطبيعية التى تستدعى اهتماماً خاصاً، إلا إذا تكرر هذا السلوك بصفة دائمة واستمر مع الطفل فترة من الزمن.

والأساليب السلوكية "الطفلية" التي تعد أساليباً مشكلة متعددة ومتنوعة وغالباً ما تظهر على شكل مجموعات كأنها "زملة" أعراض لمرض معين. ويقسم بعض الباحثين هذه الأعراض كما تظهر في نهاية هذه المرحلة إلى أربع مجموعات هي:

أ - المجموعة الأولى: وتتألف من: السلوك العدوانى من قبيل كثرة الشجار - التقلبات المزاجية - السلبية - العناد - القابلية الشديدة للتهيج - الانفجارات الانفعالية - الغيرة - شدة الميل إلى المنافسة.

ب - المجموعة الثانية: وتشمل الانطواء - الخضوع - الخجل - غلبة النعاس على الفرد - التحفظ المفرط - قلة النشاط على المستوى العادى.

ج - المجموعة الثالثة: وفيها نجد الاستمناء - الاهتمام الجنسى غير العادى - التتهته أو اللجاجة.

د - المجموعة الرابعة: وتتضمن التبول اللاإرادى الليلى أو النهارى.

وهناك عوامل كثيرة ترتبط بانتشار هذه المجموعات عند الاطفال بعضها جسمى، وبعضها يتعلق بأسلوب تربية الطفل، وبأساليب الخاطئة التى يكون قد مارسها الآباء فى تنشئة الطفل ومعاملته، من قبيل القسوة الشديدة أو التقليل للمسرف أو التجاهل أو التفريق بين الأبناء فى المعاملة أو اتباع أساليب تخلق عنده شعور بالذنب، وبعضها الثالث يتعلق بالظروف والملابسات البيئية المحيطة بالطفل من قبيل طبيعة العلاقة بين الوالدين. فمن الثابت أن أطفال المنازل المنهارة - التى يندب الشقاق بين الوالدين فيها - يعانون من هذه الأعراض أكثر مما يفعل الأطفال الذين ينشأون فى بيوت يسودها الوئام والحب والعاطفة الدافئة. كما أن حرمان الطفل المبكر من أحد الوالدين أو كلاهما بالوفاة أو بالانفصال يخلق ظروفًا مواتية لظهور هذه الأعراض فى سلوك الأطفال.

ومشكلات النمو عند الأطفال كثيرة ومتعددة، وهى متعددة بتعدد الأسباب أو العوامل الكامنة وراءها. وتظهر هذه المشكلات كدلالة على اختلال النمو وخروجه على الخط الطبيعى أو السوى. ويعتمد العلماء فى تصنيف مشكلات الأطفال إما على الأسباب المؤدية لهذه المشكلات أو على الأعراض نفسها كما تتبدى فى سلوك الطفل. ولكل تصنيف مزاياه وعيوبه. وهناك من التصنيفات ما

يحاول أن يُدخل في اعتباره الأسباب والأعراض معاً. وسنعالج المشكلات التي تهمنا في هذه المرحلة من خلال تصنيف يهتم بكلا الناحيتين الأسباب والأعراض ويقسم هذه المشكلات إلى الأقسام الثلاثة الآتية :

القسم الأول : المشكلات التي تشمل الجوانب الانفعالية وهي المشكلات التي تلعب المعاملة الوالدية والظروف البيئية دوراً واضحاً فيها، ومنها مشكلات: العناد - الغيرة - المخاوف - الكذب - السرقة - البوال - اضطرابات الكلام.

القسم الثاني : المشكلات التي تشمل الجوانب الجسمية والحسية وهي مشكلات لا تلعب المعاملة الوالدية والظروف البيئية إلا دوراً طفيفاً جداً في بعضها فقط. ومن أمثلة هذه المشكلات: ضعف الحواس (الإبصار والسمع) - الشلل - الكساح - الكوربا - الأقرصا - الصرع.

القسم الثالث : المشكلات التي تشمل الجوانب العقلية والذهنية. وتتحصر في فئات الضعف العقلي. وهي مشكلات ولادية صرفة في الأغلبية الساحقة منها وهذه الفئات هي:

الفئة	نسبة الذكاء	نسبة وجودهم في المجتمع
المورونون	٦٥ - ٤٥	٣,١ %
البلهاء	٤٥ - ٢٥	٠,٦ %
المعتوهون	٢٥ - ٠	٠,١ %

وسنقتصر في حديثنا على القسم الأول من المشكلات لأنه القسم الذي يمكن للمؤثرات التربوية - ومنها المعلم والمدرسة - أن تلعب دوراً في علاجه، وفي وقاية الطفل منه. مع ملاحظة أن المشكلات الأربع الأولى تشيع في فترة الطفولة المبكرة، بينما تشيع الأربع الأخرى في الطفولة المتأخرة.

١ - مخاوف الأطفال:

يتعلم الطفل أن يخاف من بعض المثيرات وأن يقلق لظهورها، وبعض هذه المخاوف صحي ويؤدي وظيفة حيوية، كأن يحافظ الطفل على حياته أو على صحته. فإذا خاف الطفل أن يعبر الشارع وهو مزدحم بالسيارات المسرعة، أو خاف من الاقتراب من الموقد المشتعل، أو من النظر من الأماكن المرتفعة فإن ذلك خوف طبيعي. وتتغير مثيرات الخوف وإن بقي الخوف كإنفعال، فقد يخاف الطفل في البداية من الضوضاء والأشياء أو الأشخاص المرتبطين بها، ويتقدم السن يختفي الخوف من الضوضاء لكي يحل محله الخوف من الظلام واللصوص والمخلوقات الخرافية.

ومن أهم ما يثير مخاوف الطفل هو الخوف من فقدان حب والديه له. خاصة إذا كان يصدر من الوالدين ما يدعم هذا الشعور عنده. كذلك يرتبط الخوف من فقدان الأمن بالخوف من فقدان الحب، ويثوران لنفس الأسباب. فإذا افتقد الطفل الإحساس بالحب والإحساس بالأمن فقد غابت الدعامة الأساسية التي تبنى عليها الشخصية السوية، وأصبح متعزراً على الطفل أن يتمتع بالاستقرار الانفعالي فيما بعد.

ولكي نتغلب على مخاوف الأطفال يجب أن ندخل الطمأنينة على نفوسهم وأن نؤكد لهم دائماً أنهم موضع الرعاية والحب، وأن نعطي لهم تفسيرات مقبولة لكل الأحداث والوقائع التي يرونها غريبة. وألا تسخر الأم من ابنها إذا عبر عن خوفه من أحد الأشياء، بل يجب أن تبقى بجانبه وتطمئنه حتى يذهب خوفه، وحتى يبطل الاقتران الشرطي بين المواقف المثيرة للخوف وبين شعوره بالخوف. وبالطبع يجب أن نتحاشى أن نحكى للطفل قصصاً مخيفة سواء بقصد تسليته أو بقصد إخافته. وكلنا يعرف ما يحدث في بعض بيئاتنا عندما تلجأ الأمهات لتخويف أبنائهن وإجبارهم على الطاعة إلى سرد بعض القصص المخيفة بأبطالها المرعبين المشوهين مثل "أبو رجل مسلوخة" وغيرها، مما يكون له أسوأ الأثر على نفسية الأطفال.

٢ - الغيرة:

الغيرة انفعال مركب ينشأ من تفاعل الإحباط والقلق. والإحباط هو الفشل في تحقيق الرغبة، ويمتزج بالقلق والخوف من فقدان حب الوالدين وعطفهم. والغيرة

تحدث عند الطفل إذا ولد له أخ. وفي معظم الحالات يتحول جزء كبير من اهتمام الوالدين الذي كان مستأثراً به الطفل إلى الوافد الجديد. وقد لا ينتبه الوالدان إلى خطورة ذلك الموقف عندما يحولان كل اهتمامهما إلى الطفل الجديد مهملين طفلهم، الذي يجد نفسه دفعة واحدة كمهاً مهملاً بدون ذنب أو جريمة بعد أن كان موضع الرعاية والاهتمام. ولذلك فالغيرة تحمل عناصر الكراهية والعداء نحو الوليد الجديد، ويتمنى الطفل لأخيه بعض الأمنيات غير الطيبة، وقد يحاول إيقاع الأذى به. وقد تأخذ الرغبة في الانتقام من هذا الدخيل الذي شاركه في حب والديه صوراً أخرى، فينسب إليه أى تلف أو خسارة تحدث في البيت، وينعته بالأوصاف السيئة ويتسخط له الأخطاء ويعندها أمام الآخرين. وقد وجد الباحثون أن شعور الغيرة مرتبط بالروح الاتكالية عند الطفل، لأن الطفل الاتكالى يكون فى حاجة لعطف الوالدين ورعايتهما أكثر من الطفل غير الاتكالى، ولذلك يكون فقده لهذه الرعاية أكثر إيلاماً على نفسه، وبالتالي يكون أكثر حرصاً عليها وتشبثاً بها.

٣ - نوبات الغضب والعناد والصراخ :

تكثر هذه النوبات فى العام الثالث حيث قمة الثورة الانفعالية. وهى كما بيئنا إذا لم تكن متكررة وكثيرة الحدوث فهى ظاهرة طبيعية، لا شذوذ فيها، بل إنها سنة من سنن النمو السوى. ولكنها تعد مشكلة إذا تكررت كثيراً واستمرت فترات طويلة بحيث تصبح الطابع السائد لسلوك الطفل. والأسباب التى تثير غضب الطفل وعنده هى عدم رغبته فى الامتثال لأوامر الأم المتعلقة بالتغذية وبعمليات الإخراج والتدريب عليها وضرورة الالتزام بقواعد النظافة والنظام.

ويجب على الآباء ألا يقابلوا غضب الطفل بغضب مماثل، بل بالتفهم ومحاولة توضيح الأمور له وتشجيعه بكل الوسائل على أن يسلك السلوك المطلوب وأن يعتمد على نفسه، ويجب أن نتحاشى الأسباب التى تثير غضب الطفل. ولكن هذا لا يعنى أن نجيب طلباته تحت تهديده بالصراخ، لأن ذلك سيعلمه أن الصراخ وسيلة ناجحة للحصول على ما يستحقه وما لا يستحقه، ولن يعرف الحدود بين المسموح به وبين غير المسموح به.

٤ - السلوك التخريبى

وهذا السلوك أيضاً له مظاهره أو صوره الطبيعية باعتباره تعبير عن طاقة الطفل ولكنه يصل إلى درجة "المشكلة" إذا زاد عن حد معين. ويزيد هذا السلوك

عند الطفل الذى لا يجد لديه من الألعاب والأدوات ما يمتص طاقته الجسمية والعقلية. كما أن وجود الأماكن الفسيحة التى يستطيع فيها الأطفال أن يجرؤا وينطلقوا بحريتهم يقلل من فرص ميلهم نحو التخريب.

والتخريب هو بالدرجة الأولى رد فعل عند الطفل فى مواقف الإحباط والإعاقة وعدم الشعور بالراحة والأمان. وقد يكون التخريب أيضاً عند بعض الأطفال ناتج عن عدم تعليمهم المحافظة على الأثاث والأدوات والمقتنيات وكيفية الاستخدام الصحيح للأشياء، ومواجهة هذا السلوك تقتضى توفير فرص مناسبة ليصرف فيها الطفل نشاطه وحيويته مع تعليمه المحافظة على أدوات منزله وأثاثه.

٥ - الكذب :

هناك نوع من الكذب أساسه سعة الخيال، وهو يسود مرحلة الطفولة المبكرة وقد سبق أن تحدثنا عنه فى الفقرة السابقة. ويضيف علماء النفس الذين اهتموا بدراسة الكذب أنواعاً أخرى من الكذب إلى هذا النوع ويصنفون هذه الأنواع كلها باعتبارها كذب برئ. والأساس فى هذا التقسيم يعتمد على الدافع الكامن وراء السلوك أما النوع الثانى من الكذب فهو الذى يكمن وراءه دوافع نفسية معينة.

ومن أمثلة النوع الأول:

- كذب الخيال ويسمى أحياناً كذب أحلام اليقظة.
- كذب مرجعه قلة دراية الطفل بالواقع وقوانينه وعدم بقتة فى سرد الوقائع لضعف فى الملاحظة أو الذاكرة.
- كذب مرجعه رغبة الطفل فى القيام بعمل يؤكد فيه ذاته فهو قد يكذب ليحمى صديقاً من العقاب.

وهذا النوع من الكذب ليس له خطورة فى سلوك الطفل، بل أن معظم الأطفال يمارسون صنفاً أو آخر من هذا النوع. وغالباً ما يزول هذا الكذب بمجرد توجيه الطفل وتوضيح الأمور له، خاصة وأن العوامل الكامنة وراء هذا النوع مرتبطة بمستوى معين من النمو العقلى والإدراكى، ولحسن الحظ أنها تنتهى بوصول الطفل إلى مستوى أعلى.

أما النوع الثانى من الكذب فهو الذى توجد وراءه دوافع نفسية مختلفة، حيث يوجد الطفل فى بيئة تخلق لديه بعض الدوافع السلبية التى تدفعه إلى الكذب وهذه أهم أصناف هذا النوع وتعرف بدوافعها الكامنة وراءها.

– الكذب الانتقامى :

وفيه يكذب الطفل ليوقع الأذى بطفل آخر كنوع من الانتقام إذا كان لا يستطيع مواجهة هذا الطفل. ويرتبط هذا الكذب بضعف الأنا الأعلى. ويلجأ كثيراً من أطفال المدرسة الابتدائية إلى هذا النوع إذا وجدوا من المعلم استجابة لشكاياتهم وميلاً إلى العقاب بدون التحقق من المخطئ.

– الكذب الدفاعى :

وفيه يكذب الطفل ليدفع عن نفسه الأذى. وهو أكثر أنواع الكذب انتشاراً فى هذه المرحلة. فالطفل يسرع إلى الإنكار عند مواجهته بخطأ ارتكبه أو بعمل أتاها ترتب عليه إفساد أو إتلاف بعض الأشياء.

– الكذب الادعاءى :

وفيه يكذب الطفل ليعوض شعوراً بالنقص يعانى منه سواء كان هذا النقص حقيقياً أو متوهماً. ويلجأ إليه الأطفال الذين لا يجدون مجالاً يؤكدون فيه ذواتهم، كما يلجأ إليه الأطفال إذا وجدوا فى مواقف يشعرون فيها أنهم أقل من الآخرين حظوة أو مكانة أو تقوقاً. وبصفة عامة لا يقترب هذا النوع من الكذب إلا الأطفال الذين يعانون من شعور دفين بالنقص. وهو ما نشاهده أيضاً عند الكبار.

– الكذب الأمانى :

وفيه يكذب الطفل لتحقيق مصلحة لنفسه أو ليمنع نفعاً لزميل لا يحبه. ويرتبط هذا النوع أيضاً بدرجة النمو الخلقى عند الطفل، ونوع النموذج أو القدوة التى كانت متاحة أمامه خاصة المتمثلة فى الوالدين.

وإذا كان النوع الأول لا يسبب إزعاجاً لأنه يختفى مع تقدم النمو. فإن النوع الثانى يحتاج بالضرورة إلى نوع من التوجيه والإرشاد النفسى على أيدي

الاحصائيين الاجتماعيين والنفسيين، لأن الطفل يكون قد اكتسب هذا السلوك كوسيلة خاطئة للتكيف. وفي معظم الحالات يحتاج الآباء أيضا إلى نوع من التوجيه. ويقوم علاج هذه الحالات على معرفة دوافع السلوك ووضع خطة لعلاجها تهدف إلى إعادة تكيف الطفل تكيفا صحيحا. ولكل حالة فردية نوع خاص من العلاج يتوقف على ظروفها. ولكن هناك بعض المبادئ العامة توجه إلى آباء هؤلاء الأطفال ونقيد في هذا السبيل أهمها:

- ١ - توفير جو المحبة والشعور بالأمن للطفل حتى لا تتولد لديه الكراهية التي تدفعه إلى الكذب الانتقامي.
- ٢ - توضيح الأدوار الاجتماعية للطفل بحيث لا يلجأ إلى الكذب الذي يحاول فيه بحسن النية أن يساعد الآخرين، وحتى يعرف الحدود الصحيحة للحقوق والواجبات.
- ٣ - التسامح مع الأطفال في بعض المواقف، مع شرح أخطائهم لهم وإعطائهم فرصة لتصحيح ما يقعون فيه من أخطاء أو سلوك غير مرغوب فيه.
- ٤ - عدم عقاب الطفل العقاب الشديد لأن الخوف من العقاب من أهم الدوافع التي تلجئ الطفل إلى الكذب. وأن يكون العقاب إذا حدث معتدلا يتناسب مع نوع الخطأ وأن يعرف الطفل لماذا يعاقب.
- ٥ - ألا يُسمح للطفل أن يقلب بكذبه بل يجب أن نعلمه أننا عرفنا سلوكه وأن نعطيهِ الفرصة لتجنب الكذب حتى لا يتدعم سلوك الكذب لديه كوسيلة لتحقيق رغباته وللتخلص من المآزق التي يقع فيها.

٦ - السرقة :

يجب من البداية أن ننبه إلى أن السرقة عند الطفل لها مدلول يختلف عن المدلول الذي لدينا نحن الكبار، فالسرقة لدينا عمل مشين ويتنافى مع القيم. ولذا نستطيع أن نتصور مدى انزعاج الأب عندما ترسل المدرسة إليه لأن ابنه قد سرق. إنه يضطرب اضطرابا كبيرا لا يحدث له إذا قيل له إن ابنه متخلف في الدراسة أو أنه اعتدى على أحد زملائه أو أنه منطو على نفسه ولا يشارك في النشاط المدرسي، أو أنه عنيد لا يستمع إلى توجيهات مدرسية، وكلها مشكلات سلوكية تعبر عن سوء تكيفه في المدرسة. والسبب يرجع كما قلنا إن للسرقة مغزى معين

لدى الكبار. فالأب هنا لا يعتبر نفسه قد فشل فى تعليم ابنه العلم والثقافة بل والسلوك الطيب نفسه، وأن الطفل مهتد بالانحراف الخلقى. وقد ينكر الأب على المدرسة اتهامها لابنه، ويدعى أن ابنه من بيئة كريمة لا يخرج منها من يأتى هذا المنكر. إن السرقة عند الطفل ليس لها هذا المنلول الاجتماعى الأخلاقى. بل إننا سنجد أنواعا من السرقة بل كثير منها يأتية الطفل لدوافع بعيدة كل البعد عن دوافع السرقة عند اللصوص من الكبار. وهذه أهم أنواع السرقة مصنفة حسب الدافع إليها.

١ - قد يسرق الطفل ليسد الرمق أو ليشبع دافع الجوع لديه. وتكون السرقة هنا منصبة إما على أنواع من الطعام أو على النقود. وهى نادرة الحدوث وتكاد تكون مشكلة اجتماعية أكثر منها مشكلة سيكولوجية، أى أنها تدخل فى نطاق المهتمين بالإصلاح الاجتماعى ومشكلات المجتمع ونظام العمل والأجور وتوزيع الثروة فيه، أكثر مما تدخل فى نطاق الأخصائيين النفسيين والأخصائيين الاجتماعيين.

٢ - قد يسرق الطفل شيئا لأن لديه رغبة فى استخدام أو امتلاك هذا الشئ. فإذا وجد الطفل مع زميل له إحدى الأدوات المدرسية وراقته فى الوقت الذى لا يمتلك مثلها، فقد يفكر فى سرقتها واستخدامها فى خفية ليستمتع بلذة ملكيتها واستعمالها. وفى هذه الحالة لا يسرق الطفل إلا ما يروقه من أشياء فلا يسرق نقوداً مثلاً. وفى بعض الحالات يعيد الطفل الشئ المسروق خفية أيضاً بعد أن يكون قد استخدمه وحقق رغبته، ولم يصبح له هذا البريق والجاذبية لديه.

٣ - يرتبط بالنوع السابق من السرقة نوع آخر يمكن تسميته "بالسرقة البريئة" إذا جاز التعبير، حيث يمد الطفل يده ليأخذ ممتلكات غيره من إخوته وزملائه لأنه يرغب فى استخدامها وليس فى ذهنه فكرة عن مشروعية ما يفعل لأنه لا يفهم معنى الملكية الخاصة، وأن هذه الملكية تعنى ألا يستخدم أشياء الغير إلا بإذنه وإلا عد ذلك اعتداء على حقوقه، وحتى لو نبهته أمه فإنه قد يفعل مرة أخرى لأن المعنى لم يرسخ فى ذهنه. ولذا نجده قد يستخدم الأشياء المسروقة أمام أصحابها لأنه لا يتصور أنه فعل أمراً خاطئاً.

٤ - فى الأنواع الثلاثة السابقة كان الطفل يسرق لأنه يحتاج إلى الشئ المسروق. ولكن هناك حالات يسرق فيها الطفل، ولا يكون فى حاجة إلى ما يسرقه وإنما لأن السرقة كسلوك تحقق عنده رغبة أو تشبع لديه دافع. فالطفل قد يسرق فى المواقف التى تثار فيها غيرته الشديدة. فقد يسرق من والديه إذا وجد أنهما انصرفا عنه وأهملا شأنه. والسرقة هنا انتقامية كرد فعل لتجاهل الوالدين له. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قد تكون السرقة نوع من التفتيس عن غضبه وحنقه المكبوت. ولذا فقد تكون الأشياء المسروقة من أشياء الوالدين وقد لا تكون، وقد يلجأ الطفل إلى سرقة زميل له يحقد عليه أو يشعر بالضيق منه أو بالغيرة تجاهه ولا يستطيع مواجهته، فيسرق أدواته وقد يحطمها لأنه لا يحتاج إليها وإنما يسرقها بقصد الانتقام.

٥ - هناك نوع آخر من السرقة أيضاً يرتبط بنقص الحب والرعاية اللذين ينبغى أن يتلقاهما الطفل من الوالدين أو من المحيطين به بصفة عامة. وفى هذا النوع يختار الطفل أحد الأقرباء أو أصدقاء الأسرة أو من مدرسية يستريح له ويتوسم فيه موضوعاً لحبه وغالباً ما يكون من جنس مخالف. ويرغب الطفل فى أن يقيم معه علاقة عاطفية تعوضه الحنان المفقود. فإذا لم يستجيب هذا الشخص له، ولم يلتفت إليه فإن الطفل لا يستطيع مواجهة هذا الصدد، ولا يتحمل ذلك الحرمان، ويمضى فى إصرار لاقامة العلاقة، ولكنها تكون فى الخيال بالدرجة الأولى. وهنا يلجأ الطفل إلى سرقة أحد الأشياء من ذلك الشخص وفى العادة لا يكون للشئ المسروق قيمة مادية تذكر. ولكن الطفل يسرق هذا الشئ ويضعه فى مكان - أمين ويتفحصه بشوق وهيام ويجد فى الاحتفاظ به استمراراً للعلاقة ولذا يحرص عليه جداً، وإذا فقده فإن علاقته بموضوع حبه واهتمامه تتهدد. ويسمى علماء النفس هذه الظاهرة "بالأثرية" (Fethism) إشارة إلى أن هذا الشئ المسروق يمثل أثراً من آثار المحبوب.

وعلاج السرقة كعلاج الكذب ينصب على معرفة السبب وراءه. ونجد أن الثلاثة أنواع الأولى هى من النوع المباشر الذى يختفى، لو توافر الشئ المسروق للطفل، مع ضرورة توجيهه وإرشاده وتقوية الوازع الخلقى لديه، مع تقديم النموذج الطيب أمامه من السلوك دائماً، وكذلك من الواجبات التربوية اللازمة فى هذا الموقف توضيح مفهوم الملكية الخاصة للطفل، وضرورة احترام ملكيات الآخرين حتى يحافظوا على ملكيته الخاصة.

أما النوعين الآخرين فهما يحتاجان إلى الإرشاد النفسى وتبصير الأهل العاطفة فى حياة الطفل. وبصفة عامة فيجب أن يلقى الطفل معاملة طيبة و العطف والتفهم. كما يجب ألا نسرع بالإصاق تهمه السرقة بالطفل قبل التّحَقُّ ذلك وأن نناقشه بموضوعية حول سلوكه ونبصره بمواطن الصواب والخط انفعال أو عصبية حتى نستطيع أن نغيّر من سلوكه لأن منلول سلوكه لا يحه ما لدينا كما ذكرنا.

٧ - البوال :

يتعود الطفل عادة أن يضبط مثانته نهرا في خلال عامه الثانى كما يه يضبطها ليلاً خلال عامه الثالث. ولكن يحدث أن بعض الأطفال يستمر به السن فى التبول ليلاً أو نهراً. وقد يمتد هذا السن مع البعض حتى يصل إلى العاشرة وأكثر من ذلك. وهو يسمى بالبوال أو التبول اللاإرادى ويرجع البوال إلى إحدى المجموعتين الآتيتين، أو كليهما.

المجموعة الأولى :

وهى المتعلقة بالناحية العضوية كوجود عيوب فى الجهاز البولى مثل المخارج البولية أو التهابها، أو وجود خلل فى عضو آخر ولكنه يؤثر على البولى، مثل بعض أمراض النخاع الشوكى، وقد يكون العيب فى الجهاز البولى النوع الوظيفى، حيث تضطرب وظيفة الجهاز بدون وجود عيوب عضوية فيه، هذا الخلل الوظيفى قد يحدث بسبب بعض الأمراض مثل الالتهاب والانتكاستوما ووجود البول الحمضى المركز والضعف الجسمى العام الذى على فقر الدم وسوء التغذية واضطراب الجهاز العصبى.

المجموعة الثانية :

وهى المتعلقة بالناحية السيكولوجية وهى أن يشعر الطفل بالإحباء والحرمان من والديه والمحيطين به أو أن تحدث بعض الأمور حوله تشعر والفرع وفقدان السند. ولذا نجد هؤلاء الأطفال يتبولون على أنفسهم مباشرة وقوفهم فى المواقف التى يشعرون فيها بهذه المشاعر كما لو كان التوت الذى يعانون منه يعطل وظيفة المثانة فى ضبط البول والتحكم فيه.

وكثيراً ما تتضافر المجموعتان معا فى خلق البوال عند الطفل ويمكن تلخيص علاج هذه الحالات فيما يلى :

١ - يفحص الطفل فحصا جسيما خاصة جهازه البولى وإذا ثبت أن به ضعفا من أى نوع أعطى الطفل العلاج المناسب من العقاقير التى تقوى الجهاز البولى وتساعده على أداء وظيفته، ولهذه العقاقير وظيفة سيكولوجية أخرى هى أنها تخفف من شعور الطفل بالقلق والتوتر وإذا كان بالطفل أمراضاً أخرى أعتقد الطبيب أنها تؤثر على الجهاز البولى فيقدم لها العلاج المناسب.

٢ - أما إذا ثبت أن الطفل خاليا من العيوب العضوية فإن العوامل الأساسية تنحصر فى العوامل النفسية، وتكون المسئولية هنا كاملة على الوالدين والمحيطين بالطفل أو فى المدرسة. ويمكن أن يلاحظ الأبوان فى منزلهما الجوانب الآتية فى مواجهة هذه الحالات : -

- التحلى بالصبر فى التعامل مع الطفل حيث لا يزيد إحساس الطفل بالذنب خاصة وأن الأسباب المؤدية إلى ذلك خارجة عن إرادته.

- محاولة تشجيع الطفل وبث الثقة فى نفسه وإفهامه أن هذا السلوك عرضى ووقتى، وأنه يستطيع أن يتغلب عليه إذا استمع إلى كلام الأبوين، ويحسن ألا يصدر من الأبوين سلوك يشعر الطفل بأنه أقل من الآخرين كالمقارنة بينه وبينهم.

- أن تنظم الأم مواعيد تبول الطفل حتى يساعده ذلك على ضبط مثانته وأن تعمل له نوع من التدريبات للمثانة فيمكنها بالنهار أن تعمل على إطالة المدة بين مرات التبول حتى يتعود التحكم فى هذه العملية.

- أن تحرص الأم على ألا يشرب الطفل كميات كبيرة من الماء قبل أن يذهب إلى الفراش حتى لا تكون مثانته مليئة، كما يمكن إيقاظه بعد نومه بساعتين أو فى وسط الليل ليفرغ ما فى مثانته، كما تحرص الأم على تدفئة الطفل جيدا أثناء نومه لأن تعرضه للبرد يضعف تحكمه فى البول.

٨ - التتهية :

أكثر أمراض الكلام انتشاراً فى مرحلة الطفولة المتأخرة هى التتهية أو اللججة وهى تردد أحد الحروف أو أحد المقاطع فى الكلمة أكثر من مرة. وقد

أكثرنا أن نعرض للتهته من بين أمراض الكلام لأنها أكثر أمراض الكلام انتشاراً في المدرسة الابتدائية ولأنها أكثر أمراض الكلام تأثراً بالعوامل النفسية وهي ما تدخل في اختصاص المعلم أكثر من غيرها.

والكلام مهارة معقدة لأنها تعتمد على عدد كبير من الأجهزة العقلية والعصبية والجسمية تعمل معا في توافق دقيق وأي خلل عضوى أو وظيفي في أحد هذه الأجهزة ينتج عنه اضطراب في النطق والكلام. ومن الأجهزة التي تشترك في عملية الكلام مناطق الكلام في المخ والحجاب الحاجز والحبال الصوتية في الحنجرة والرئتين والتجويف الأنفي واللسان والشفنتين. كل هذه الأجهزة تعمل معا وبصورة غاية في الدقة والتكامل ليستطيع الإنسان أن ينطق ويتكلم.

ومن هنا تكثر الأسباب المؤدية إلى أمراض الكلام ويصنفها علماء النفس إلى المجموعات الآتية:

١ - الأسباب العقلية :

كالضعف العقلى وهى الفئات التى يقل ذكائها عن نسبة ذكاء ٥٠ حيث أن الكلام عملية عقلية سواء فى اختيار الكلمات أو تركيب الجمل.

٢ - الأسباب الجسمية :

كإصابة أحد أجهزة الجسم التى تشترك فى عملية الكلام كالرئتين أو التجويف الأنفى أو الحنجرة.

٣ - الأسباب العصبية :

كإصابة مركز الكلام فى المخ حيث أن سلامة هذه المراكز شرط ضرورى لقيام الإنسان بهذه الوظيفة بصورة طبيعية.

٤ - الأسباب السمعية :

الكلام هو ربط بين الموجات الصوتية التى تصل إلى سمع الفرد وبين الموجات الضوئية التى تصل إلى عين الفرد. وهنا يربط الفرد بين شكل الشئ واسمه الذى يطلق عليه. فإذا تعطلت وظيفة السمع تعطلت بالتالى وظيفة الكلام. وكثير من فاقدى النطق هم أصلا فاقدى السمع وإذا عولج السمع لديهم تمكنوا من النطق والكلام.

٥ - الأسباب النفسية:

مثل الخوف والرغبة والتوتر والصراع الشديد. فكل هذه الحالات النفسية العنيفة تحدث للإنسان تعثر مؤقت في النطق والكلام وإذا تكررت هذه المواقف كثيراً في حياة الفرد أصبح هذا التعثر عادة دائمة عند الفرد، وهي التتهمة أو اللججة.

والتتهمة كأحد أمراض الكلام قد ترجع لأى من الأسباب السابقة خاصة الأسباب الجسمية أو الأسباب العصبية أو الأسباب النفسية. وتبرز الأسباب النفسية بصفة خاصة في المقدمة. والأسباب النفسية تتمثل في البيئة التي لا تهين معاملة سيكولوجية سليمة متوازنة للطفل. فالتنليل المسرف والحماية الزائدة والفرقة في معاملة الأبناء والتباين بين معاملة الوالد ومعاملة الوالدة والرفض والقسوة الشديدة كل هذه الأساليب التربوية الخاطئة تساعد على خلق التوتر والصراع الحاد في نفسية الطفل وتعلمه استجابات الخوف والهلع. ولا ننسى أن نضيف إلى الأسباب المؤدية إلى التتهمة إجبار الطفل الأعسر على استخدام يده اليمنى بدلاً من اليسرى.

هذا التوتر العنيف يجد له متنفساً جسدياً وهو ما يسمى بظاهرة "التبدين" أى اختيار الكائن الحي الذى يعانى من الصراع والتوتر لأحد أعضاء جسمه ليحل الصراع وينهى التوتر عن طريقه. ويظهر هذا الحل على شكل خلل في الوظيفة التى يؤديها هذا العضو أو على شكل شلل كامل للعضو. وفي الحالات الشديدة يكون الشلل لنصف الجسم طويلاً أو عرضياً وقد يكون شللاً كاملاً للجسم كله. ولا يتم اختيار العضو الذى يتعرض للشلل مصادفة وإنما لابد من توافر شرطين لحدوث هذا التبدين.

الأول : أن يكون لهذا العضو علاقة بالصراع، بحيث يؤدي توقفه إلى إعفاء المريض مما يعانيه من صراع وتوتر.

الثانى : أن يكون هذا العضو ضعيفاً بالقياس إلى أعضاء الجسم الأخرى.

وكل الأمراض والأعراض الهستيرية من هذا النوع. وبناء على ما ذكرناه من أن هذا العضو أو هذه الوظيفة تتسم بالضعف نجد أن معظم المصابين بالتتهمة لديهم عيوباً ما في بعض أجهزة النطق والكلام.

أما علاج التهتهة فيركز في شقين، أولهما نفسى والثانى كلامى. أما الشق الأول فينحصر فى دراسة الظروف النفسية ونوع المعاملة التى تلقاها وطبيعة العلاقات السائدة فى منزله ومحاولة ترشيدها وتنقيتها مما قد يكون بها من شوائب أو انحرافات وإعادة الثقة والطمأنينة إلى نفس الطفل وإشعاره بالأمن والتقدير والتقبل وتجنبيه مواقف الإحباط والفشل القاسية. وفى المدرسة لا ينبغي أن يشركه المعلم فى بداية العلاج فى مواقف تكشف هذا القصور لديه، فلا يكلفه المدرس بالقراءة الجهرية أمام زملائه فى الفصل. أما الشئ الثانى فهو تدريبه على النطق الصحيح، وهذه يقوم بها أخصائىون نفسيون متخصصون فى أمراض النطق والكلام.

أسس عامة تراعى عند علاج هذه المشكلات

١ - "إن الوقاية خير من العلاج" هذا المبدأ يسود ميدان الصحة النفسية كما يسود ميدان الصحة الجسمية. بل إنه أكثر صحة فى الميدان النفسى، لأن الآثار السيئة التى تظهر على سلوك الطفل من جراء أخطاء التربية أو الجو الأسرى الفاسد ليس من السهل محوها. والعلاج النفسى يستغرق شهوراً وربما سنين ومن هنا فإن معرفة الشروط السليمة للنمو الطبيعى ومحاولة تحقيقها بقر الإمكان، أجدى بكثير من أى علاج مهما بلغت كفاعته.

٢ - فى الميدان النفسى كل مريض حالة خاصة قائمة بذاتها، بعكس ما يسود ميدان الطب الجسمى حيث يمكن وصف علاج واحد لكل مريضى الكبد أو القلب، ولكن فى ميدان الطب النفسى فإن كل مريض حالة خاصة قائمة بذاتها ولا يمكن أن يوصف علاج واحد لكل مريضى الهستيريا أو الوسواس أو الاكتئاب أو الفصام. وما يحدد لهم من عقاقير يتعاطونها ليست علاجا كاملا ولا يمكن الإقتصار عليها، ولا بد من تناول ظروف المريض الخاصة ومعالجة الدوافع الكامنة وراء المرض، فى محاولة لإعادة بناء شخصيته من جديد. وحتى فى ميدان الاضطرابات السلوكية والأعراض البسيطة مثل المشكلات التى عرضنا لها آنفا فلا بد من دراسة ظروف المريض البيئية والعائلية والنفسية، ونوع علاقاته مع المحيطين به، ثم تحديد طبيعة العوامل المسببة للأعراض ثم وضع العلاج على هذا الأساس. ولذا فلا يوجد علاج واحد لحالتين ولو متشابهتين فى الأعراض.

٣ - يرتبط بالنقطة السابقة نقطة أخرى هامة، وهى أن التشابه فى الأعراض لا يعنى التشابه فى الأسباب والعوامل المؤدية لهذه الأعراض. فقد نجد مجموعة من الأطفال يسرقون أو يكذبون ولكن كل منهم يسرق أو يكذب لأسباب خاصة ودوافع معينة تختلف عن الدوافع الموجودة عند الآخرين وهكذا. ومن الزوايا الأخرى فإن وحدة الأسباب لا تخلق أعراضاً أو أمراضاً واحدة. فقد يتعرض طفلين لعوامل تربوية واحدة ويختلف سلوكهما تماماً بعد ذلك. فقد تؤدي القسوة فى المعاملة الوالدية إلى انطواء الطفل وإلى إثارة المشكلات المرتبطة بالناحية الجنسية، وقد تؤدي القسوة أيضاً إلى سلوك الجموح والشغب والتخريب والعنوان، وقد تؤدي أيضاً إلى أعراض هستيرية. وقد تحدثنا فى الفقرة السابقة عن ظاهرة التبدل، وهى حل الصراع النفسى عن طريق توقف أحد أعضاء الجسم عن العمل ليعفى المريض من التوتر والصراع. وهكذا فالسبب الواحد ينتج أعراضاً مختلفة، كما أن العرض الواحد ينتج عن أسباب مختلفة. وهكذا تتعقد خريطة الديناميات النفسية، وتؤكد صعوبة التشخيص أولاً والعلاج ثانياً واستحالة النمطية فى هذا المجال ثالثاً.

٤ - فى مجال علاج الاضطرابات السلوكية عند تلاميذ المدرسة الابتدائية وهم أطفال مرحلة الطفولة المتأخرة يجب التعاون الكامل بين المنزل والمدرسة. فلا يمكن للمدرسة ممثلة فى المعلم أو الأخصائى الاجتماعى أو الأخصائى النفسى بالوحدة الصحية أن يعرف شيئاً عن ظروف الطفل المنزلية والعائلية إلا بتعاون المنزل الوثيق والصادق معه، كذلك لن يستطيع أن ينفذ خطة العلاج إلا إذا فهمها الوالدان واقتنعا بأهميتها وضرورتها. مع ملاحظة أن معظم هذه الحالات يحتاج الأمر فيها إلى تنوير وتنقيف وتوعية الوالدين بأساليب المعاملة الوالدية الصحيحة، وبالشرط البيئية المناسبة التى توفر للأطفال سبل النمو الطبيعى.

٥ - تؤكل كل الدراسات والشواهد اليومية أيضاً أهمية البيئة التى يعيش فيها الطفل والمعاملة الوالدية التى يتلقاها فى المنزل. وقد ظهرت هذه الأهمية خلال عرضنا لمشكلات الطفولة المبكرة والمتأخرة بحيث لا نحتاج إلى مزيد من التأكيد ولا نجد ختاماً لهذه الفقرة سوى عبارات "اليزابيث هيرلوك" عن هذا الموضوع:

- " إذا عاش الطفل في بيئة تتعده
" وإذا عاش في بيئة تكرمه
" وإذا عاش في بيئة تخيفه
" وإذا عاش في بيئة تشفق عليه
" وإذا عاش في بيئة حقودة
" وإذا عاش في بيئة تشجعه
" وإذا عاش في بيئة متساهلة
" وإذا عاش في بيئة تمدحه
" وإذا عاش في بيئة تقبله
" وإذا عاش في بيئة توافقه
" وإذا عاش في بيئة تتصفه
" وإذا عاش في بيئة تأتمنه
" وإذا عاش في بيئة تؤمنه
" وإذا عاش في بيئة تصادفه
- تعلم أن يلعن الآخرين "
تعلم أن يحارب الآخرين "
تعلم أن يكون متوجسا للشر "
تعلم أن يأسى على نفسه "
تعلم الإحساس بالذنب "
تعلم أن يثق في نفسه "
تعلم أن يكون مريضاً "
تعلم أن يكون قادراً "
تعلم أن يكون مُحِبّاً "
تعلم أن يحب نفسه "
تعلم أن يقدّر العدالة "
تعلم أن يقدّر الصدق "
تعلم أن يتعامل بصدق مع نفسه
ومع الآخرين "
تعلم أن العالم مكان يستحق أن
يعيش فيه "

الفصل الرابع

النمو الاجتماعي والخلقى فى الطفولة

أولاً : النمو الاجتماعي فى سنتى المهد :

لا تكون للطفل حياة اجتماعية بالمعنى المعروف فى بداية هذه المرحلة، وإنما تكون الأنشطة المرتبطة بإشباع حاجاته الفسيولوجية هى محور حياته، ولكن ذلك لا يمنع من أن الطفل يشعر بذاته فى هذه المرحلة. أى أن الأنا كجهاز نفسى يتكون فى هذه السن، ويستطيع الطفل حينئذ أن يميز بين ذاته وبين الآخرين ويظهر ذلك فى استخدامه للكلمات "أنا وأنت". كما يبدى بعض مظاهر الإنصات والاستجابة لما يدور حوله من مثيرات صادرة من المحيط الاجتماعى. ويبدو أيضاً فهم الطفل للحياة الاجتماعية فى لعبه وفى حديثه إلى عرائسه ودميه. كل ذلك يجعلنا نقول إن بدايات الحياة الاجتماعية تظهر فى أول العام الثانى، حيث يصبح الطفل مهيناً ليخبر ألوان أوسع من الممارسات الاجتماعية.

ويمكن أن نذكر بعض صور السلوك التى تبين تطور الوعى الاجتماعى عند الطفل خلال سنتى المهد :

الشهر الأول : يستجيب للأصوات البشرية بتحريك شفثيه.

الشهر الثانى : يدور برأسه ليواجه الأصوات التى تصل إليه ويكف عن البكاء عندما يحمل أو يربت على ظهره.

الشهر الثالث : يبسم عندما يرى المحيطين به يبسمون له.

الشهر الرابع : يبكى عندما يترك وحده ويكف عن البكاء عندما تحادثه والدته ويستطيع التعرف عليها.

الشهر السابع : يستطيع تقليد التصفيق والتحية. ويميز استجابات الرضا واستجابات الغضب من جانب الكبار.

الشهر الثامن : يحاول تقليد أصوات الآخرين.

نهاية السنة الأولى : يستجيب للنواهي. يخفى وجهه عن الغرباء.
منتصف السنة الثانية: يمكن أن يعصى بعض ما يصدر إليه من أوامر إذا كانت لا تروقه.

نهاية السنة الثانية: يستمتع بالمساعدة في أداء بعض الأعمال المنزلية، ويفعل ذلك تأكيداً لذاته وليس تنفيذاً لأوامر أحد.

ثانياً : النمو الاجتماعي في مرحلة الطفولة المبكرة:

يخطو الطفل خطوات واسعة على درب النضج الاجتماعي في هذه المرحلة وأهم ملامح النمو الاجتماعي في مرحلة الطفولة المبكرة ما يأتي :

١ - يشعر الطفل شيئاً فشيئاً بفرديته. ويبدأ في إدراك ذاته ككيان مستقل ومنفصل عن الآخرين، وأن له صفاتاً وسماتاً تميزه عن غيره. ويترتب على ذلك أن الطفل يريد أن يؤكد ذاته النامية، فنجده يقوم ببعض الأعمال المنزلية كأن يساعد والدته في أداء بعض المهام. كما يحاول أن يقوم ببعض الخدمات الشخصية لنفسه فنراه يحاول تغيير ملابسه وربط حذائه. وهو يؤدي هذه الأعمال تأكيداً لذاته وإثباتاً لشخصيته وليس امتثالاً لأوامر أحد. لأنه كثيراً ما يعصى أوامر والديه ويعاندهما.

٢ - إذا كان لعب الطفل في المرحلة السابقة انعزالياً فلهذه في هذه المرحلة فردية، بمعنى أنه قد يلعب مع الآخرين في مكان واحد، وقد يتبادل معهم الحديث ويستجيب لملاحظاتهم، ويحدث بينه وبينهم درجة من التفاعل الاجتماعي ولكنه مع ذلك يحتفظ بلبه لنفسه ويرفض أن يشارك مع غيره في لعبه جماعية من ألعاب الفريق (مثل كرة القدم).

٣ - من دلائل نضج الطفل اجتماعياً وتشربه للثقافة التي يعيش فيها أنه يستطيع أن يرد على كثير من الأسئلة بما يحقق مصلحته، ولو كان الرد يخالف الحقيقة كان يريد أن يدفع عن نفسه عقاباً أو يوقع العقاب بغيره أو يجلب لنفسه نفعاً. ويلعب الخيال النامي في هذه المرحلة دوراً في انتحال هذه المعانير. ولا يمكن من الوجهة السيكلوجية أن نسمي هذا السلوك كذباً، وإن بدا من الناحية الشكلية أنه كذلك وإنما هو وسيلة من وسائل التكيف مع الحياة

الاجتماعية التى بدأ يتكشفها حوله. ويجب أن يعامل الطفل على هذا الأساس، لأن هذا السلوك عند الطفل ليس له نفس الدلالة التى لدينا نحن الكبار عنه.

٤ - يحدث فى هذه المرحلة بدايات انخراط الطفل فى جنسه. وتبدأ الثقافة تعمل عملها بالنسبة لتصنيفه سيكولوجيا واجتماعيا حسب جنسه، وهو ما يسمى بعملية التمييز الجنسي، فالتمييز الجنسي هو تبنى الآباء للاتجاهات التى من شأنها أن تنشئ الطفل تنشئة الجنس الذى ينتمى إليه. مع ملاحظة أن هذه الاتجاهات هى اتجاهات المجتمع. ومعظم الحضارات فى العالم على مر العصور ترى أن من الضروري أن يكون لكل من البنين والبنات سلوك خاص بكل منهم، وكثير من أساليب التمييز الجنسي ضمنى، ولكن بعضها مباشر يتمثل فى توجيهات الآباء. فالآباء يشجعون أبناءهم الذكور على رد العدوان إذا وقع عليهم لأن ذلك من شيمه الرجال، ولا يشجعون نفس السلوك لدى البنات. ويمتدح الآباء سلوك التفوق الرياضى عند الأبناء الذكور ولا يرحبون به عند البنات لأنهم ينظرون إليه باعتباره سلوك منقوص للأنوثة. وعملية التمييز هذه ضرورية لكى ينمو الطفل نمواً سليماً. وإن كان الوالدان لا يحتكران وحدهما هذه العملية، فإنهما يقومان بالدور الأكبر فيها. ولذلك فإن إهمالهما فى أداء هذا الدور يسبب للطفل متاعب جمه فى حياته الاجتماعية، لأن الخلط بين السلوك الذكوى والسلوك الأنثوى لا يلق تسامحاً أو تهاونا من المجتمع أبداً.

٥ - وفى هذه المرحلة أيضاً تحدث أهم عمليات تنشئة الطفل وهى عملية التوحد. والتوحد هو العملية التى تجعل الطفل يسلك وكأن خصائص شخص ما أو جماعة ما هى خصائصه هو. والشخص أو الجماعة التى يتوحد معها الطفل تسمى "النموذج". وفى النمو السوى يتوحد الطفل مع الوالد من نفس جنسه بعد أن يمر بمرحلة يتعلق فيها بالوالد من الجنس المخالف، فالولد عند سن الثالثة يتعلق بأمه ويزيد من الالتصاق بها ويريد أن ينام بجانبها، وقد يغار من أبيه إذ يراه منافساً له فى حب أمه. والبنات كذلك - فى نفس السن - تذهب إلى أبيها وتود أن تكون دائماً معه وقد تحمل للأب مشاعر سلبية لما تلاحظه من وجود علاقة خاصة بينها وبين الأب موضوع تعلّقها. وهذه عقدة أوديب الشهيرة التى قال بها مؤسس مدرسة التحليل النفسى "سيجموند فرويد".

ولكن هذا الموقف الأوديبي ينتهى بسلام - إذا لم تحدث أخطاء فى التربية وإذا سارت الأمور فى مجراها الطبيعى - فى هذه المرحلة أيضاً. وينتهى الموقف بتوحد الولد مع أبيه وتوحد البنات مع أمها. والتوحد هنا يشمل اعتناق قيم النموذج واتجاهاته، إعجاباً به. ومما يجدر ذكره أن علماء التحليل النفسى يذهبون إلى أن الموقف الأوديبي قد لا يُصقّى تماماً. فيبقى بعض التعلق بالوالد من الجنس المخالف - وبالتالي لا تكتمل عملية التوحد مع الوالد مع نفس الجنس - وينشأ لذلك ما يسمونه "بالعصاب الطفلى" الذى هو أساس ظهور أية أمراض نفسية أو عقلية قد يصاب بها الفرد فى مقتبل أيامه.

٦ - يتكون خلال هذه المرحلة أحد الأجهزة النفسية الهامة. وهو الأنا الأعلى أو الضمير . فالمعروف أن الطفل يولد وهو مزود ببعض الدوافع الفطرية مثل الدوافع الجنسية وهى ما يسميها علماء النفس "الهو" "Id" ثم يتميز جهاز "الأنا" "Ego" عندما يشعر الطفل بفرديته وبشخصيته وبكيانه مستقلاً عن والديه وأخواته، ثم يتكون جهاز " الأنا الأعلى Super Ego ، وهو وكيل المجتمع داخل نفس الفرد. وينشأ الأنا الأعلى عندما يستدخل الطفل المبادئ والمثل والقيم والاتجاهات الاجتماعية إلى نفسه ومعنى هذا أنه يقيم رقياً على تصرفاته فى داخله.

ولكى نبين كيف تحدث هذه العملية الهامة فى حياة الفرد، نذكر أن الطفل يولد، لا يعرف شيئاً عن الصواب والخطأ أو الخير والشر أو الحلال والحرام، وينطلق فى لعبه ونشاطه الذى يمتد ويتسع. ويحدث أن يمنع الوالدان من إتقان بعض الأعمال أو ينهيانه عن التقوى ببعض الألفاظ أو الكلمات. لأن هذه الأعمال وتلك الألفاظ من وجهة نظر ثقافة المجتمع والتي يحرص عليها الآباء تعد عيباً أو خطأ أو حراماً، وقد ينتهى الطفل، وقد لا ينتهى، ويتمادى، فيلجأ الوالدان إلى عقابه فيعرف أن موقف الآباء إزاء بعض ألوان السلوك حازم لا تهاون فيه فيضطر إلى الامتناع لأوامر الآباء. حتى هذه المرحلة نقول إن السلطة الضابطة أو السلطة الكافة التى تمنع الطفل من إتقان الخطأ سلطة خارجية، أى خارج الطفل ممثلة فى الآباء أو الإخوة أو الكبار المحيطين بالطفل، فالطفل حتى هذه اللحظة لا زال يضبط من الخارج. ولكن هذه السلطة لا تظل خارج الطفل بل إنها - فى الظروف السوية أيضاً للنمو - تنتقل إلى داخل الطفل، فنجد حينذاك يمتنع عن إتقان السلوك الذى نهاه عنه والده، حتى

ولو لم يكن أحد منهما حاضراً. أى أنه يستطيع أن يأتى السلوك المخالف وهو بمأمن من عقابهما، ولكنه لا يفعل لأن سلطة داخلية – لم تكن موجودة من قبل – تمنعه وتلومه وتؤنبه إن فعل، فإذا كان الطفل قد سبق له أن أخذ لعبة أخية وأخفاها ليلعب بها وحده ومنعه أبوه من ذلك وأفهمه أن هذا السلوك سلوك معيب لا يليق فإن الطفل بعد استئصال القيم الخلقية إلى نفسه يجد اللعبة أمامه ولا تسول له نفسه أن يأخذها، لأن السلطة الداخلية التى تكونت أخيراً تمنعه من ذلك. هذه السلطة الداخلية التى تمنع الطفل عن إتيان الخطأ هى الأنا الأعلى أو النفس اللوامة.

٧ – يظهر عند الطفل نوع من الفضول الجنسى، ويبدو ذلك فى تطلعه إلى أجسام إخوته ورفاقه وملاحظته للفروق التشريحية بين جسم الولد وجسم البنت، وفى رغبته مشاهدة الكبار وهم يغيرون ملابسهم، إذا أمكنه ذلك، وفى سؤاله عن الفروق بين الجنسين وسببها. وسؤاله عن كيفية ميلاده، وهذه الأسئلة تدل على زيادة وعيه وعلى إدراكه للفروق بين الناس ورغبته فى معرفة ما يغمض عليه، وهى أمور تبين مدى التقدم العقلى والاجتماعى الذى يبلغه الطفل فى هذه المرحلة.

ثالثاً : النمو الاجتماعى والخلقى فى مرحلة الطفولة المتأخرة

يحرز الطفل فى هذه المرحلة تقدماً كبيراً فى الناحية الاجتماعية ، وفى الحقيقة أن هذا التقدم متوقع بناء على الصفة التلازمية والعلاقات الإيجابية الموجودة بين جوانب النمو، لأن الطفل يحرز تقدماً كبيراً فى مجال النمو العقلى والإدراكى وفى مجال النمو الانفعالى، وهذا التقدم يفسح الطريق كما قلنا أمام الطفل لينفتح على البيئة والوسط الذى يعيش فيه محققاً تقدماً مماثلاً فى الجانب الاجتماعى، ويتم ذلك على حساب البطء فى النمو الجسمى الذى يهدأ فى هذه الفترة ليتصدر المسرح مرة أخرى عندما تحدث الطفرة الجنسية فى البلوغ.

ولا يختلف أحد فى الحكم على الطفل فى سن السادسة حتى سن الثانية عشرة بأنه طفل اجتماعى بكل معانى الكلمة، لأنه يدرك ما يدور حوله ويتفاعل معه، يقبل معايير المجتمع وثقافته ويعمل بها ويحرص على ألا يأتى سلوكاً يتناقض معها، وكأنه يريد أن يثبت للمحيطين به أنه أصبح رجلاً، ولم يعد ذلك الطفل الصغير. والطفل لا يفعل ذلك كله أنصياعاً للكبار فقط، ولكن لأن هذه الأساليب السلوكية وهذه الاتجاهات العقلية والاجتماعية تلقى فى نفسه قبولاً حسناً أيضاً، ولأنه يجد فى

ذلك تحقيقاً لذاته. وما ضرره لو فعل، خاصة وأن ما وصل إليه من نمو عقله وانفعالي يمكنه من ذلك. وتبدو اجتماعية الطفل في هذه المرحلة في مظاهر عديدة تشمل نواحي مختلفة وسنعالج الموضوع من خلال الزوايا الآتية :

- مظاهر النمو الاجتماعي.
- سمات النمو الاجتماعي.
- النمو الخلقي.
- الشعور الديني.

أ - مظاهر النمو الاجتماعي :

١ - يتابع الطفل باهتمام ما يجري في وسط الكبار من جنسه. فنجد الطفل يستمع لأقوال والده ومناقشاته مع أصدقائه، ويحاول فهم هذه الآراء ويرددها وقد يتحمس لها. بينما تبدأ الفتاة في الاهتمام بما تهتم به أمها وأخواتها الكبار وتتابع أحاديثهن عن الزواج والشئون العائلية والأمور المنزلية وتبدي اهتمامها خاصاً بالأزياء، وتحرص على أن تلبس ملابس معينة تبدو مناسبة لجسمها ومتناسقة في ألوانها، وتهتم بمظهرها وزينتها بوجه عام. وقد تختلف مبادئها إذا أخذت منها إحدى أدوات زينتها بعد أن كانت تسر من ذلك في المرحلة السابقة.

٢ - يظهر التقدم الاجتماعي للطفل في لعبه، فيعد أن كان لعبه انعزالياً في سقته مهددة، فريداً في طفولته المبكرة، يصبح لعباً جماعياً في هذه المرحلة، بمعنى أنه يستطيع أن يشارك في الألعاب الجماعية كعضو في فريق، ويلعب بروى الفريق. وهذه الروح تلزم كل عضو بأن يتنازل عن جزء من ذاتيته لصالح المجموع، وأن يتقبل الخطة العامة التي يلعب بها الفريق وأن ينفذ دوره بدور تجاوز، وأن يتعاون مع بقية الأعضاء لتحقيق النصر الذي ينسب للفريق ككل وليس لفرد فيه. وهكذا يمثل تطور لعب الطفل نمواً اجتماعياً. فمن اللعب الانعزالي الذي يلعب فيه وحده ولا يطيق أن يلعب أحد بجانبه، إلى اللعب الفردي الذي يحتفظ فيه لنفسه بلعبه وإن حدث بعض التفاعل بينه وبين الآخرين من الأطفال، إلى اللعب الجماعي الذي يكاد ينتهي فيه وجوده كفردي مستقل لحساب وجوده كعضو في جماعة تعمل لتحقيق هدف مشترك.

٣ - تتسع دائرة الطفل الاجتماعية. ويتمثل ذلك في وجود أصدقاء له ويستطيع أن ينتقى أصدقائه من قاعدة عريضة تتمثل في زملائه بالمدرسة، ويكون واضحاً في سلوكه وفي تصرفاته التفرقة بين الزملاء والأصدقاء والجيران، فالزميل هو رفيقه في الفصل الدراسي، وقد يسأله عن بعض الأمور الدراسية، ولكن صديقه هو من يفضل أن يذهب معه إلى المدرسة ويعود معه ويقضي فترات الاستراحة معه. وقد يكون صديقه من غير جيرانه كما قد يكون من غير فصله الدراسي. ويعتمد اختيار الصديق على التماثل في الصفات والتشابه في الميول.

٤ - يشعر الطفل في هذه المرحلة بفرديته وذاتيته شعوراً واضحاً. ويدرك الصفات أو السمات التي يتصف بها وتميزه من الآخرين. وهذا الإدراك من مظاهر نموه العقلي والاجتماعي. وينعكس هذا الإدراك أيضاً في تنبه الطفل إلى ما يميز الآخرين من صفات. وإذا فهو يستطيع أن يقارن بين الأفراد ليس بناء على صفاتهم الجسمية فقط ولكن على أساس سماتهم النفسية وصفاتهم الخلقية وعاداتهم السلوكية والحركية، بل إنه على استعداد لأن يقلد الأشخاص الذين لهم طابع كاريكاتوري معين، فهو يحب تقليد مدرسيه كما أنه يقلد بعض أفراد أسرته أو جيرانه أو يقلد بعض الممثلين.

٥ - يصيب التعاون معظم علاقات الطفل الاجتماعية مع رفاقه وزملائه بعد أن كانت علاقات التنافس والعداء هي التي تسود علاقاته برفاقه في المرحلة السابقة، وبعد أن كان ينظر إلى رفاقه وأخوته نظرتة إلى أعداء أو منافسين أو مزاحمين له في اللعب أو في عطف الوالدين فإنه ينظر إليهم الآن نظرة مختلفة قوامها التعاون والتفاهم. وهكذا يتجه الطفل من الفردية الأنانية إلى الغيرية التعاونية. وهذا يفسر لنا استعداده الشديد لتكوين صداقات جديدة.

٦ - تظهر اجتماعية الطفل أيضاً في موقفه من الثقافة ممثلة في العادات والعرف والآداب المرعية في مجال الأسرة فالطفل يحاول أن يفهم هذه العادات وتلك الآداب وأن يلتزم بها، بل ويبتني الطفل باتباعه لهذه القواعد والالتزام بها. ويفخر على زملائه ممن لا يستطيعون ذلك. مثال ذلك أن بعض أطفال السادسة والسابعة يحاولون صوم أيام شهر رمضان رغم ما قد يجذونه من مشقة وبرغم نصائح الوالدين بالإفطار وتأجيل الصوم لسن يكون فيه أكثر نضجاً ولكن الطفل يصر على إتمام الصوم لشعوره بالسرور الممزوج بالفخر

أنه استطاع أن يسلك كما يسلك الكبار. ويظهر امتثال الطفل للأنماط الثقافية أيضاً في طاعته لوالديه وسماعه توجيهاتهما وحرصه على ألا يخالفهما كما لو كان يخاف أن يوصف بإحدى الصفات الطفولية في الوقت الذي يحاول فيه أن يودع مرحلة الطفولة كلها ليدخل مرحلة جديدة من عمره.

٧ - من مظاهر التقدم الاجتماعي أيضاً حرص الطفل على أن يحصل على مكانة طيبة بين أقرانه ونجده يعمل جاهداً وبكل الوسائل على أن يحصل على هذه المكانة . فهو على استعداد للتضحية بوقته وجهده ونقوده في سبيل الحصول على هذه المكانة. ويشعر بالرضا والسعادة إذا احتل مكانة طيبة بين زملائه. كما يشعر بالتعاسة والإحباط إذا فشل في احتلال مركز طيب بينهم. ولذا فإن المكانة الاجتماعية تعتبر في هذه السن أحد الدوافع الهامة للطفل. ويرتبط بالمكانة الاجتماعية ظاهرة الزعامة أو القيادة بين الأطفال. وغالباً ما يحتل مركز القيادة أحد الأطفال المتفوقين دراسياً أو المتفوقين رياضياً أو اجتماعياً أو أحد الأطفال حسنى المظهر أو المتمتعين بروح مرحة فكاهية أو سريعو البديهة أو الطفل الذي يحوز أكبر عدد من هذه الصفات.

ب - سمات النمو الاجتماعي :

يتسم النمو الاجتماعي في هذه المرحلة أو يصاحبه بعض السمات التي تميزها، علماً بأن بعضها ينتهى بنهايتها والبعض الآخر يستمر إلى المرحلة التالية، ومن هذه السمات :

١ - القابلية الشديدة للاستهواء : ومعناها قابلية الطفل القوية للوقوع تحت تأثير الآخرين وترتبط هذه الخاصية بخاصية عقلية أخرى هي تأخر التفكير النقدي. والتفكير النقدي - كما ذكرنا - هو ألا يقبل الفرد دون مناقشة ما يسمع أو ما يقرأ بل يعمل فكره فيه، ويكتشف نقاط القوة والصحّة ونقاط الضعف أو التناقض فيما يعرض عليه. وتتأخر هذه الخاصية في ظهورها وعملها عند الطفل إلى بداية مرحلة المراهقة. ولذا فكل الانتقادات التي يمكن أن يوجهها أطفال هذه المرحلة ليس وراءها عملية عقلية منظمة وإنما هي أقرب إلى الانطباعات وردود الأفعال التلقائية. ومع تفاعل التفكير غير النقدي مع ازدهار النمو الاجتماعي يكون الطفل على استعداد كبير للتأثر بما يسمعه من الآخرين خاصة ممن يكبرونه سناً أو يشغلون أدواراً أو مراكز هامة بالنسبة

له مثل الأب أو المعلم أو الأخ الأكبر الذى يحبه. ويكون الطفل شديد التأثر بمن يشغل هذا الدور بحيث أنه يمكن أن يغير من آرائه واتجاهاته حسب رغبات واتجاهات هذا الآخر. وواضح أن الطفل فى هذا الوقت يقوم بعملية توحيد مع نموذج معين، والنموذج هو الشخص الذى يتأثر به الطفل. وخاصية القابلية للاستهواء من سمات هذه المرحلة، ولكنها تخف تدريجياً باقتراب الطفل من مرحلة المراهقة حتى تنتهى تماماً ويحل محلها سمات مناقضة لها.

٢ - الولاء للأصدقاء والرفقاء : مع التفتح الذى يبديه الطفل على العالم المحيط به، ومع روح التعاون والتفاهم التى تصبح علاقاته بزملائه، ومع رغبة الطفل فى تحقيق مكانة اجتماعية طيبة بين رفاقه وأقرانه والتزامه بالقيم الخلقية والاجتماعية السائدة فى ثقافته، فإن الطفل يجد نفسه مشدوداً إلى رفاقه، ويبدى ولاءً وإخلاصاً لهم، ويكون على استعداد للتضحية فى سبيلهم بكل ما يملك، ويكون سعيداً وهو يفعل ذلك. وهى سمة تظهر فى هذه المرحلة، ولكنها تنمو حتى تكون على صورة أكبر عند المراهق.

٣ - الفروق بين الجنسين : تظهر الفروق بين الجنسين أوضح ما تكون فى الجانب الاجتماعى، ويبدو ذلك فى ميل كل من البنت والولد إلى الانخراط فى عالم الكبار من جنسه كما ذكرنا فى مظاهر النمو الاجتماعى، كما يبدو ذلك أيضاً فى تجمعات الأطفال. فمن يلاحظ أطفال هذه السن يجد أن البنين يتجمعون معاً، بينما تتجمع البنات فى مجموعات خاصة بهن. وتحكم كل مجموعة مبادئ شبيهة بما يسود بين الكبار. ولا يستطيع أن يقترب أحد الأولاد من شلة البنات أو العكس. ومن يفعل يكون عرضة للنقد اللاذع والسخرية المرة. ويحدث نوع من النفور والتباعد المتبادل بين شلال البنين وشلال البنات، بل إن المجموعتين تتبادلان الاتهامات عند أى احتكاك. فتتهم مجموعة البنات مجموعة البنين بالغلظة والخشونة، وتتهم مجموعة البنين مجموعة البنات بالميوعة. وتظهر خصائص كل مجموعة فى الألعاب التى تفضلها، فالعاب البنين يغلب عليها التعبير العضلى العنيف بينما تتسم ألعاب البنات بالتناسق والإيقاع.

ج - النمو الخلقى :

السلوك الخلقى هو نمط السلوك الذى تحدده قواعد الخلق والمعايير الاجتماعية التى يدين بها المجتمع والتى يجب أن يلتزم الأفراد بها حتى لا يتعرضون لنبذ المجتمع وعقابه. ويحكم على السلوك من الناحية الخلقية ليس على أساس نتائجه وإنما على أساس دوافعه. وعلى أساس أن تتكافأ الوسائل فى المستوى الخلقى مع غاياتها.

والنمو الخلقى الصحيح عند الطفل يتضمن ناحيتين : الناحية الأولى هى الالتزام بجادة الصواب ومقاومة الإغراء اعتماداً على التمسك بأهداب الفضيلة وبالخلق القويم كما يراه المجتمع، والعملية الثانية هى شعور الطفل بالذنب عندما يخرج على الخلق القويم والقلق الذى يعانیه عندما يرتكب أفعالاً محرمة أو ممنوعة. وقد نجد عند بعض الأطفال شعوراً واضحاً بالناحية الأولى دون الثانية، فهو يعرف مثلاً أن السرقة خطأ وعمل محرم ولكنه قد يسرق دون أن يزعجه شعور القلق أو وخز الضمير.

وقد رأينا فى الفصل السابق أن الأنا الأعلى يتكون عندما يستدخل الطفل أوامر الكبار ونواهيهم إلى نفسه ويصبح هناك مقيم عام أو وكيل دائم داخل نفس الطفل لقيم المجتمع وأخلاقياته.

وقد اهتم عدد من الباحثين بدراسة نمو الحاسة الخلقية عند الطفل. وفيما يلى نشير إلى نتائج دراسات واحد من هؤلاء الباحثين وهو كولبرج.

درس كولبرج تطور نظرة الطفل إلى بعض القيم الخلقية، والطريقة التى يفكر ويحكم بها بين القيم عندما تتعارض. فقابل عدداً كبيراً من أطفال هذه المرحلة وأوائل مرحلة المراهقة وكان يعرض على كل منهم بعض القصص ويطلب من الطفل الحكم على سلوك أبطال هذه القصص كمثال على هذه القصص: وعد أحد الآباء ابنه الأكبر بأنه سيسمح له بالاشتراك فى معسكر صيفى إذا ما استطاع توفير مبلغ معين من المال، واستطاع الطفل بالفعل توفير هذا المبلغ، ولكن الأب عدل عن رأيه وطلب من الابن أن يعطيه المبلغ الذى وفره، فما كان من الابن إلا أن كذب على أبيه وقال له إنه لم يوفر إلا مبلغاً ضئيلاً وأعطاه لوالده واحتفظ بالباقي لنفسه ثم فكر الابن فى الذهاب إلى المعسكر بالمبلغ المتبقى معه. ولما عاد أخبر أخيه الأصغر بالقصة كلها. فهل يخبر الابن الأصغر أباه بما حدث؟ وكان كولبرج يحلل

تعليقات الأطفال وأحكامهم ويحاول أن يعرف ما وراء هذه الأحكام وانتهى كولبرج في بحثه إلى أن النمو الخلقى عند الفرد يتطور عبر ثلاثة مستويات هي : -

المستوى الأول : مستوى ما قبل السلوك الخلقى، وفيه يسلك الطفل بناء على الثواب والعقاب كما تظهر في سلوك الآباء من وعد أو وعيد.

المستوى الثاني: مستوى السلوك الذى يؤدى إلى علاقات اجتماعية طيبة، وفيه يسلك الطفل للحصول على رضا الجماعة الذى هو عضو فيها، وفى نفس الوقت يخشى لومها ونبذها.

المستوى الثالث: مستوى السلوك المعتمد على المبادئ والقيم الخلقية، وفيه يسلك الفرد حسب ما يمل به عليه ضميره مهتدياً بالمبادئ والقيم الخلقية السائدة فى المجتمع.

د - الشعور الدينى :

الجانب الدينى أحد الجوانب الهامة فى نمو الطفل الخلقى والاجتماعى. لأن الدين مصدر القيم الخلقية والمبادئ والمثل التى يهتدى بها المجتمع. وتعليمات الدين هى المرجع الأساسى فى تحديد قواعد الصواب والخطأ من الناحية الاجتماعية خاصة فى المجتمعات المعروفة عنها ظاهرة التدين كالمجتمعات العربية. ولذا كان لابد أن نتعرض لتطور الشعور الدينى عند الطفل وخصائص هذا الشعور حتى يكتمل عرضنا للنمو الاجتماعى.

ويلخص المليجى (فى كتابه: النمو النفسى - مطبعة مصر) خصائص الشعور الدينى فى مرحلة الطفولة المتأخرة فى الخصائص الآتية : -

١ - **الواقعية :** وهى أن يتصور الطفل الله والملائكة تصوراً حياً على غرار ما يشاهد حوله من أناس وبشر. وهذا التصور طبيعى فى هذه السن حيث يكون قدرة الطفل على التجريد لازالت ضعيفة. كما أن تصورات الدين لقنت للطفل من خلال مشيرات الثواب والعقاب. وهذا ما يجعله يتصور الجنة كحديقة واسعة غناء فيها كل ما لذ وطاب، وجهنم كقطعة من النار الملتهب.

٢ - **الشككية :** ونعنى بالشككية أن الطفل لا يفهم جوهر الدين كما أنه لا يفهم كثيراً من المصطلحات والتعبيرات الدينية التى قد يرددتها، وفى مناسباتها

الصحيحة - وإنما هو يصدر في ذلك عن اتجاه المساييرة للبيئة الذي يسود عنده. كما أنه إذا أدى الشعائر يؤديها امتثالاً وبحكم العادة، وقد لا يعرف المغزى من الصلاة والصوم.

٣ - **النفعية** : يفهم الطفل الدين في هذه المرحلة من الناحية النفعية فهو عندما يصلى يتوقع أن يحقق الله أمانيه. وعندما يريد شيئاً معيناً فهو يهتم بأداء الشعائر الدينية. وهذا التصور للدين والإله هو امتداد لتصوره عن الأسرة ودور الوالد فيها. فهو يجد أنه عندما يتقرب من والده يحصل على ما يريد وعندما يخالفه فإنه يعاقب بالحرمان مما يريد. فالإله في هذا التصور امتداد لدور الأب بالإضافة إلى أنه يرى من حوله الكبار يتجهون إلى الله أن يحقق لهم غايتهم وآمالهم. ويندمج الطفل في المناسبات الدينية ذات الصبغة الاجتماعية المرحية والمبهجة. فرمضان هو الشهر الذي يلعب فيه بالقوانين الملونة، وتكون مائدة عامرة بألوان خاصة من الطعام، وينتظر فيه المسحراتي، والعيد عنده مرتبط بالملابس الجديدة والنزهات.

٤ - **العنصر الاجتماعي** : الدين كأحد عناصر الثقافة يتعلمه الطفل من البيئة التي يعيش فيها، ولا يتعلمه تعلماً قائماً على التلقين وحده، بل عن طريق الاكتساب غير المباشر بالقوة والتقليد. بل إن ما يتعلمه الطفل بالقوة والتقليد أكثر مما يتعلمه بالتلقين. وإذا ظهر تعليم الوالدين التقني في تعليم الأطفال أداء الشعائر وفروضها، فإن زرع الوازع الديني في نفوسهم أمر يتعلموه من البيئة، بطريقة غير مقصودة وغير مباشرة.

رابعاً : رعاية النمو الاجتماعي والخلقى فى الطفولة

فى سنتى المهد

١ - يعرف الطفل انفعال الغضب. وما يثير غضب الطفل هو غالباً الجوع أو البلى وعلى الآباء ألا يعمدوا إلى إثارة غضب الطفل. وألا يتركوه يبكى مدة طويلة. ويحسن أن يجد الطفل من يلعبه أو يلاطفه أثناء انشغال الأم عنه.

٢ - الطفل في عامه الثانى لا يستجيب للأوامر لأنه لا يفهم معناها، ولذا لا يجب على الآباء أن يتشدوا معه. ويمكن التحايل على الطفل إذا أردنا أن ننهاء عن سلوك معين. والتحايل على الطفل وتقديم البديل يختلف عن الكذب الذى يلجأ إليه الكبار أحياناً ليتخلصوا من ملاحقة الطفل لهم.

٣ - يجب أن يبتعد الآباء بقدر الإمكان عن اللوم والتأنيب والأساليب التي تزرع الشعور بالذنب في نفس الطفل.

فى الطفولة المبكرة

١ - قواعد العقاب البدنى :

وإذا حدث وعاقبنا الطفل عقاباً بدنياً فيجب أن نلتزم بشروط العقاب البدنى ومنها :

أ) أن يكون العقاب بسيطاً يقصد منه الإصلاح والتقويم وليس الانتقام وإيقاع الأذى، أو على الأقل يكون العقاب مساوياً للخطأ الذى ارتكبه الطفل. وقد أثبتت البحوث أن العقاب الإصلاحي إذا صدر من الأب الحنون والمتفهم للطفل، له أفضل الأثر، ويستجيب له الطفل، ولا يكون له ردود أفعال سيئة على سيكولوجية الطفل، بل يفهمه الطفل على أنه رغبة من الأب الذى يحبه فى تعديل سلوكه إلى الأحسن.

ب) يجب أن يعرف الطفل لماذا يعاقب قبل عقابه. لأن عقاب الطفل بدون معرفته للسبب يودى به إلى إدراك سلوك الوالد أو الوالدة على أنه ظلم واضطهاد من جانبهما ويعتقد أنه ضحية قسوة والديه. ويكبر معه هذا الإحساس للزائف بأنه ضحية للظلم الوالدى ويخلق له كثير من المضاعفات النفسية والاجتماعية.

ج) ألا يتخذ الآباء من العقاب وسيلة للتشهير بالطفل فيما بعد. فبعض الآباء يلجأ إلى هذه الوسيلة لضبط سلوك الطفل حينما يذكره بالعقاب الذى سبق أن أنزله به وهو نوع من الإذلال للطفل خاصة إذا حدث أمام الآخرين ممن لا يعيشون مع الطفل.

د) يجب ألا يؤجل العقاب إذا تقرر. بمعنى أنه إذا أتى الطفل خطأ، وأعلنه والده أو والدته أنه سيعاقب فيجب ألا يؤجل العقاب مع علم الطفل به. لأنه سيظل فى حالة من القلق والتوتر حتى يتم عقابه، ويصفى حسابه مع والديه. وتلجأ كثير من الأمهات - فى غيبة الوالد فى العمل - إلى إعلان الطفل أنها ستخبر والده بالخطأ الذى ارتكبه كي يعاقبه، مما يشيع الاضطراب والتوتر فى نفسه.

هـ) يجب ألا يعاقب الطفل على سلوك في إحدى المرات ثم نتجاهل نفس السلوك أو نمتدحه في مرة أخرى، لأن ذلك سيمنع الطفل من تعلم السلوك والعادات والأساليب الصحيحة في السلوك. حيث أن الطفل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية — يربط بين سلوكه ونتائج هذا السلوك. فالسلوك الذي يجد استحساناً من الآباء فهو سلوك مقبول ومسموح به والسلوك الذي يجد استهجاناً سلوك مرفوض وغير مسموح به. فإذا عوقب الطفل على السلوك مرة وامتدح مرة أخرى وقع الطفل في حيرة بالنسبة لهذا السلوك، وربما عممت هذه الحيرة إلى ألوان أخرى من السلوك. مما يحدث اضطراباً في عملية التنشئة الاجتماعية.

٢- يجب أن يتعد الآباء بقدر الإمكان عن أساليب اللوم والتقريع والتأنيب الشديد حيث أن هذه الأساليب إذا تكررت كثيراً ما تسبب للطفل شعوراً بالذنب وإحساساً دائماً بالألم. كذلك يخطئ بعض الآباء عندما يلجأون إلى المقارنة بين الطفل وأخيه أو بينه وبين أقرانه من أولاد الجيران والأقارب إذا كانت المقارنة في غير صالح الطفل مغفلين ما قد يكون بينه وبينهم من فروق ليس له ذنب فيها. وهذا أسلوب خاطئ بصفة عامة سواء لجأ إليه الوالد ليدفع ابنه إلى السلوك الحسن أو لجأ إليه كنوع من العقاب والإيذاء، لأن هذه المقارنة ستجعل الطفل يكون مفهوماً سلبياً عن نفسه لا يساعده على السلوك الحسن فيما بعد.

٣- تحدث في هذه المرحلة عملية التتميط الجنسي وهي تلك الأساليب التي من شأنها أن تجعل الطفل ينخرط في جنسه ويسلك كما يسلك أفراد هذا الجنس. وهي عملية نفسية واجتماعية على جانب كبير من الأهمية. ويجب أن يساعد الآباء على أن تتم هذه العملية بصورة طبيعية، لأن تمييع الحدود بين عالم الذكورة وعالم الأنوثة يجعل الطفل يخلط في سلوكه مما يوقعه في الكثير من المآزق ويعرضه لمواقف محرجة ومربكة ومؤلمة. ونجد بعض الأمهات خاصة في الريف وفي الأحياء الشعبية بالمدن ينكرن جنس الطفل. فتقول الأم على ابنها الذكر إنه أنثى خوفاً عليه من الحسد، وقد تلبسه ملابس البنات حتى سن متأخرة. وتخطئ بعض الأمهات بصورة أكبر عندما تعامل ابنها الذكر على أنه أنثى، لأنها كانت تريد طفلة جميلة وليس ذكراً أو العكس. ويمكن أن نتصور ما يواجهه الطفل الذكر عندما يلعب أو يسلك كما تسلك البنات أو العكس — من تعليقات وردود أفعال أصدقائه وزملائه.

٤ - تحدث في هذه المرحلة عملية التوحد. وكما بيّنا يتوحد الطفل في نهاية الفترة الأوديبية بالوالد من نفس الجنس. والتوحد هنا بمعنى امتصاص وتقمص شخصية النموذج وتقليده شعورياً أحياناً، لا شعورياً في معظم الحالات. وهذا يعنى أن يكون الوالد والوالدة نماذج طيبة في السلوك وقدوة حسنة في التصرف.

٥ - تتكون في هذه المرحلة الأنا الأعلى أو الضمير وهو السلطة التي تمنع الفرد من عمل ما لا يتفق مع القيم الاجتماعية عندما تنتقل إلى داخل الفرد. وقد أظهرت البحوث أن الطفل الذي ينشأ في منزل يسوده الإهمال والتجاهل للطفل يتأخر لديه نمو الأنا الأعلى ويضطرب. بعكس الطفل الذي ينشأ في منزل يهتم فيه الوالدان بتعليم الطفل الصواب والخطأ، ويشجعونه على السلوك الصحيح. ولا يخفى علينا أن الفرد ذو الأنا الأعلى المكتمل يستطيع أن يقاوم إغراءات الحياة، ويلتزم جادة الصواب بعكس الفرد ذو الأنا الأعلى الواهن الذي ينحرف سريعاً في الطريق المنحرف في سبيل تحقيق رغباته ونزواته.

٦ - يظهر عند الطفل في هذه السن نوع من الفضول وحب الاستطلاع الجنسي، وهو من مظاهر انفتاحه على العالم المحيط به وملاحظته للفروق التنشيرية بينه وبين أفراد الجنس الآخر. ولذا يجب علينا ألا نقابل هذا السلوك من جانب الطفل بالقسوة حيث أن دوافع الطفل لهذا العمل ودلالاته تختلف عن دلالاته لدينا نحن الكبار. كما يجب علينا ألا نتيح للأطفال فرصة التطلع إلى أجسام بعضهم البعض، وألا نتركهم فترات طويلة بمفردهم وأن ننهاهم عن خلع ملابسهم الداخلية.

في الطفولة المتأخرة

١ - تظهر بدايات الميول العقلية والمهنية في نهاية هذه المرحلة. وهذا يدعو المدرسة والآباء إلى معرفة ميول الطفل، وهذا لن يتأتى إلا إذا اتاحت فرصة ممارسة أكبر مجموعة ممكنة من ألوان النشاط، وسيجد الطفل نفسه مدفوعاً إلى ممارسة بعضها. وعلى المدرسة أن تعرف جوانب النشاط التي يفضلها كل طفل، وأن يسجل ذلك في بطاقته المدرسية، حتى يمكن أن تستفيد منه المدرسة الإعدادية وأن تتابع تنمية هذه الميول.

٢ - يجب أن يجد كل طفل معاملة منزلية متوازنة حتى ينمو "الأنا" لديه قويا، ويستطيع أن يقوم بدوره كاملاً وأن يوفق بين الدفعات الغريزية من ناحية والضمير من ناحية أخرى. ومما لاشك فيه أن أى تطرف أو مغالاة أو أخطاء فى أسلوب التربية يخلق لنا "أنا" ضعيفا لا يمكنه القيام بمسئوليته.

٣ - رأينا أن الطفل يفهم الدين بصورة شكلية، ويمارس الطقوس كنوع من المسيرة الاجتماعية. ولكنه يمكننا أن نشرح للطفل بأسلوب بسيط المفاهيم الدينية الأساسية، والحكمة من وراء فرض الفروض والشعائر حتى يمارسها وهو على علم بحكمتها. كذلك فإننا يمكن أن نستغل حب الطفل فى هذه السن للقصص، ونعلمه قصص الأنبياء والرسول، ونستخلص من حياتهم المعاني الخلقية المطلوبة، والتي تتناسب مع أطفال هذه المرحلة. كما أن هذه القصص تقرب الأنبياء إلى نفوس التلاميذ وتجعلهم يتخونهم نماذج وقدوة لهم فى السلوك وفى الخلق. وهذا هو السبيل إلى تعميق الوازع الدينى فى نفوس الأطفال.

خامساً : التربية الجنسية فى الطفولة

كثر الحديث هذه الأيام بين المربين والمهتمين بشئون التعليم عن مشكلة التربية الجنسية. وكانت أكثر صور المشكلة تبلوراً هى: هل تتضمن برامج الدراسة فى المدارس ما اصطلح على تسميته "التربية الجنسية" أم لا؟. وفيما يلي نعطى نبذة مختصرة عن التربية الجنسية معناها وأهدافها ومراحلها حتى نكون على بينة من أمر هذه المشكلة التربوية الحيوية والوثيقة الصلة بالنمو السوى للطفل والمراهق.

ماذا يقصد بالتربية الجنسية؟

يقصد بالتربية الجنسية تلك المعلومات والحقائق العلمية المتعلقة بالجوانب البيولوجية والجنسية التى تقدم للنائئة بهدف تبصيرهم بهذه الجوانب من حياة الإنسان، على أن يتم ذلك فى إطار القيم الدينية والنظم الاجتماعية والثقافية.

ما أهمية التربية الجنسية؟

وفى ضوء هذا التعريف يمكن أن نتساءل: هل نحن فى مصر فى حاجة إلى هذا النوع من التربية سواء فى المنزل أو فى المدرسة أم لا؟ من وجهة النظر التربوية والنفسية تكون الإجابة بالإيجاب، خاصة وأن توعية الشباب بهذا الجانب

الحيوى من حياتهم لا يتعارض مع القيم الدينية والخلقية للمجتمع وإخفاء هذه المعلومات عن المراهقين لا يفيدهم بشئ، بل نجدهم مدفوعين من داخلهم بالتقصى عن هذه المعلومات، وتكون مصادرهم فى هذه الحالة ليست فوق مستوى الشبهات ممثلة فى أفلام الجنس والكتب الرخيصة والصور الفاضحة والمعلومات الجنسية المشوهة عند المراهقين الأكبر سنا. وهكذا نجد أن كل مراهق يحصل على قدر من هذه المعلومات. فإذا كان الأمر كذلك فالأفضل أن نوفر له معلومات صحيحة ومن مصادر شرعية، ولايصدنا عن ذلك خجل أو حياء فلا حياء فى العلم ولا حياء فى الدين. ويكفى أن نقدم هذه المعلومات فى النور حتى يذهب هذا الطابع السرى والأثم لكل ما يتعلق بالجانب الجنسى عند المراهق، وحتى يفهم المراهق الوظيفة الصحيحة للجنس فى حياتنا.

من يقوم بالتربية الجنسية؟

وإذا اقتنعنا بأهمية وضرورة التربية الجنسية فيمكن أن نسأل: هل يقوم المنزل بهذا الدور أم تقوم به المدرسة؟ أم الاثنان معاً؟ والإجابة إنه مادما نتكلم عن التربية الجنسية كأحد جوانب التربية العامة، فهي مسئولية المنزل كما هي مسئولية المدرسة. ولكن بالنسبة لأوضاعنا الثقافية والاجتماعية فى مصر نجد أن المنزل لم يؤهل بعد - فى كل البيئات تقريباً - للقيام بهذه المهمة مما يلقى بالعبء الأكبر على المدرسة ويضاعف مسئوليتها فى هذا المجال. ولكن ليس معنى ذلك أن المعلمين وحدهم هم الذين يحتكرون هذه المهمة، بل أن الأطباء ورجال الدين والأخصائيين الاجتماعيين والأخصائيين النفسانيين يساهمون أيضاً فى هذه الوظيفة، مع عدم استبعاد ولى الأمر المستتير من المشاركة. المهم أن يكون الشخص المشارك على قدر كاف من الثقافة فى العلوم المرتبطة بالمشكلة مثل العلوم البيولوجية والعلوم الاجتماعية والعلوم الدينية وأن يكون متمتعاً أيضاً بدرجة كافية من الاتزان الانفعالى والصفات الخلقية الطيبة.

متى تبدأ التربية الجنسية؟

وإذا سلطنا أنفسنا هذا السؤال، فستكون الإجابة إن هذه التربية تبدأ منذ الطفولة لأن اهتمام الطفل بالأمور الجنسية يبدأ فى طفولته المبكرة حيث يكون مهمتها بالتعرف على الفروق التشريحية بينه وبين أفراد الجنس الآخر. ويسأل هذه الأسئلة إلى والدته. وغالباً لا يجد إجابة شافية، وقد يظن البعض أن التربية الجنسية لا تبدأ

إلا في المراهقة ولكن هذا الظن خاطئ لأن الجنسية كما نعرف تبدأ مع الطفل في مهده، ولذا يجب أن تبدأ التربية الجنسية في وقت مبكر. فهي تبدأ بإجابة الأم على تساؤلات طفلها السابق ذكرها. ويجب أن تبدأ التربية الجنسية في الطفولة حتى لا يصل الطفل إلى سن المراهقة ولديه مفاهيم مشوهة عن الجنس. أى أن التربية الجنسية الصحيحة في الطفولة تساعد المراهق على اجتياز أزمة المراهقة بسلام وتجنبه كثيراً من مشكلات السلوك الجنسي التي نجدها عند الكثير من المراهقين.

كيف تقدم المعلومات الجنسية؟

القاعدة الأساسية في التربية الجنسية خاصة في المنزل هي أن المعلومات تقدم عندما تطلب إجابة على سؤال للطفل، على أن تكون الإجابة على قدر السؤال فقط ومستوى يتناسب مع إدراكه. فالطفل في طفولته الباكورة يهتم بجسمه ويتجه بالسؤال إلى والدته عن الفرق بينه وبين أخته أو أخيه ولماذا كانت هذه الفروق. وفي الطفولة المتأخرة يتحول اهتمام الطفل إلى محاولة معرفة دور الأم في عملية الإنجاب ويسألها - خاصة إذا كانت حاملاً - عن الطفل، وكيف جاء إلى بطنها؟ وكيف سيأتي إلى العالم، وفي نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة نجد ميلاً عنده إلى معرفة دور الأب في الحمل والإنجاب. ولذا فإن المعلومات الجنسية لا تقدم مرة واحدة إلى الطفل، ولكن حسب سنه ودرجة نضجه وفي الوقت الذي يحتاج فيه إلى المعرفة ليكون مهيناً لها.

ماذا نقدم من معلومات في التربية الجنسية؟

أما ما هي المعلومات التي نقدم للطفل والمراهق، وتمثل مضمون التربية الجنسية. يرى كثير من الباحثين أن المعلومات الآتية معلومات أساسية يجب أن يعرفها الطفل والمراهق:

- الفروق التشريحية بين الذكر والأنثى.
- عملية التكاثر عند النبات والحيوان والإنسان.
- الفروق التي توجد بين الأفراد في مختلف جوانب النمو الجنسي.
- الأسباب التي تؤدي إلى فروق في الجوانب الجنسية.
- تشريح أعضاء الجهاز التناسلي كأحد أجهزة الجسم كالجهاز التنفسي والهضمي.

- معرفة وظائف الأعضاء للجهاز التناسلى كأحد أجهزة الجسم الأخرى.
- لماذا ينزل المجتمع الدافع الجنسى وإشباعه منزلة خاصة.
- الجنس لا يمارس من جانب الأفراد إلا فى إطار الزواج. والحكمة من ذلك.
- عملية الاتصال الجنسى ووظائفها الحيوية والاجتماعية.
- الأساليب الصحيحة للاختلاط البرئ بين الجنسين كما فى الجامعات والنوادر.
- علاقة الرجل بالمرأة متعددة الجوانب وتتعدى الجانب الجنسى.

هل يكون هناك منهج مستقل للتربية الجنسية؟

ليس من الضرورى أن يشمل المعلومات السابقة منهج معين، بل إن كافة العلوم تستطيع أن تقدم هذه المعلومات فى سياق المعرفة التى تيسرها للتلاميذ، حتى يكون فهم الطفل للجنسية فهماً شاملاً وطبيعياً كسنة من سنن الطبيعة توجد عند النبات والحيوان كما هى عند الإنسان. ولذا نفضل أن يأخذ الطفل فكرة كاملة عن عمليات التكاثر فى النبات والحيوان فى البداية، بحيث تمثل هذه المعلومات مخططاً طبيعياً لدراسة الجنسية والتكاثر عند الإنسان. ويمكن أن يُستخدم المنهج المقارن، فعند دراسة الأجزاء والأعضاء والعمليات فى النبات والحيوان يمكن أن تشير إلى الإنسان أيضاً.

الباب الثانى

المراهقة

مقدمة فى معنى المراهقة

ذكرنا أن الطفل يتسم بالهدوء الإنفعالى منذ بلوغه سن السادسة، وأن هذا الهدوء الإنفعالى يصحبه تقدم فى النمو الاجتماعى واضطراب فى النمو العقلى. كما ذكرنا أن هذا التقدم فى الجوانب الإنفعالية والاجتماعية والعقلية يتم على حساب النمو الجسمى، ويظل هذا الوضع إلى أن يحدث البلوغ فتتقلب الآية. حيث تخلى أنواع النمو الأخرى مكانها للنمو العضوى ليأخذ مكان الصدارة. إن هذا النمو يؤثر على بقية جوانب النمو الأخرى، فيضطرب النمو الإنفعالى، ويتعثر النمو العقلى ويتأثر كذلك النمو الاجتماعى. ويستمر هذا الاضطراب قرابة العام أو العامين إلى أن تنتهى فورة النمو الجسمى وتهدأ حدة التعبيرات العضوية، ويستقر هذا الجانب فيستأنف النمو العقلى والاجتماعى والإنفعالى مسيرته لتكتمل بذلك غزل الخيوط التى تنسج منها شخصية الفرد فى صورتها المكتملة.

ويرى بعض الباحثين - خاصة أنصار مدرسة التحليل النفسى - أن سمات الهدوء الإنفعالى والمسيرة الاجتماعية التى تسود فى فترة الطفولة المتأخرة وإنما هى دفاعات من الذات ضد الدفعات الجنسية العنيفة التى توشك أن تنفجر مع المراهقة. وتتجسّد هذه الدفاعات فى كبت الدفعات طوال مرحلة الطفولة المتأخرة. ولكن هذه الدفعات تصل إلى درجة من الشدة والعنف فى سن الثانية عشر والثالثة عشر حداً يفوق قدرة هذه الدفاعات. فتظهر الجنسية بشكل واضح وصريح مع البلوغ. ولذا يسمون فترة الطفولة المتأخرة بفترة الكمون.

كذلك يفسر هؤلاء الباحثين النشاط والحركة الزائدة والحيوية المتدفقة للطفل فى الطفولة المتأخرة بأنها محاولات من الذات للاستقلال العاطفى والنفسى عن الوالدين وفض الروابط الوجدانية والإنفعالية معهما، ويرون أيضاً أن ما نجده عند الطفل فى آخر مرحلة الطفولة المتأخرة من تأمل للذات بأنه أرهاص لما سيحدث فى المرحلة القادمة عندما يكتشف المراهق ذاته ويتأملها بصورة مؤثرة فى سلوكه.

وعلى ذلك فإن التغير الذى يحدث فى بداية المراهقة ويبدو مفاجئاً للبعض لا يكون فى الحقيقة كذلك. وأن الانتقال المفاجئ من الطفولة إلى المراهقة لا يتم إلا فى الظاهر فقط، ولكنه على مستوى الأعماق يحدث تهيؤ وتمهيد وانتقال تدريجى للطاقة النفسية من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة.

معنى المراهقة :

المراهقة ترجمة للمصطلح Adolescence وهو يعنى فى كل اللغات اللاتينية الأصل "النمو حتى بلوغ الرشد". والمراهقة بهذا المعنى هى مرحلة الانتقال من الطفولة إلى الرشد أى أنها القنطرة التى يعبرها الفرد ليصل إلى النضج الكامل الشامل ليصبح رجلاً أو امرأة. وتمتد هذه المرحلة طوال العقد الثانى تقريباً من عمر الفرد فهى تبدأ بحدوث البلوغ وتنتهى بالوصول إلى سن الرشد.

الخصائص العامة للمراهقة :

يمكن أن نشير إلى بعض الخصائص العامة لمرحلة المراهقة منها : -

١ - إذا كان من السهل تحديد بداية المراهقة فمن الصعب تحديد نهايتها. فالبداية تتمثل فى البلوغ، والبلوغ له علاماته المحددة ممثلة فى دلالات النضج الجنىسى، أما النهاية فتتمثل فى النضج العقلى والانتقال والاجتماعى وهذه ليس لها علامات محددة، وإنما يظهر هذا النضج خلال سلوك الفرد العام وطبيعة شخصيته. كما أن النضج فى هذه النواحي لا يتم فجأة أو دفعة واحدة وإنما يتم عبر حركة تنبؤية كحركة بندول الساعة، فمن سلوك ناضج إلى سلوك غير ناضج إلى أن يستقر على قطب النضج. وتحديد الوقت الذى يستقر فيه السلوك على قطب النضج يتوقف على عوامل كثيرة تظهر الفروق فى هذه الناحية بصورة واضحة. أما البداية فتعتمد كما قلنا على حدوث البلوغ بعلاماته الواضحة البيئية.

٢ - المراهقة هى المدخل إلى الرشد. وذلك لأن الفرد يصل فى نهاية مرحلة المراهقة إلى درجة من النضج الشامل لجميع جوانب نموه تؤهله لحياته الراشدة. والنضج الشامل هو أن يصل الفرد إلى النضج الجنىسى من الناحية التكوينية والناحية الوظيفية معاً، وإلى النضج العقلى حيث تكون جميع قدراته العقلية قد ظهرت ووصلت إلى اكتمال نموها وقد تحددت ميوله، وأن يصل إلى النضج الانفعالى كما يظهر فى ضبط السيطرة على انفعالاته وتوظيفها فى خدمة أهداف بنائية رشيدة. وأن يصل إلى النضج الاجتماعى كما يظهر من سلوكه وسط الجماعة وفى مواجهته للمشكلات والمواقف المختلفة.

٣ - تعتمد طول فترة المراقبة على ظروف المجتمع. لأنه إذا كان من علامات انتهاء المراقبة وصول الفرد إلى درجة النضج فمن علامات انتهائها أيضاً وصوله إلى مرحلة الاستقلال، ونعني بالاستقلال هنا الاستقلال الاقتصادي. وبناء على ذلك نتوقع أن تقصر فترة المراقبة في المجتمعات البدائية والمجتمعات الريفية بينما تطول في المجتمعات الحديثة والمجتمعات المدنية والصناعية، لأن الفرد في المجتمعات الأولى ينضج اقتصادياً في الوقت الذي ينضج فيه جنسياً تقريباً، ويستطيع أن يعول نفسه، مما يمكنه من أن يتزوج ويكون أسرة. وبذلك يشبع دوافعه الجنسية داخل الإطار الاجتماعي المشروع بالزواج، وتنتهي بذلك مراقبته ليندخل مرحلة رشده. أما المراهق في المجتمعات الحديثة فإن استقلاله الاقتصادي يتأخر كثيراً عن نضجه الجنسي، فهو يظل عالة على والديه طوال فترة تعليمه أو فترة إعداده للمهنة، وحتى بعد إتمام إعداده والتحاقه بالعمل، فإنه لا يحقق الاستقلال الاقتصادي السريع الذي يمكنه من تكوين الأسرة. وهذه الفترة التي تفصل بين نضج المراهق جنسياً ونضجه اقتصادياً فترة صعبة على المراهق في المجتمعات الحديثة خاصة وأنها تطول إلى عشر سنوات تقريباً، وربما أكثر.

٤ - يرتبط بطول وقصر فترة المراقبة ظاهرة أخرى وهي نمط المراقبة في كل من المجتمعين، البدائي والحديث. وينظر إلى المراقبة في المجتمعات الحديثة باعتبارها إحدى أزمات النمو. ويظهر ذلك في كتابات السيكولوجيين من علماء نفس النمو. فمعظم الكتاب يكتب عن مرحلة المراقبة باعتبارها أعنف أزمات النمو. وقد بدأ هذا الاتجاه مع "ستانلي هول" رائد السيكولوجيين الأمريكيين، وتبعه بقية العلماء. وهو اتجاه يقوم على المشاهدات الفعلية والواقعية لسلوك المراهقين الذي يتسم بعدم الثبات، والتوتر، والقلق، والتأرجح بين الثورة والخضوع والتحمس والرفض، والانطلاق والتوقع. وقد أرجع علماء النفس ردود الفعل الانفعالية والاجتماعية هذه إلى طفرة النمو الجسمي، وإلى النمو والتمايز الذي يحدث في النمو العقلي. والمراقبة من هذا المنظور أزمة بيولوجية لازمة، وسنة من سنن الطبيعة لا بد لكل مراهق أن يمر بها.

ولكن أبحاث "مرجريت ميد" و "رث بند كت" وغيرهما من الأنثروب
قدمت معطيات تعارض المنظور السابق. حيث انصبت دراساتهم على الم
البدائية والنامية ووجدوا أن المراهقة في هذه المجتمعات لا تمثل أ
الأزمات، بل أنها مرحلة عادية من مراحل النمو. وأن الطفل هناك عند
مرحلة الطفولة المتأخرة، ويصل إلى سن البلوغ يكون قد وصل إلى ا
الاقتصادى، لأنه يعمل في حرفة من الحرف منذ سنين. وتقيم القبيلة حفلة ل
الذين بلغوا سن الرشد وينشئون كرجالا من رجالات القبيلة. وقد يختار
مراهق في نفس الحفل عروسة من فتيات القبيلة، وبذلك يواكب النضج
لنضج الاقتصادى، ولا يعانى المراهق من إلحاح الدوافع غير المشبعة
للصدام فى المجتمع أو من مضاعفات البحث عن الذات مما يعانيه المر
المجتمعات الحديثة.

وتوحى هذه الدراسات أن أزمة المراهقة التى نراها عند فتياتنا وفتيا
اجتماعية من فعل الظروف الاقتصادية والاجتماعية وليست أزمة بيولوجية
من فعل الطبيعة.

٥ - يصف الباحثون مرحلة المراهقة بأنها مرحلة الصراعات الداخلية
المراهق. وهذا الصراع ينتج عن رغبة المراهق فى الاستقلال ع
وفى نفس الوقت عن حاجته إليهما. كما ينتج الصراع بين دوافعه
التي تتطلب إشباعاً، فى الوقت الذى يمنعه الأنا الأعلى أو الضمير ،
ويتولد الصراع كذلك بين رغبته فى الانطلاق والتحرر وبين
خضوعه للمجتمع بقيمه وتقاليده ونظمه. ومما يزيد الصراع ف
المراهق أنه مطالب باتخاذ قرارات هامة بالنسبة لنوع التعليم الذى
أو المهنة التى يختارها، وربما الزوجة التى يتزوجها.

٦ - المراهقة مرحلة الصدام مع السلطة فى كل صورها. فالمراهق قد
بوالديه، وقد يصطدم مع مدرسيه، وقد يصطدم بالمشرف فى النادي
ذلك إلى إحساس المراهق بأن هؤلاء الكبار يريدون تقييد حريته وف
يشاءون عليه مما قد لا يتفق مع رغباته. فى الوقت الذى يرى أن
مصلحته ويعرف ما يناسبه، ويستطيع أن يفكر لنفسه أفضل م
والمحيطين به.

١ - أهمية المراهقة :

تتقسم الثروة عادة إلى نوعين:

* الثروة المادية أو الطبيعية : وهى كل ما يوجد فى باطن الأرض أو على سطحها أو فى أعماق البحار.

* الثروة البشرية أو الإنسانية : وهى الناس أو البشر ومدى قدرتهم على استقلال الثروة الطبيعية والاستفادة منها لخير الإنسان ورفاهيته.

والثروة البشرية تتمثل فى الشباب فى من المراهقة. لأنها السن التى يختار فيها الفتى (أو الفتاة) نوع الدراسة التى يلتحق فيها أو المهنة التى يعمل فيها. وهى السن التى يتعلم فيها المهارات الفنية اللازمة لإتقان مهنة أو حرفة معينة. وهى السن التى تتبلور فيها الاتجاهات العقلية والخلاقية والاجتماعية المرتبطة بالعمل والإنتاج والمجتمع. وكل ذلك يجعل مرحلة المراهقة على أكبر جانب من الأهمية سواء بالنسبة للمجتمع أو بالنسبة للفرد نفسه. فإذا نظرنا إلى المراهقة من زاوية المجتمع، سنجد أنها الفترة التى يعد فيها الفرد نفسه ليبدأ العطاء للمجتمع. ولذلك فإن وجهة النظر الاجتماعية تلزمنا ببذل كل مجهود للحفاظ على هذه الطاقة البشرية. والعمل على تهيئتها واستثمارها أفضل استثمار ممكن، من حيث أن هذه الطاقة الإنسانية هى التى ستقوم على إنتاج الثروة البشرية وعلى الاستفادة منها. فهذه الثروة الأخيرة لا تخرج من الطبيعة قابلة للتداول، بل لابد من علاجها بعمليات الإنتاج. ومن هنا فإن أى عملية استثمار لابد أن تمر بالإنسان أولاً، لأنه محور عملية التقدم. وأى عملية تنمية أو استثمار تتجاهل الإنسان وتتجه مباشرة إلى استثمار الثروة الطبيعية مقضى عليها بالفشل. فالإنسان هو صانع التقدم عن طريق استثمار الثروات المادية. والثروات المادية وحدها لا تصنع تقدماً ولا تصنع بشراً. ومن ناحية أخرى فليس أمامنا سوى الاهتمام بتنمية هذه الطاقات البشرية ممثلة فى الشباب، لأن عدم الاهتمام بها لا يعنى أننا نخسرها كطاقة بناء وطاقة إنتاج، بل أنها ستتحول إلى طاقة مدمرة لنفسها وللمجتمعها.

ومن الحقائق المسلم بها اليوم أن ثروة الشعوب لا تقاس بثرواتها الطبيعية، إنما تقاس بثرواتها البشرية. أى أن هذه الثروة لا تقاس بما فى جوف أرضها من معادن وثروات طبيعية وإنما تقاس بما فى نفوس شبابها من قدرة على أداء

الأعمال المختلفة وبنجاح. وقد يكون المجتمع غنياً بثرواته الطبيعية ولكنه فقير ضعيف تفكك به الأمراض ويعانى من كل علل التخلف. وقد يكون المجتمع فقيراً فى الثروات الطبيعية، ولكنه مجتمع متقدم بكل المعايير، وأماناً كثير من المجتمعات الأفريقية والآسيوية كنموذج على المجتمعات الأولى، وكثير من المجتمعات الأوروبية كمثال على المجتمعات الثانية.

أما إذا نظرنا إلى أهمية المراهقة من زاوية الفرد فسنجد أنها تمثل أخطر سنى الحياة للإنسان لأنها السن الذى يتحدد فيها مستقبله إلى حد كبير. وهى الفترة التى يمر فيها بكثير من الصعوبات، أو يعانى من الصراعات والقلق. ويمكن أن ينحرف الفرد فى هذه السن إذا لم يجد من لا يأخذ بيده ويعاونه فى تخطى هذه العقبات. وكثير ممن فشلوا فى حياتهم وانحرفت بهم الظروف إلى الصور الاجتماعية من السلوك قد انحرفوا فى هذه السن. وتشهد كثيراً من التلاميذ المتفوقين دراسياً وللتكيفين اجتماعياً طوال سنى الدراسة فى المدرسة الابتدائية والمدرسة الإعدادية نجدهم وقد تعثروا فى دراستهم الثانوية وساء تكيفهم وساءت حال بعضهم وأصبحوا قاب قوسين أو أدنى من الجناح والجريمة. ومعنى ذلك أن سن المراهقة أشبه بعنق الزجاجة فى الحياة النفسية للفرد، من يمر فيه بسلام يضمن حياة مستقرة فى الأغلب الأعم.

ويلاحظ الكلينيكون أن كثيراً من أمراض العصاب وأمراض الذهان تنفجر فى مرحلة المراهقة حيث تكون بذورها كامنة منذ الطفولة، ونجد فى الصعوبات والصراعات العنيفة فى مرحلة المراهقة مناخاً مناسباً للاندلاع. ويظهر العصاب والذهان كنيل على فشل الفرد فى مواجهة الصراع وعدم قدرته على حلها. وتكون الأعراض وسيلة للتوافق الخاطئ مع المجتمع. ويتضح من ذلك أن هذه المرحلة من عمر الإنسان على جانب كبير من الأهمية فى حياة الفرد، وفى صحته النفسية. وعلى ذلك فإن الرعاية والاهتمام بالشباب من أوجب المطالب التربوية.

وفى الفصول القادمة سنتكلم عن جوانب النمو المختلفة فى مرحلة المراهقة مع ملاحظة أننا سنعالج هذه الفترة كلها كمرحلة واحدة وإن نلجأ إلى تقسيمها كما يفعل كثير من الباحثين حتى نأخذ صورة كاملة عن النمو فى هذه السن بدون تجزؤ أو تقطيع.

الفصل الخامس

النمو العضوى فى المراهقة

مقدمة :

ينقسم النمو العضوى إلى قسمين رئيسيين :

القسم الأول : النمو الفسيولوجى :

ويقصد بالنمو الفسيولوجى تلك التغيرات الداخلية التى تحدث داخل جسم الكائن الحى، ولا نستطيع أن نراها، وإنما يمكن أن نرى آثارها على شكل الجسم وحجمه، مثل التغير الذى يحدث فى الغدد وافرازاتها.

القسم الثانى: النمو الجسمى :

ويقصد بالنمو الجسمى تلك التغيرات التى تحدث لشكل الجسم الخارجى، وحجمه فى الطول والوزن، والشكل الخاص لكل نمو من الأعضاء، والعلاقة بين نسب نمو هذه الأعضاء. وهى تتأثر إلى حد كبير بالتغيرات الفسيولوجية.

وفى حديثنا عن النمو العضوى فى مرحلة المراهقة سنشير إلى أهم مظاهر النمو وخصائصه فى كل من الناحيتين الفسيولوجية والجسمية، ثم نتكلم عن النمو الجنسى من الزاوية التى ترتبط بالنمو العضوى، قبل أن نعرض لأهم التطبيقات التربوية لهذا الجانب من النمو.

النمو الفسيولوجى

البلوغ الجنسى :

المظهر الأساسى للنمو الفسيولوجى فى مرحلة المراهقة هو البلوغ. ويتحدث البعض عن البلوغ كما لو كان مرحلة مستقلة بذاتها أو على الأقل مرحلة انتقالية بين الطفولة والمراهقة، خاصة وأنها تمتد فترة من الوقت. وتمتاز هذه الفترة

بخصائص اجتماعية وانفعالية وعقلية خاصة، وإن كان البلوغ ظاهرة عضوية فى حد ذاته. ولكننا نفضل أن نعالج البلوغ كأحد مظاهر المراهقة. فحدوث البلوغ هو إيدان ببداية مرحلة المراهقة أو هو عتبة المراهقة.

ويجب أن يكون واضحاً فى أذهاننا تماماً الفرق بين البلوغ والمراهقة، حيث يشير البلوغ إلى التغيرات العضوية التى تحدث للكائن وتنتهى به إلى النضج الجنسى، أما المراهقة فتعنى جميع التغيرات العضوية وغير العضوية التى تحدث للكائن وتنتهى به إلى النضج الشامل أو الرشد كما ذكرنا. أى أن المراهقة أشمل وأعم من البلوغ وهى تتضمن البلوغ باعتباره يشير إلى النضج فى أحد الجوانب. كما أن هناك فرقاً بين الجنسية والبلوغ الجنسى. فالجنسية أو مشاعر اللذة الجنسية موجودة لدى الطفل منذ ميلاده ويستشعرها عند مص أصابعه، أو اللعب بأعضائه التناسلية، ومفهوم الجنسية هنا يتسع حتى ليكاد أن يتطابق مع كل لذة جسمية كما يرى أصحاب مدرسة التحليل النفسى، أما البلوغ الجنسى فيحدث عندما تبدأ الغدد الجنسية فى الإفراز ويكون المثير فى هذه الحالة داخلى، ويدفع الفرد إلى طلب الإشباع حتى ولو لم يكن أمامه مثيرات خارجية.

غدة الجنس :

وغدة الجنس عند الأنثى هى المبيضان ووظيفتهما إفراز البويضات. ويحدث البلوغ عندما يستطيع المبيضان إفراز البويضات. وتفرز الأنثى بويضة كل ٢٨ يوم، ويتناول المبيضان هذه المهمة وعندما يفرز المبيض البويضة فإنها تتجه إلى الرحم عبر قناة فالوب. فإذا لم تلقح فإنها تتأثر وتتفتت محتوياتها وتنزل من الرحم على شكل دم قان، وهو الطمث، علامة البلوغ الأساسية عند الإناث. أما غدة الجنس عند الذكر فهى الخصيتان وكل منهما يتكون من عدد وفير من الأنابيب المنوية يحيط بها غشاء ليفى، وتفرز الخصيتان الحبيبات المنوية والهرمونات الجنسية. وتختلط الحبيبات المنوية بالسائل المنوى الذى تفرزه غدة البروستاتا.

الأسس الفسيولوجية للبلوغ :

والأسس الفسيولوجية للبلوغ تتمثل فى أن الغدة النخامية التى سبق أن أشرنا إليها باعتبارها قائدة الغدد الصماء فى الجسم، تبدأ هذه الغدة فى إفراز ينشط الغدد التناسلية، فتتمو هذه الغدد الأخيرة، بينما تضم كل من الغدة الصنوبرية والغدة

التي موسية "وهي غدد الطفولة ولا يحدث النضج الجنسي إلا بضمورها" ويكون من نتيجة هذا التغيير الغدى أن يبدأ إفراز الهرمونات الجنسية وهي المبيضان والخصيتان. وإفراز هذه الهرمونات يؤدي بدوره إلى نمو الأعضاء التناسلية وإيصالها إلى نموها الطبيعي في الحجم وفي الوظيفة. هذا وتشارك أيضاً القشرة المخية في عملية ضبط النضج الجنسي. ويقسم الباحثون فترة البلوغ إلى ثلاثة مراحل: -

* في المرحلة الأولى : وتظهر المظاهر الثانوية للبلوغ مثل خشونة الصوت عند الذكور ونمو الثديين عند الإناث.

* في المرحلة الثانية : تستمر المظاهر الثانوية في النمو ولكن الغدد الجنسية تبدأ في العمل والإفراز.

* في المرحلة الثالثة : وفي المرحلة الثالثة تصل المظاهر الثانوية إلى غاية نضجها. ويأخذ كل من الذكر والأنثى الشكل النهائي للرجل الناضج والمرأة الناضجة.

متى يحدث البلوغ :

رأينا أن البلوغ يحدث عندما تبدأ الغدد الجنسية في العمل. ويتمثل البلوغ عند الأنثى في حدوث أول طمث، كما يتمثل عند الذكر في حدوث أول قذف منوى وليس الطمث والقذف هما للعلامتان الوحيدتان للبلوغ بل أن بعض الباحثين يعتمدون على علامات أخرى للنضج الجنسي مثل ظهور شعر العانة أو تغيير الصوت أو الطفرة الجسمية. لأن الطمث مثلاً قد يحدث مرة ويتأخر عدة شهور، وفي هذه الحالة لا يحسب تاريخ البلوغ إلا عندما ينتظم الطمث في دورة شهرية. ولكن ماذا عن موعد البلوغ عند كل من الفتى والفتاة.

أجريت دراسات عديدة اتخذت من علامات البلوغ المختلفة مؤشرات لحدوثه وأظهرت أن هناك تقارباً كبيراً بين هذه العلامات. ولكن ظهر أن هناك فروقاً فردية واضحة بين المراهقين في موعد البلوغ، كما أظهرت الدراسات الحضارية للمقارنة أن هناك فروقاً بين المجتمعات بعضها وبعض، وبين البيئات الريفية من ناحية والمدنية من ناحية أخرى داخل المجتمع الواحد. كما ظهر أن للتغذية أثر في تحديد موعد البلوغ حيث ترتبط كثرة البروتين بتيكير البلوغ، كما ترتبط المواد

الكربوهيدراتية بتأخير البلوغ، ويلاحظ البعض أن هناك ارتباطاً موجباً بين الذكاء والتبكير في البلوغ.

ولكن المحقق أن البنات يراهقن قبل البنين بمدة تتراوح من عام إلى عامين وذلك يحدث في كل المجتمعات والبيئات. وفي الجدول الآتي يظهر متوسطات الأعمار المختلفة عند البلوغ :-

ويظهر من الجدول أن معظم البنات يراهقن بين العامين الثاني عشر والثالث عشر. بينما يراهق معظم البنين بين العامين الرابع عشر والخامس عشر.

النسبة المئوية للبالغين		العمر بالسنة
بنين	بنات	
—	—	٨
—	% ١	٩
—	% ٢	١٠
% ٢	% ١٠	١١
% ٥	% ٣٨	١٢
% ٤	% ٧٢	١٣
% ٤٨	% ٨٢	١٤
% ٧٨	% ٩٤	١٥
% ٩٣	% ٩٧	١٦
% ٩٨	% ٩٩	١٧
% ١٠٠	% ١٠٠	١٨

جدول الأعمار والبلوغ الجنسي

ويرتبط التبكير أو التأخير في البلوغ ببعض السمات المتعلقة بتكيف المراهق أو المراهقة فالبنات اللاتي يبلغن مبكراً يملن إلى الخجل والانعزالية والحاجة إلى الإشراف، بينما البنات اللاتي يبلغن متأخراً يملن إلى الشعور بالوحدة والقلق بسبب تأخر البلوغ ومفهوم الذات المتدنى، أما الأولاد الذين يبلغون مبكراً فيميلون إلى أن يكونوا سعداء شاعرين بالنفحة بالاستقلالية، والأولاد الذين يبلغون متأخراً فإنهم يميلون إلى الخجل والقلق ومحاولة جذب انتباه الآخرين وتأكيد تفوقهم في مجال ما مع الوعي الزائد بالذات.

استجابة المراهقين للبلوغ :

وتختلف استجابة المراهقين والمراهقات للبلوغ. فالبعض يشعر بالفخر والبعض الثانى يشعر بالدهشة والاستغراب، بينما يشعر فريق ثالث بالحيرة. وعلى كل فالأمر بالنسبة للبنين أقل صعوبة مما هو بالنسبة للبنات، لأن البنين يتحدثون فيما بينهم — رغم أن كثيراً من المعلومات التى يتناقلها المراهقون فى المجال الجنسى خاطئة ومحرفة — فإنها تذهب دهشة المراهق وحيرته ولا تجعله يفاجأ بالبلوغ. ولجوء المراهق الفتى إلى رفاقه ليستقى منهم المعلومات الجنسية ينبئ عن تقصير المنزل والمدرسة معاً فى ميدان التربية الجنسية. أما البنات فإن الثقافة تضرب نطاقاً من السرية والكتمان حول بلوغهن حتى فى الأسرة نفسها. ولا تستطيع الفتاة أن تتحدث فى هذا الأمر إلا مع أمها التى تشجعها على هذا الكتمان. وتفاجأ الفتاة عند البلوغ أكثر مما يفاجأ الفتى. وفى إحدى الدراسات الأجنبية وجد الباحث أن استجابة المراهقات لحدوث البلوغ كانت كالتالى : -

أصبين بالدهشة	٥١ %	*
كن غير مباليات	٢٤ %	*
أصابهن الحزن	١٧ %	*
كن منزعجات	٧ %	*
كن فخورات	٦ %	*
	١٠٠ %	

النمو الجسمى

أهم ملامح النمو الجسمى :

١ - تحدث طفرة فى النمو الجسمى، وهذه هى طفرة النمو الثانية باعتبار أن الطفرة الأولى تقع فى أشهر الحمل وتمتد حتى منتصف العام الأول من عمر الطفل. وهذه الطفرة الحالية تحدث عند البنات قبل أن تحدث عند البنين. فهى تبدأ عند البنات فى حوالى العاشرة وتمتد حتى الرابعة عشرة. أما عند البنين فتبدأ فى الثانية عشرة لتنتهى فى الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة. وتبلغ

ذروة النمو الجسمى عند البنات فى الثانية عشرة أى قبل البلوغ، بينما تصل هذه الذروة عند البنين فى الرابعة عشرة أى فى فترة البلوغ نفسها. ويلاحظ أن من تحدث عنهم طفرة النمو مبكراً تنتهى مبكراً أيضاً. ومن تتأخر بدايتها لديهم تتأخر نهايتها أيضاً.

٢ - يرتبط نمو الطول بالنمو العظمى الطولى. ومن المعروف أن الجنسين يتساويان طولاً حتى سن الرابعة عشرة. وفى هذه السن تسبق البنت الولد حتى إذا وصلا إلى مرحلة البلوغ زاد الفرق بين طول الفتاة وطول الفتى، ويستمر هذا الفرق لصالح الفتاة حتى سن السابعة عشر. ولكن الفتى يلحقها عندما يمر بطفرة النمو لديه. وتصل الفتاة إلى أقصى طول لها حيث تتوقف قبل الفتى الذى يواصل نموه الطولى إلى سن الثامنة عشرة وعند بعض الرياضيين يستمر الطول حتى سن التاسعة عشرة وربما العشرين.

٣ - أما النمو العظمى العرضى - فيسير حسب وظيفة كل من الجنسين فى الحياة فيزداد نمو قوس الحوض عند الفتاة تمهيداً لوظائف الحمل والولادة بينما يزداد عرض المنكبين عند الفتى تمهيداً لتحمله الأعباء الجسمية وبذل المجهودات العضلية العنيفة.

٤ - وبالنسبة لنمو الوزن فإن الولد يظل أثقل وزناً من البنت حتى سن السابعة تقريباً ثم يتقارب الجنسان فى الوزن أو تزيد البنت عن الولد بمقدار قليل، ولكن هذا الفرق يصبح فى صالح البنات ابتداءً من سن الحادية عشر والثانية عشر أى عند بلوغ سن الرشد الجنى. ولكن الآية تتقلب مرة أخرى فى سن السادسة عشر عندما تنتهى فترة النمو الجسمى عند البنات وتكون فى أوجها عند البنين. وفى الجدول الآتى متوسطات الأطوال والأوزان لكلا الجنسين حتى نهاية مرحلة التعليم العالى كما استخلصتها إدارة الصحة المدرسية بوزارة التربية والتعليم :

العمر	النوع	الطول	الوزن	العمر	النوع	الطول	الوزن
سنة		سنتيمتر	كجم	سنة		سنتيمتر	كجم
١٢	بنون	١٤٣,١	٣٧,١	١٨	بنون	١٦٩,٣	٢٠,٤
	بنات	١٤٧,٠٠	٣٩,٥		بنات	١٥٨,٨	٥٤,٣
١٣	بنون	١٤٨,٢	٣٩,٤	١٩	بنون	١٧٠,٠٠	٦٢,٥
	بنات	١٥١,٢	٤٤,٦		بنات	١٥٨,٨	٥٤,٤
١٤	بنون	١٥٣,٥	٤٤,١	٢٠	بنون	١٧٠,٦	٦٣,٦
	بنات	١٥٤,٦	٤٦,٩		بنات	١٥٩,١	٥٥,٦
١٥	بنون	١٥٩,١	٤٨,٨	٢١	بنون	١٧٠,٨	٦٥,٧
	بنات	١٥٧,١	٥٠,٥		بنات	١٥٩,٣	٥٥,٨
١٦	بنون	١٦٤,٦	٥٤,٢	٢٢	بنون	١٧٠,٩	٦٥,٧
	بنات	١٥٧,٥	٥٢,٤		بنات	١٥٩,٤	٥٦,٠٠
١٧	بنون	١٦٧,٦	٥٨,٨	٢٣	بنون	١٧٢,٨	٦٨,٥
	بنات	١٥٧,٨	٥٣,٨		بنات	١٥٩,٧	٥٦,٩

٥ - إذا كان النمو الفسيولوجي يختص بالخصائص الجنسية الأولية - كما في نمو الأعضاء التناسلية من الناحية التكوينية والناحية الوظيفية، فإن النمو الجسمي يختص بالخصائص الجنسية الثانوية ممثلة في التغيرات الجسمية التي تحدث لكل من الفتى والفتاة في هذه المرحلة، والتي تعطى لكل منهما الشكل المميز للراشد من جنسه. فبالنسبة للبنات يتركز الدهن في أجزاء معينة من الجسم خاصة عند الأرداف وفي الثديين، ويستدير أعلى الفخذ، ويظهر الشعر على العانة وتحت الإبطن، كما يظهر شعر خفيف على الذراعين والساقين وعلى الشفاه العليا أيضاً، ويخفض الصوت ويعمق. أما بالنسبة للفتيان فينمو شعر الذقن والشارب ويغلظ الصوت ويخشن ويظهر الشعر على الذراعين والساقين وينمو الشعر على العانة وتحت الإبطن وعلى الصدر.

٦ - يشعر كثير من المراهقين بالخلل من جراء سرعة النمو الجسمي خاصة وأن النمو يكون في البداية غير متناسق. ولكل جانب من جوانب النمو وقت

معين يبلغ فيه نروته. ويعمد المراهق إلى إخفاء ما يعتقد أنه يسئ إلى مظهره الذى تعود أن يراه الآخرون عليه فيخفى يديه ويمشى أحياناً وهو منحنى الظهر خجلاً من طول قامته، وخاصة إذا كان أطول من أقرانه بكثير، كذلك تشعر الفتاة بالحرج عندما تجد أجزاء من جسمها تكبر وتبرز بصورة ملفتة للنظر، ويزداد حرصها إذا جرت أو إذا سارت بسرعة حيث تهتز هذه الأجزاء اهتزازاً واضحاً. ويحدث ذلك خصوصاً فى أول المرحلة، كما قد تتبع بعض الفتيات نظاماً غذائياً خاصاً توّهما منهن أن ذلك يقلل من حجم أردافهن. ومن الأمور التى تقلق بال المراهق أن النمو لا يسير متوازياً، فلا يبدو أن هناك تناسقاً فى جسمه. وقد يضيقه ظهور بعض البثور على وجهه.

٧ - تكون حركة المراهق خاصة فى أول المرحلة غير دقيقة، ويمكن أن يصطدم أثناء سيره بقطع الأثاث كما أنه غير دقيق عندما ينقل الأشياء من مكان لآخر وسرعان ما يشعر بالإجهاد لأقل مجهود يبذله، ويرجع ذلك إلى التغييرات العضوية وردود فعلها فى الجسم. ولكنه يصل إلى الاستقرار والتأزر التام فى النمو الحركى فى نهاية المرحلة.

الذات الجسمية :

يقلق المراهق جداً على مظهره ويحرص على أن يبدو بمظهر جسمى جذاب، فهو بعد أن يمر بفترة الدهشة والاستغراب على جسمه فى بداية المرحلة، يبدأ فى تقبل جسمه بشرط أن يكون هناك درجة من التناسق بين الطول والوزن، وألا تترك هذه الطفرة بعض العيوب أو القصور فى جسمه، حتى لا تسبب له السخرية من الآخرين، فهو حساس جداً لرأى الآخرين فى قوامه وشكله. ويكون فكرة عن جسمه مستمدة من فكرة الآخرين عنه - كما يظهر فى تعبيراتهم وملاحظاتهم وتفهمهم لجسمه. ويظهر من ذلك أن المراهق يكون فكرة عن جسمه، أو تصوراً خاصاً به يكون له رمز نفسى لديه وهو يسمى "بالذات الجسمية" وعلى قدر ما يكون هناك من تناسق معين بين نسب مختلف أجزاء الجسم يكون المراهق فكرة مقبولة عن جسمه، وبالتالي تكون الذات الجسمية لديه إيجابية. وتتغير فكرة المراهق عن جسمه إذا أصيب فى حادث أو تعرض لمرض غير من شكله أو أضر بنسب جسمه. ويتضايق المراهق كلما بعدت المقاييس الفعلية لجسمه "الذات

الواقعية الجسمية" عن المقاييس المثالية التي يرسمها لجسمه في ذهنه "الذات المثالية الجسمية" ويحاول إيجاد نوع من التطابق بين الذاتين بتغيير فكرته عن جسمه إذا لم يستطيع تغيير الصورة الواقعية.

وإذا كان المراهق يهتم بلفت انتباه الجنس الآخر فإن الجسم يلعب في هذه العملية دوراً رئيسياً. فهو يريد أن يكون له جسم جذاب يحوز إعجاب أفراد الجنس الآخر وهو كما يتأمل أجسام الآخرين يتأمل جسمه أيضاً، فيقارن بين جسمه وأجسامهم. ولا يفتسر الاهتمام على شكل الجسم فقط بل على قوة العضلات والصحة الجسمية والمهارات الحركية، وبل على الملابس التي تظهر هذه المزايا. وإذا سألنا عما يلفت نظر كل جنس في الجنس الآخر فسنجد أن الصفات الجسمية تحتل مكانة هامة بين هذه الصفات، فقد سجل الباحثون أن من الخصائص التي يفضلها المراهقون في المراهقات: الشخصية - المظهر الحسن - حسن الحديث - الإصغاء - الأنوثة - المهارات الحركية - الذكاء - سرعة البديهة - تذوق الفكاهة - قلة استخدام مسدس الحلاقة وأدوات التجميل. أما الخصائص التي تفضلها المراهقات في المراهقين: الشخصية - التوافق الاجتماعي - البناء الجسمي الحسن - حسن الحديث - الإصغاء - الذكاء - سرعة البديهة - تذوق الفكاهة - الأناقة - النظافة - الأدب.

النمو الجنسي

يمكن الإشارة إلى أهم ملامح النمو الجنسي في مرحلة المراهقة على النحو التالي :-

١ - الجنس جانب هام من جوانب نمو الإنسان عامة والمراهق خاصة. إذ تكون معظم تصرفاته واتجاهاته نحو نفسه ونحو الآخرين ونحو بيئته ومجتمعه متأثرة بالجانب الجنسي. ويعاني المراهق كثيراً من الصراعات بسبب الاستغزات الجنسية التي تثير دوافعه القوية الجارفة، ولا غرابة في ذلك، فالمراهقة تبدأ بالبلوغ الجنسي ولا تنتهي إلا عندما يستطيع المراهق أن يتحكم في هذه الدوافع ويخضعها للمواضعات الاجتماعية.

٢ - يشعر المراهق بالدافع في أول المرحلة شعوراً غامضاً. ويعبر عن ذلك بالاتجاه نحو أحد أفراد جنسه، وينشئ معه علاقة صداقة يشوبها الروح العاطفي وليس من الضروري أن يبادل الطرف الآخر نفس الشعور وهي ما تسمى بمرحلة الجنسية المثلية.

٣ - يتجه المراهق بعد ذلك فى وسط المرحلة من "الجنسية المثلية" إلى الجنسية الغيرية" لبحث عن أحد أفراد الجنس الآخر "ليقع فى غرامه" وغالباً ما يكون أقرب أفراد الجنس الآخر إليه، كأن يكون أحد الأقرباء أو الجيران أو الأصدقاء للأخ أو الأخت أو الزميل فى المدرسة المختلطة أو النادى. وغالباً ما يختار الفتى المراهق فتاة من سنه أما الفتاة فهى تختار موضوعات تتعلقها من أعمار أكبر من عمرها، وهو ما يضيق أقرانها من الذكور.

٤ - يحاط الدافع الجنسي - وهو محور العلاقات العاطفية - بغلالة من الرومانسية فى النصف الأول من المراهقة حيث ينظر المراهق - خاصة الفتى - إلى حبيبته باعتبارها كائن نورانى هبط عليه من السماء. ويشد كل ملكاته الأدبية لى يعبر عن شعوره نحو "ملاكه الطاهر"، ولكنه مع تقدم النمو وازدياد احتكاك المراهق بالمجتمع وإدراكه للأمور على حقيقتها تنزاح هذه الغلالة الرومانسية، وتكتسب العلاقة سمة واقعية. ويبدأ فى النظر إلى محبوبته باعتبارها إنسان عادى به المحاسن والعيوب معا.

٥ - ينغمس المراهق فى بداية المرحلة وبعد وضوح الدافع الجنسي لديه فى النشاط الجنسي الذاتى أو الاستمناء وهذا النشاط وإن كان شائعاً بين جميع المراهقين وفى كل البيئات إلا إنه يزيد فى تلك المجتمعات التى تمنع الاختلاط بين الجنسين وفى البيئات التى لا تتيح فرص النشاط الاجتماعى والرياضى والثقافى للمراهق. وتسجل الإحصائيات أن أكثر من ٩٠% من المراهقين الذكور يمارسون الاستمناء بينما تمارسه نسبة من المراهقات تزيد على ٦٠% وتقل حدة الانغماس الاستمنائى فى النصف الثانى من المراهقة ويرجع ذلك إلى أن المراهق ينجح فى إنشاء بعض الصداقات مع أفراد الجنس الآخر. وتأخذ معظمها طابع العلاقات العاطفية محققاً بذلك إعلاء لدوافعه.

ومما يجدر ذكره أنه يحيط بممارسة الاستمناء كثير من الأفكار والمعتقدات الخاطئة، منها أنها تؤدي إلى إنهاك المراهق جسمياً، وأنها تسبب له الإرهاق العصبى، وأنها قد تؤدي به إلى الجنون، مما يزيد من قلق المراهق وإحساسه بالذنب. وقد يلجأ إلى ممارسة الاستمناء ليرفع من درجة قلقه مما يوقعه فى دائرة تطحنه، فهو يمارس الاستمناء لإرضاء دافعه الجنسي، ولكنه يشعر بالندم والذنب الشديدين وهذا الشعور يولد لديه القلق فيدفعه إلى ممارسة الاستمناء وهذه المرة لإرضاء دافع الجنس ولتخفيف القلق أيضاً وهكذا. والنتيجة أن المراهق يفقد الثقة

في نفسه ويحتقر ذاته ويشعر إنه اثم وأنه يأتي أفعالاً لا تليق، وباختصار أنه يكون مفهوماً سلبياً لذاته. والحقيقة أن ممارسة الاستمراء — إذا لم تكن كثيرة — لا تضر بقدر ما تضر الأفكار الشائعة عن ممارسته.

٦ - يرغب المراهق في معرفة كل شيء عن الجنس والعلاقات الجنسية. وهذه الرغبة تدفعه إلى سؤال المراهقين الأكبر سناً، على يجد عندهم إجابات عن أسئلته، كما يبحث عن المعرفة في الكتب والمجلات ويهوى مشاهدة الأفلام الجنسية والصور الفاضحة للحصول على المعرفة من ناحية ولذة التي يشعر بها كلما اقترب من المثريات الجنسية، وهو ما يمكن أن يطلق عليه "الفضول الجنسي"، والمراهق مدفوع من داخله بقوة غلبة لمعرفة أسرار هذا العالم الجديد، وقد يحصل على معلومات خاطئة تشوه لديه مفهوم الجنس وتؤثر على سلوكه الجنسي وهنائه العائلي فيما بعد.

٧ - هناك فرق واضح بين سلوك الفتى الجنسي وسلوك الفتاة الجنسي — فالفتى أقرب إلى إدراك الجانب الحسي من العلاقة بين الجنسين، حيث يرى الفتى المراهق العلاقة بين الجنسين من خلال هذا الدافع، أو على الأقل فإن الدافع الجنسي يحتل مكانة واضحة فيها. أما الفتاة فهي أقرب إلى إدراك الجانب العاطفي من العلاقة حيث تأخذ لديها طابعاً رومانسياً معظم المرحلة.

٨ - في آخر مرحلة المراهقة يكتسب الدافع الجنسي عند الجنسين بعواطف الحنان والحب والرعاية والرفق. ويكون المراهق قد استطاع أن يسيطر على دوافعه بحكم نضجه الاجتماعي والانفعالي، وبحكم المكانة الاجتماعية التي يكون قد حققها كطالب في المرحلة الثانوية أو الجامعة أو في مجال العمل، وهذا التطور للميل الجنسي ينسجم مع طبيعة مرحلة النمو التي وصل إليها المراهق حيث يكون على استعداد لأن يتزوج ويكون أسرة. وتكون دوافعه قد تشكلت بالصورة التي تخدم قيام الأسرة وبقيائها، ونلاحظ أن كثيراً من الفتيات يُخطبن ويتزوجن في هذه المرحلة ولكن عدد الفتيات الذين يستطيعون الزواج في هذه السن قليل إذا قيس بعدد الفتيات، نظراً لتأخر سن إتمام التعليم وتأخر النضج الاقتصادي للفتى، وحيث أن تكاليف إقامة الأسرة مسئولية الشاب بالدرجة الأولى، ولأن الثقافة تشجع زواج البنات قبل زواج البنين.

رعاية النمو الجسمى فى المراهقة

١ - فترة المراهقة فترة النمو الجسمى السريعة ويترتب على ذلك كثير من التغيرات الفسيولوجية منها زيادة حجم القلب بنسبة أكبر من نمو الأوردة والشرايين، وزيادة ضغط الدم وارتفاعه، وعدم انتظام التمثيل الغذائى مما يؤدى إلى زيادة الشهية أو ضعفها. وتزيد نسبة استهلاك الجسم للأكسجين. هذا عدا التغيرات الجسمية الخارجية فى الطول والوزن والتي تجعل حركة المراهق غير متناسقة. كل هذه التغيرات تحتاج منا أن نهى المراهق لها، بحيث لا ينزعج لحدوثها، وأن ينظر إليها باعتبارها من ظواهر النمو الطبيعى، وأن شيئاً منها لا يدعو للخجل أو الحياء خاصة ظواهر البلوغ الجنسى.

٢ - هذه التغيرات الجسمية والفسيولوجية تنهك الجسم. ولذا يحتاج المراهق إلى قدر من الغذاء من ناحية الكم أو من ناحية الكيف بمعنى اشتماله على العناصر الغذائية الأساسية. ولا يجب أن نسمح للفتيات بالامتناع عن الطعام أو الإقلال منه، إذا وجدن من أنفسهن ميلاً عن الطعام أو إذا تعمدن ذلك لتخسيس أوزانهن.

٣ - يجب أيضاً أن ينال المراهق قدراً كافياً من النوم "تسع ساعات يومياً" وحتى يأخذ جسمه القسط المناسب من المرحلة. كما يجب ألا يجهد المراهق نفسه بمجهود عضلى عنيف لمدة طويلة. وعلى المدرسة أن تراعى ذلك.

٤ - ليس معنى ذلك أن يتمتع المراهق عن كل نشاط حركى وعضلى. بالعكس فإنه مطالب بأن يمارس الرياضة بكل أنواعها حيث أن هذه الرياضة تكسبه اللياقة الجسمية وتحافظ على قوامه. وتستثمر طاقته الجسمية وتساعد على إعلاء دوافعه الجنسية والعنوانية. ولذا يجب أن يمارس كل مراهق أى نوع من أنواع الرياضة حتى وإن كانت المشى.

٥ - يجب أن نحرص على اكتساب المراهق مفهوم إيجابى عن جسمه. وقد رأينا أنه عندما يكون مفهوم المراهق عن جسمه إيجابياً أقبل على الناس واندمج فى حياتهم ومال إلى مشاركتهم ألوان نشاطهم. أما إذا كان مفهوم المراهق

عن جسمه سلبياً فإنه ينسحب من الحياة الاجتماعية وينطوى على مهموما حزينا ويندب سوء حظه وربما تظهر لديه نزعات عدوانية إزاء الآخرين. مع ملاحظة أن الذات الجسمية أمر مكتسب من تعليقات المحيطين بالمرأه واتجاهاتهم إزاء هيئته وشكله. ولذا ننصح بأن يتجنب المحيطين بالمرأه السخرية من مظهره الجسمى أو التهكم عليه إن تعثر أو أتى حركة غير متناسقة خاصة وأنه مفرط الحساسية إزاء هذا الجانب.

٦ - لا يجب أبداً أن نهتم بالجانب العقلى على حساب الجانب الجسمى فى شخصية المرأه، وهو ما نشاهده الآن تحت ضغط نظام القبول بالمرأه التعليمية المختلفة خاصة الجامعة. لأن درجات التلميذ فى النهاية ليست فى أحسن حالاتها - إلا دلالة على قدرة الطالب على استرجاع مادة علمية معينة فى لحظة الامتحان. وهذه المعلومات قابلة للنسيان بعد الامتحان مباشرة، وليست معياراً دقيقاً للنجاح والقدرة بدليل أن عدداً من الطلبة المتفوقين فى المرحلة الثانوية وفى الجامعة ليسوا هم أنجح الأطباء أو أمهر المهندسين أو أكفأ المدرسين، لأن النجاح فى الحياة العملية يحتاج إلى جوانب عقلية أخرى غير التحصيل والدراسة كما يحتاج إلى جوانب جسمية واجتماعية وانفعالية وخلقية.

٧ - يجب أن نوجه عناية خاصة للمراقبين المعوقين. وألا نسمح للإعاقة الجسمية أن تغدس عليهم حياتهم، وهو شئ ممكن، إذا لم نشعرهم بالنقص فى الوقت الذى نعمل على إشراكهم فى نواحي النشاطات الأخرى والتي يمكن أن يشاركوا فيها، والنظر إلى عاهاتهم نظرة موضوعية، مع تجنب الأنشطة التى لا تناسبهم وسيكون لدى هذا النوع استعداد كبير لتعويض قصوره فى ناحية بالتفوق فى النواحي الأخرى.

٨ - يجب إبعاد المرأه عن كل مواقف الإثارة الجنسية، وأن نفرض رقابة واعية على أجهزة الإعلام والكتب والمطبوعات التى تحوى مواد مثيرة، وأن نهتم بتنشئة المرأه بتنشئة خلقية ودينية، وأن ينال قسطاً كافياً من الثقافة حول مشكلات المراهقة وكيف يمكن التغلب عليها، وأن يجد أمامه دائماً الموجه الذى يمكن أن يرشده إلى ما يريد، وأهم من ذلك كله أن يجد أمامه قدوة طيبة فى السلوك.

الفصل السادس

النمو العقلى فى المراهقة

مقدمة :

فى الجانب العقلى يركز الباحثون دراساتهم حول القدرة العقلية الفطرية العامة وهى الذكاء، على أساس أن الذكاء هو الطاقة التى تستمد منها جميع العمليات العقلية النشاط والفاعلية، ويمكن أن ينظر إلى الذكاء من ناحيتين:

الناحية الأولى :

وهى ناحية الموضوع الذى ينصب عليه، وهى القدرات والاستعدادات العقلية كالقدرة اللغوية والقدرة العددية والقدرة الميكانيكية والقدرة الموسيقية والقدرة الفنية.

الناحية الثانية :

وهى ناحية القنوات التى تؤدى القدرة العقلية عملها من خلالها وهى العمليات العقلية العليا، كالذكر والتخيل والانتباه والتفكير.

والذكاء نفسه تكوين فرضى، بمعنى أننا لا نراه، ولكننا نرى آثاره فى صورة الأداء العقلى فى مختلف مواقف الحياة، وفى التحصيل العلمى والمدرسى، فشأنه فى ذلك شأن الكهرباء والمغناطيسية، فهى مفاهيم افتراضية يفترضها العلماء لوصف مجموعة من العمليات لا نراها، ولكننا نرى آثارها بوضوح.

ولازال أمر الذكاء بين الفطرية والاكتساب محل نقاش وبحوث العلماء. وما هم متفقون عليه هو أن الفطرة تقدم الحد الأقصى من القدرة العقلية الذى يمكن أن يصل إليه الفرد. بينما تقدم البيئة المثيرة التى تشحذ قدرات الفرد العقلية وتنميتها. كذلك فإن الاتزان الانفعالى يبسر الأداء العقلى، كما يؤثر الاضطراب الانفعالى والأعراض العصبية تأثيراً سلبياً على أداء الفرد العقلى، وتؤثر الحالة الجسمية والصحية للفرد على استخدامه لقدراته العقلية.

وسنعالج موضوع النمو العقلى للمراهق من خلال العناوين الآتية :

- مميزات النمو العقلى فى المراهقة

- العمليات العقلية العليا

- القدرات الطائفية

- الميول

- رعاية النمو العقلى فى المراهقة

أولاً : مميزات النمو العقلى فى المراهقة :

١ - يحدث فى هذه المرحلة درجة كبيرة من التنوع أو التمايز فى القدرة العقلية. فحتى نهاية مرحلة الطفولة المتأخرة تكون الاستعدادات أو القدرات العقلية غير واضحة بعد، وإن كان البعض يقول إننا يمكن أن نتنبأ بها، بحيث نستطيع أن نحدد بصورة وإن لم تكن دقيقة حظ الفرد فى كل قدرة من القدرات ولكنه مع دخول الفرد مرحلة المراهقة يحدث تطور كفى كبير بجانب التطور الكمي. وهذا التطور الكيفي يتمثل فى تفرع القدرة العقلية وتمايزها، وظهور القدرات الخاصة أو الاستعدادات بشكل واضح مما يعطى للنمو العقلى طابعاً خاصاً، ويؤثر على جوانب النمو الأخرى وعلى شخصية الفرد بصفة عامة.

٢ - تتباين سرعة النمو العقلى فى هذه المرحلة. فبعد الازدهار الواضح الذى يشهده النمو العقلى فى الطفولة المتأخرة يحدث نوع من التعثر عند البلوغ، حيث تؤثر هذه الظاهرة على كل جوانب النمو. ولكن ما إن ينتهى البلوغ حتى يستأنف النمو العقلى سيره حتى من السادسة عشرة ليتعثر مرة أخرى ويبطئ معدل سيره طوال عامين، ثم يواصل سيره مرة أخرى بعد سن الثامنة عشرة، ويحدث ذلك عند فئات "فوق المتوسط" (الأنكياء والعباقرة).

٣ - تظهر الفروق الفردية بصورة أوضح فى الجانب العقلى فى المراهقة، لأن النمو العقلى يكون قد قطع شوطاً طويلاً، ويكاد أن يصل إلى منتهاه ويستقر. فتكون الفروق بين الأفراد من ناحية الدرجة التى يحصلون عليها على اختبارات الذكاء فى أعلى صورها. ومن ناحية أخرى فإن تمايز القدرة العقلية وبزوغ القدرات الخاصة يزيد من هذه الفروق بين الأفراد حيث نجد

من يتفوق فى القدرة العددية ومن يتفوق فى القدرة اللغوية وثالث يتفوق فى القدرة الميكانيكية. وقد يكونون جميعاً فى مستوى ذكاء واحد من ناحية القدرة العامة. وجانب ثالث فى الفروق يتضح أيضاً فى المراقبة وهو الفرق بين الجنسين حيث نجد البنات يتفوقن على البنين فى القدرة اللغوية بينما يتفوق البنين على البنات فى القدرة الميكانيكية.

٤ - مرحلة المراقبة هى المرحلة التى تتم فيها عملية التوجيه التربوى والمهنى، لأن القدرات الخاصة تتضح، والميول العقلية والمهنية تتحدد. وعملية التوجيه التربوى والمهنى هى عملية توزيع المراقبين كل على نوع الدراسة الذى يلائم إمكانياته وتوزيعه بعد ذلك على المهنة المرتبطة بميوله ودراسته.

٥ - من مميزات النمو العقلى فى المراقبة نمو التفكير الابتكارى بصورة واضحة. والتفكير الابتكارى يعنى الإتيان بأفكار جديدة غير معروفة ولتباع أساليب غير مألوفة لحل المشكلات المألوفة. وقد ذكرنا أن بؤادر هذا التفكير تظهر فى المرحلة السابقة وتزداد قدرة المراقب على هذا اللون من التفكير. ويظهر ذلك فى محاولات المراقب الأدبية وفى رغبته أن يرسم وفى تفوق البعض فى الرياضيات تفوقاً يعكس قدرة ابتكارية فى حل المسائل والتمارين.

٦ - تظهر سمة عقلية أخرى جديدة فى مرحلة المراقبة، وهى التفكير النقدى وهى سمة تتسجم مع الحال المزاجية والانفعالية للمراقب. كما كان التفكير المسابير ينسجم مع الحال المزاجية والانفعالية لطفل المدرسة الابتدائية. والتفكير النقدى هو ألا يقبل المراقب ما يسمع أو ما يقرأ دون تمحيص مهما كان المصدر الذى يسمع منه أو يقرأ، بل إن لديه الرغبة والقدرة على اكتشاف مواطن الصحة ومواطن الخطأ فيما يعرض عليه، ويتمشى ذلك مع نمو القدرة العقلية والقدرات الخاصة.

٧ - يرتفع مستوى الطموح عند الطلاب فى هذه المرحلة. حيث يكون المراقب إما طالباً فى المرحلة الثانوية، ويأمل فى التفوق ليحقق رغبته فى الالتحاق بنوع الدراسة التى يميل إليها، وإما طالباً بالجامعة ويرجو أن يحقق مستوى طيباً فى التحصيل يضمن به مستقبلاً أفضل. وهذا المستوى المرتفع من الطموح يدفع المراقب إلى زيادة الاطلاع وبذل الجهد فى التحصيل الدراسى.

٨ - مرحلة المراقبة هي مرحلة التخصص على نطاق ضيق في المرحلة الثانوية حيث تكون ثلاث شعب بالدراسة. ثم يتسع التخصص بعد ذلك في مرحلة التعليم العالي والجامعي. وهذا التخصص يفرض على المراهق ألواناً معينة من المعرفة ويحدد اهتماماته في مجال خاص ويفسح أمامه الطريق إلى التفوق والابتكار في هذا المجال، خاصة إذا كان يتمشى مع ميوله.

ثانياً : العمليات العقلية العليا :

١ - الانتباه :

تزيد قدرة المراهق على الانتباه سواء في المدة أو في المدى، فنجد أنه يستطيع أن يركز انتباهه على أي موضوع مدة طويلة إذا أراد أن يفعل، كما أن مدى الانتباه يتسع ليشمل أكثر من موضوع، ويزداد مدى الانتباه ومداه حسب عامل التشويق.

٢ - التذكر :

تنمو قدرة المراهق أيضاً على التذكر. وتتسع الذاكرة لتمثل أنواع جديدة من التذكر. والاختلاف بين ذاكرة المراهق وذاكرة الطفل اختلاف في الكيف أكثر منه اختلاف في الكم. فإذا كان تذكر الطفل من النوع قصير المدى فإن تذكر المراهق من النوع طويل المدى، بمعنى القدرة على استدعاء خبرات قديمة. كما أن تذكر الطفل من النوع الآلي، أي التذكر الذي لا يصحبه بالضرورة فهم للمادة المحفوظة والمستدعاة، ولكن تذكر المراهق مبني على الفهم، ويكاد يستحيل على المراهق أن يحفظ ويستدعي مادة غير مفهومة لديه.

٣ - التخيل :

تخيل المراهق تخيل مبني على الألفاظ. وفي هذا يختلف تخيله أيضاً عن تخيل الطفل. حيث يعتمد تخيل الطفل على الصور البصرية، أما تخيل المراهق فهو تخيل يعتمد على الألفاظ. ويساعد المراهق على التخيل المبني على الألفاظ تقدمه في اللغة وتملكه ناصية التعبير بها خاصة بالنسبة للمراهقين الذين يواصلون تعليمهم. ويتصل التخيل بالتفكير الابتكاري. فالتلاميذ من أصحاب القدرات الابتكارية هم أساساً متفوقون في القدرة التخيلية حيث يستطيعون أكثر من غيرهم الوصول إلى ترتيب جديد للعناصر المتوفرة في أي موقف، وهو لب عملية الابتكار.

٤ - التفكير :

رأينا أن الطفل في آخر مرحلة الطفولة المتأخرة يستطيع أن يفكر بمعنى إدراك العلاقة بين العناصر. هذه القدرة تتحسن في المراهقة. ويستطيع المراهق أن يقوم بعمليات الاستدلال العقلي، وهي استنباط قضايا جديدة من قضايا مطروحة، وعمليات الاستقراء وهي الانتهاء من الحالات الفردية إلى قاعدة عامة أو قانون شامل. كذلك فإنه نتيجة للنضج العقلي اللغوي تتحسن القدرة على التفكير المجرد لدى المراهق. ويمكن من فهم المصطلحات المجردة والتي ليس لها أساس حسي كالفضيلة والعدالة ويحسن التعامل بها.

ثالثاً : القدرات الطائفية :

نكرنا أن تميز القدرات العقلية من سمات النمو العقلي في مرحلة المراهقة ومن أهم القدرات الطائفية عند المراهقين ما يأتي :-

١ - القدرة اللفظية :

وتظهر في قدرة المراهق على فهم الألفاظ والتعبيرات اللغوية ومعرفة للمترادفات والأضداد.

٢ - القدرة المكانية :

وتظهر في قدرة المراهق على فهم الأشكال الهندسية المختلفة وإدراك العلاقات المكانية، وتصور حركات الأشكال والأجسام. ومما يجدر ذكره أن للعالم المصري "القوصي" أبحاث مبتكرة في هذه القدرة، وأن عالماً مصرياً آخر هو "فؤاد البهي" استكمل هذه البحوث وبين أن هذه القدرة تنقسم إلى قدرتين متميزتين في آخر مرحلة المراهقة. (فؤاد البهي، الأسس النفسية للنمو، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٥ ، ٢٦٩ - ٢٧٧).

٣ - القدرة العددية :

وتظهر في قدرة المراهق على إجراء العمليات الحسابية الأساسية.

٤ - قدرة التذكر المباشر :

وتبدو في قدرة المراهق على استدعاء الأرقام والألفاظ.

٥ - القدرة الاستقرائية :

وتبدو في قدرة المراهق على اكتشاف القاعدة من جزئياتها.

٦ - القدرة الاستنباطية :

وتبدو في قدرة المراهق على معرفة الجزئيات التي تنطوي تحت قاعدة أو قانون عام .

٧ - السرعة الإدراكية :

وتبدو في الإدراك السريع للأمور البسيطة.

وتتصل بعض هذه القدرات بنسب مختلفة لتؤلف من ذلك كله قدرات طائفية مركبة كالقدرة الرياضية التي تعتمد في بعض نواحيها على القدرات الاستقرائية والاستنباطية والمكانية والعديدية، أو كالقدرة المنطقية الاستدلالية التي تقوم على القدرة الاستنباطية والقدرة الاستقرائية.

رابعاً : الميول :

رأينا بدايات الميول تظهر في مرحلة الطفولة المتأخرة ولكنها تتضح وتتحدد في المراهقة، مصاحبة للنمو العقلي الذي يحققه المراهق. والميل هو شعور يصاحب انتباه الفرد واهتمامه بموضوع ما، ويقرب كثيراً من الاتجاه، وإن كان الاتجاه أكثر عمومية من الميل. وهذه بعض الخصائص التي تتميز بها ميول المراهق.

١ - تختلف الميول - من حيث المدى - التي يتعلق بها المراهق زمنياً. فقد يكون هناك ميلاً طارئاً وسرعان ما ينصرف عنه صاحبه. وهناك ميول تستمر مع الفرد فترة طويلة من الزمن كما أن هناك بعض الميول المتسعة التي تشمل نشاطات وجوانب عديدة. كما أن هناك ميول ضيقة بمعنى أنها مقتصرة على ناحية واحدة فقط، فقد يحب الفرد القراءة في علم معين أو موضوع خاص فقط.

٢ - تختلف الميول أيضاً وتتأثر ببعض العوامل التي يتصف بها المراهق. فميول الأنكباء غير ميول غير الأنكباء، كذلك تؤثر البيئة التي يعيش فيها الفرد على ميوله فمن يعيش في بيئة دينية غير من يعيش في بيئة لا تهتم بهذه

الناحية. كذلك من يعيش فى بيئة متقفة يختلف عن ميول من يعيش فى بيئة جاهلة أو غير متقفة. وتظهر ميول المراهق منعكسة فى قراءاته فنجدته يهتم فى بداية المرحلة بقراءة قصص الأبطال والمشاهير وبعض القصص المسلية والتي تحوى مغامرات. ثم تتطور قراءاته لتشمل بعض الموضوعات السياسية والاجتماعية كما تشمل القصص والموضوعات الغرامية والتي نتحدث عن العلاقة بين الجنسين. وهذا يؤكد أن الميول تتأثر أيضاً بعامل السن ومرحلة العمر التي يمر بها الإنسان.

٣ - لما كانت الميول تظهر وتتحدد فى المراهقة يرى المربون أن أسس المراهقة هى السن التي تحدث فيها عمليات التوجيه للتربوى والمهني. وبالطبع كلما اتجه الفرد إلى دراسة أو مهنة تتفق مع استعداداته وميوله كان احتمال نجاحه وتفوقه فيها أكبر.

رعاية النمو العقلى فى المراهقة

١ - الوقوف على مستوى النمو العقلى للتلاميذ أمر ضرورى ومتاح فى نفس الوقت، واختبارات الذكاء كثيرة ومتعددة. ويمكن لكل مدرسة أن تعرف نسبة ذكاء كل تلميذ فيها. بل ويمكن معرفة القدرات الخاصة أيضاً. على أن تسجل هذه البيانات فى بطاقته المدرسية حيث تكون تحت تصرف المعلم والأخصائى الاجتماعى وولى الأمر وكل من يهمه شأن التلميذ، وتنقل معه من المدرسة الإعدادية إلى المدرسة الثانوية أيضاً. ومما لا شك فيه أن معرفة القدرات الخاصة للتلاميذ يفيد فى توزيعهم على ألوان النشاط المدرسى.

٢ - معرفة قدرات التلاميذ الخاصة تفيد أيضاً فى توجيههم تعليمياً للتوجيه الصحيح بمعنى إلحاقهم بعد حصولهم على الشهادة الإعدادية بنوع الدراسة الثانوية التي يتناسب مع قدراتهم. وكثيراً ما تتطابق قدرات الأطفال مع ميولهم، وحتى إذا لم يكن هناك تطابق فإن معرفة قدرات التلاميذ أمر مفيد. وفى كل الأحوال لا يجب أن نفرض على التلميذ نوعاً خاصاً من الدراسة.

٣ - يرتبط بالتوجيه التعليمى للتلاميذ التوجيه المهني. والتوجيه المهني هو توجيه التلميذ بعد تخرجه من المدرسة للعمل فى مهنة معينة. ونوصى هنا أيضاً ألا يُجبر التلميذ على الالتحاق بمهنة معينة. وأن يترك له حرية اختيار ما يراه مناسباً له.

٤ - يصل المراهق فى النصف الثانى من مرحلة المراهقة إلى درجة كبيرة من النضج العقلى. ومعنى هذا أن مرحلة المراهقة هى مرحلة الثقافة العامة التى يكتسب فيها الفرد المعرفة التى تبنى عليها بعد ذلك الدراسات التخصصية فيما بعد. ولو استرجعنا حياة الأفراد واسعى الثقافة والمحبين للقراءة لوجدنا أن تعلقهم بالكتب ومصادر المعرفة تم فى مرحلة المراهقة. ولذلك يجب أن ندفع المراهق إلى زيادة ثقافته فى كل العلوم والفنون، على أن نيسر له سبل الاطلاع عليها. ويرتبط بهذه الناحية تعويد المراهق الاعتماد على نفسه فى التحصيل. وهناك من طرق التدريس ما يعتمد أساساً على التحصيل الذاتى، حيث يتعلم المراهق الاعتماد على نفسه، وفى نفس الوقت يكون ذلك أفضل إعداد له للمرحلة الجامعية.

٥ - رأينا أن قدرات المراهق العقلية تقرب من النضج. فالانتباه يزيد فى منته ومداه والتذكر يقوى والتخيل يتسع ويعمق. ويمكن للمراهق أن يستغل هذه القدرات فى التحصيل والاستيعاب العلمى، كما يستطيع أن يمارس كل ألوان التفكير الاستدلالى والنقدى. علينا أن ندرّب المراهق على استخدام هذه القدرات العقلية ليس فى التحصيل المدرسى فقط وإنما فى مواجهة مشكلاته الشخصية، وفى الإسهام فى المشكلات الاجتماعية والعامة.

٦ - من أنواع التفكير التى يستطيع أن يمارسها المراهق التفكير النقدى. ويجب أن ننمى هذه القدرة عنده حتى تتكون شخصيته الذهنية المستقلة. وتقوى لديه القدرة على التمييز بين الغث والسمين فيما يقرأ ويسمع. ولكن تنمية هذه القدرة يختلف بالطبع عن تشجيع المراهق على الجدل العقيم والمعارضة حبا فى الظهور وإثبات الذات خاصة وأن لديه هذه النزعات.

٧ - من القدرات العقلية التى يجب أن تنمى لدى المراهق التفكير الابتكارى وهى القدرة على إتيان أفكار جديدة أصيلة ومتنوعة. وتشجع التربية الفنية بمختلف فروعها الابتكار فى المجال الفنى. وكذلك تفعل بقية المواد فى المجالات الخاصة بها. كما تسهم فى ذلك جماعات النشاط المدرسى أيضاً. والفيصل فى هذا الأمر أن يجد المراهق مختلف ألوان النشاط وأن يجد الفرصة لممارستها. وأن يجد التشجيع والرقابة والتوجيه. وإذا وجد هذا الجو المهيأ فيدفعه ذلك إلى العمل والجهد والنشاط. وتظهر بذلك إمكانيات كل مراهق وحينئذ تستطيع المدرسة أن تتلقى المتفوقين وتقدم لهم رعاية خاصة.

٨ - من أهم الأهداف التربوية التي تحرص عليها المدرسة اكتساب الطلاب الأسلوب العلمي في التفكير أو اتجاه التفكير العلمي ومعناه أن يتعود الطالب عندما يقابل أى مشكلة دراسية أو غير دراسية على معالجتها بالأسلوب العلمي في التفكير وهذا الأسلوب يتحدد في الخطوات الآتية :

أ - تحديد المشكلة : وهو تعريفها تعريفاً دقيقاً بتحديد أبعادها ومعالمها.

ب - فرض الفروض: وضع مجموعة من الفروض أو الأساليب أو الاحتمالات التي يمكن أن تكون وراء المشكلة.

ج - تمحيص الفروض : وهي خطوة اختبار صحة كل فرض ومدى علاقته بالمشكلة ويحدث ذلك عن طريق جمع المعلومات وإجراء المقارنات والتجارب إذا لزم الأمر .

د - النتيجة : وهي الوصول إلى الفرض الصحيح أو أقرب الفروض إلى الصحة أو ترتيب الفروض حسب صحتها.

والأسلوب العلمي في التفكير أسلوب يصلح لكل العلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية كما يصلح لمواجهة مشكلات الحياة اليومية، وعلى المدرسة وكل الأجهزة التربوية أن تساعد في أن يكتسب المراهق هذا الاتجاه في التفكير، لأن ذلك سيعصمه من اتباع الأساليب الخاطئة في التفكير وسيؤدي به إلى أفضل نتائج التفكير، ويمثل تطبيقاً لدراسته على حياته اليومية والعلمية.

٩ - من المشكلات التي يشكو منها المراهقون سواء من طلبه المدارس الثانوية أو من طلبة الجامعات مشكلة نسيان المادة العلمية التي يه تنكرونها، ومشكلة النسيان مشكلة عامة لا بد وأن يعاني منها جميع الدارسين. وقد أوضحت الدراسات التي أجريت على طلبة الجامعات أن ٥٠ ٪ من المادة الدراسية ينسى بعد عام وأن ٨٠ ٪ منها ينسى بعد عامين. ولكنه بالرغم من هذا النسيان فإن الطالب يستفيد مما يكون قد درسه ويكون لديه اتجاهات أفضل نحو المادة التي درسها ونساها من تلك التي لم يدرسها مطلقاً. ولكن المشكلة التي تقلق بال المراهق هي نسيانه للمادة العلمية أثناء العام الدراسي، وهو يريد أن يحتفظ بها في ذهنه إلى يوم الامتحان. ويذكر علماء النفس التربوي (جابر عبد الحميد جابر. سيكولوجية التعلم ونظريات التعليم. القاهرة.

للنهضة العربية ١٩٧٦ ص . ص ١٧٠ - ١٨٠) . بعض العوامل التي تساعد على التذكر وهي :

أ - عامل المعنى :

فكلما ازداد وضوح معنى المادة التي تدرس قل مقدار نسيانها. ونحن ندرك أن ما نفهمه جيداً يبقى في أذهاننا مدة طويلة بعكس الأشياء التي لا معنى لها. وقد أجرى بعض العلماء تجارب فحواها أنهم قدموا مقاطع عديمة المعنى للحفظ والاسترجاع فوجدوا صعوبة في حفظها وفي استرجاعها بأسرع ما تتعرض له المقاطع ذات المعنى. ولذلك فعلى الطالب أن يتأكد من فهمه للمادة العلمية جيداً قبل استنكارها.

ب - عامل التداخل والتعارض :

كثيراً ما يحدث النسيان لأن مجموعة من الأفكار اختلطت بمجموعة أخرى مشابهة لها. ويرى البعض أنه لو أمكننا تجنب التداخل والتعارض بين المواد التي نقدمها للطالب لما حدث النسيان. ويمكن للطالب أن يستذكر المواد المتشابهة أو أجزاء المادة المتشابهة في فترات غير متقاربة.

ج - عامل توكيد التعلم أو تجاوز حد الحفظ

يرضى معظم التلاميذ عن استنكارهم عندما يصلون إلى مستوى مقبول. ولو أنهم توقفوا عن الاستنكار حينئذ، فإننا نجد هم ينسون كل ما كانوا يحفظون بعد مضي بعض الوقت. أما إذا استمروا في تكرار استجاباتهم وممارستها المرة بعد المرة لفترة أخرى فإنهم سيتعلمون الموضوع الذي هم بصدده على نحو متقن بحيث لا يمكن أن ينسوه بعد ذلك.

د - عامل المراجعة

إن مراجعة المواد التي تعلمها التلميذ من قبل يساعد على حفظها. والمراجعة نوعان، فقد تكون في صورة اختبار يتطلب استرجاع ما درسه التلميذ، وقد تكون في صورة إعادة دراسة المادة التي سبق للفرد تعلمها واستنكارها. وكلا النوعين يساعدان على الحفظ ولكل طريقة قيمتها الخاصة ويكون من الأفضل لو أن التعلم مضت عليه مدة تبلغ الأسبوعين، حتى يمكن إعادة المادة من جديد، وبذا يتحقق أقصى حفظ ممكن.

هـ - المواد الشبيقة والمواد غير الشبيقة

يرى بعض علماء النفس أن النسيان يرجع إلى كبت الأفكار غير السارة. فلو مرت بنا مجموعة من الخبرات أو الأحداث فإننا نتذكر السار وغير المؤلم منها، وننسى الأحداث التي تخافقنا. ولذلك فمن الأفضل تعليمياً وسيكولوجياً واجتماعياً أن يُترك للطالب حرية اختيار نوع الدراسة التي تناسبه والتي تتفق مع ميوله.

الفصل السابع

النمو الانفعالي فى المراهقة

مقدمة :

تعتمد انفعالات المراهق على النمو العضوى والنمو العقلى، ويحقق المراهق فى كليهما تطوراً كبيراً، ولذلك تكون الحياة الانفعالية فى المراهقة حياة صاخبة متقلبة عنيفة، وهى تشبه الحياة الانفعالية فى الطفولة المبكرة. وقد سبق أن قلنا إن الحياة الانفعالية فى الطفولة المتأخرة حياة هادئة وتفصل بين حيتين عنيفتين من الناحية الانفعالية فى الطفولة الباكرة وفى المراهقة. وإن كانت المراهقة أخطر لأنها تتسلح بمنطق المراهق، واحتمال انحرافه بصورة أكبر.

تشد التغيرات الجسمية التى يفاجأ بها المراهق انتباهه لذاته، فيشرع فى تأمل ذاته ويساوره القلق على نفسه وتضطرب حياته الانفعالية حيث يكون قوامها "انفعالات عنيفة متقلبة، حماسة زائدة، خلل بصدد نموه الجسمى الذى يظنه مرضاً أو شذوذاً أو إحساساً شديد بالذنب، يثيره انبثاق الدافع الجنسى على نحو صريح، أحلام فاضحة وخیالات متطرفة وأمانى جديدة، عواطف غريبة كالحب والوطنية والتدين، أسلوب جديد فى التفكير ونزعات نقدية وشكوك لم تساوره من قبل" (عبد المنعم الملىجى: النمو النفسى، مكتبة مصر، للقاهرة ١٩٥١، ص ١٥٩ - ١٦٠) هذه التغيرات الجسمية الكبيرة وما يتبعها من اضطراب فى الحياة الانفعالية يساندها التقدم العقلى الذى وصل إليه المراهق تحيل عالم المراهق إلى عالم غريب زلخ بالمشاعر المتضاربة والمتطرفة أحياناً فالأحلام وردية أحياناً وأثمة أحياناً أخرى، وهكذا هى حياة المراهق الانفعالية وسنعالج الحياة الانفعالية فى المراهقة من الزوايا الآتية :

- مظاهر النمو الانفعالى فى المراهقة
- عوامل عدم الثبات الانفعالى فى المراهقة
- خصائص الحياة الانفعالية فى المراهقة
- تطور عاطفة الحب
- مشاكل الانحراف الانفعالى فى المراهقة

- أنماط المراهق المصرى

- رعاية النمو الانفعالى

أولاً : مظاهر النمو الانفعالى فى المراهقة

١ - انفعالات المراهق انفعالات عنيفة وشديدة. فهو عندما يشور يشور ثورة عارمة، وعندما يريد أن يبدي احتجابه يبدى حائفاً ساخطاً، وحتى عندما يفرح فهو يضحك ويكاد يرقص، ويظهر العنف أيضاً فى عدم تناسب حجم الانفعال مع سببه فهو كالطفل يغضب بسرعة ولأسباب تافهة، ويفرح أيضاً بسرعة ولأسباب بسيطة ولذلك فانفعالات المراهق سطحية.

٢ - يرتبط بالعنف والسطحية فى الانفعالات مظهر آخر وهو التقلب، فالمراهق سرعان ما ينتقل من حالة الفرح إلى حالة الحزن إذا تصور أن سبب الفرح قد زال أو أن أحداً يريد أن يقف فى طريق رغباته. وكثيراً ما تكون الأسباب التى تدفع المراهق من حالة انفعالية إلى نقيضها أسباب داخلية. والحقيقة أن العوامل الذاتية مؤثرة فى كل الحالات التى تبدو أنها لا تستحق هذا القدر من الانفعال، لأن ذات المراهق هى التى تجسم التافه من الأمور وتعطيه حجماً أكبر.

٣ - يتذبذب المراهق فى سلوكه فلا يستطيع أن تصفه بأنه اجتماعى أو انطوائى، متدين أو ملحد، محب لزملائه ورفاقه أم كاره لهم، مطيع لأهله أم معاند لهم، كما لو كان شخصاً لم يحدد بعد اتجاهاته ومواقفه إزاء الأشخاص والأفكار. وهو كذلك بالفعل فهو يتصرف حسب ما تمليه عليه حالته الانفعالية الراهنة وهى متقلبة. ويترتب على ذلك صفة التذبذب فى السلوك.

٤ - مع أن التذبذب سمة فى سلوك المراهق فإن مسحة من الكآبة والحزن تلون سلوكه بصفة عامة. بمعنى أن ساعات الحزن أكثر من ساعات الفرح. ويلزم الحزن ميل إلى الانطواء والبعد عن الناس والوقوف موقفاً سلبياً من المجتمع قوامه إحساس بضعف الحيلة والهوان وظلم المجتمع.

٥ - قد يأخذ الموقف السلبى من المجتمع للمراهق شكلاً آخر، يتمثل فى الثورة والتمرد. ويشمل هذا السلوك الأسرة والمدرسة والنادى وكافة المؤسسات الاجتماعية التى يتعامل معها المراهق. فالتمرد ينصب على كل صور السلطة. ويعتقد المراهق أن نصائح الآباء والمعلمين تنحرف فى شؤنه الخاصة، ورغبة منهم فى التحكم فيه. ويعتقد المراهق أن الآباء والمعلمين

لا يزالون يعاملونه كما لو كان صغيراً، ولا يعطونه ما يستحقه من معاملة. ولذا يكون رد الفعل لديه هو الثورة والتمرد والعناد والرفض بدون تدبير أو تفكير فيما يقال له أو يعرض عليه. ونجد كثيراً من المراهقين يرفضون من الآباء ما يقبلونه من الأصدقاء والزملاء.

٦ - من مظاهر الحياة الانفعالية عند المراهق الخجل والحساسية المفرطة فهو يخشى غشيان الاجتماعات والمناسبات الاجتماعية، خاصة إذا كان بمفرده ظناً منه أنه سيكون محط أنظار وتعليقات المجتمع، وتزداد هذه الخاصة عند من سبق لهم أن تعرضوا لمواقف اجتماعية محرجة. كما أن المراهق مفرط الحساسية في التعامل مع الآخرين، قد تولمه كلمة ظنها تجرح شعوره وقد يطرب فرحاً لكلمة تمتدحه أو تؤكد شخصيته التي يود أن يظهر بها أمام الآخرين. وتقوى البنات البنين في ظاهرتي الخجل والحساسية، وتتوقف الحساسية أيضاً على تربية الطفل ونوع المعاملة التي تلقاها وعلى فكرته عن ذاته. وقد يبدو متناقضاً إحساس المراهق بالخجل والحساسية من ناحية واستعداده للتمرد والثورة من ناحية أخرى، ولكن متى كان المنطق يحكم حياة المراهق الانفعالية؟

٧ - يحس المراهق كثيراً بالذنب نتيجة الأخطاء التي يرتكبها. فهو يجسم لنفسه هذه الأخطاء ويصورها خروجاً على الصورة المثالية التي رسمها لنفسه. وقد يحاسب المراهق نفسه ليس على الأخطاء التي يرتكبها ولكن على الأفكار التي تراوده، وعلى الرغبات التي تهفو إليها نفسه. ويمكن اعتبار هذا الإحساس من الميكانيزمات التي تلجأ إليها النفس لتحتمي المراهق من عنف الرغبات الجنسية والعدوانية التي تضطرم داخله ويقوم الأنا لديه بضبط هذه الرغبات.

٨ - لا نستطيع أن نختم الحديث عن مظاهر النمو الانفعالي عند المراهق دون أن نشير إلى ظاهرة هامة وهي ظاهرة "أحلام اليقظة" وأحلام اليقظة هي تلك النوبات التي يسلم فيها المراهق نفسه لخياله ينطلق به جامحاً، ويعيش فترة من الزمن بعيداً عن الواقع مفضلاً عليه حياة أخرى جميلة من صنعته. ويجد المراهق لذة كبيرة في الاستغراق في هذه الأحلام ويضيّق كثيراً من يقطع عليه هذا الاستغراق وأحلام اليقظة سلاح ذو حدين. فهي قد تكون نافعة إذا كانت حافزاً على العمل والاستنكار فإذا كان المراهق يحلم لنفسه بمركز مرموق وتبلورت هذه الأمنية في نفسه ووضع كل طاقاته للوصول إلى

تحقيق هذه الأمنية، كانت أحلام اليقظة هنا بمثابة دافع إيجابي فى حياة المراهق. أما إذا استغرق المراهق فى هذه الأحلام أكثر ساعات النهار وانصرف عن العمل والاستنكار فالأحلام هنا هروب من الواقع، وليست وسيلة لتحسينه وتطويره. وعندما تزيد مدة هذه الأحلام فى حياة المراهق فإنها تتحول إلى عرض يشير إلى سوء تكيف المراهق وإلى عدد من الصعوبات يقف فى وجه المراهق. ولذا فإن درجة استغراق المراهق فى أحلام اليقظة دالة أو مؤشر لكمية الإحباطات التى يواجهها فى واقعه، فكلما كان واقع المراهق مؤلماً بالنسبة له وخالياً من كل ما يسره هرب منه إلى عالم آخر يصنعه فى خياله، والعكس صحيح فكلما كانت حياة المراهق متوازنة يجد فيها التفهم والاهتمام من جانب الوالدين، كما يجد فيها ألوان النشاط المختلفة التى يشبع فيها ميوله ويعطى بها دوافعه، قل التجائه إلى أحلام اليقظة.

ثانياً : عوامل عدم الثبات الانفعالى فى المراهقة

أما العوامل الكامنة وراء اضطراب الانفعالات عند المراهق فهى تتلخص فى عملية واحدة وهى الصراع الذى ينشأ عنيفاً وقويماً فى طريقه بين مجموعة من القوى المتصارعة والمتناقضة وتجعله نهبا لكافة التقلبات والثورات الانفعالية التى ذكرنا بعض مظاهرها فى الفقرة السابقة، وأهم محاور الصراع عند المراهق هى :

١ - ينشأ الصراع فى نفس المراهق بين رغبته فى أن يعامل الشخص الكبير فى الوقت الذى يعامله فيه والديه ومعلميه كما لو كان طفلاً، أو على الأقل لا يقبلان له المعاملة التى يرى نفسه جديراً بها. ويزداد الأمر تعقيداً إذا كان الآباء بالفعل من النوع المتسلط الذى يتحكم فى أبنائه.

٢ - ينشأ الصراع فى نفس المراهق بين دوافعه الجنسية التى تثيره وتستفزه وبين الموانع الخارجية ممثلة فى التقاليد والعرف والقوانين الوضعية والدين وكافة النظم الاجتماعية. وليست الموانع الخارجية فقط هى التى تكف المراهق، بل والموانع الداخلية ممثلة فى الأنا الأعلى أو الضمير. وتزداد المشكلة حرجاً كلما طالت هذه المدة وهى تطول فى المجتمعات الحديثة بينما لا تكاد توجد فى المجتمعات البدائية والريفية، كما ذكرنا من قبل.

٣ - ينشأ الصراع فى نفس المراهق بين رغبته فى الاستقلال عن والديه واعتماده على نفسه وبين ميوله الشعورى أو اللاشعورى إلى الاعتماد عليهما، لأنه لم ينضج بعد، ومازال فى حاجة إلى عونهما. وإذا كان المراهق شاعراً

بالنوعين الأولين من الصراع فإنه لا يكون مدرکاً تماماً لهذا النوع الثالث. ولكنه يبدو من ثورته الدائمة على والديه وعلى تبرمه من معاملتهما له وعلى تصيد الأسباب التي تجيز له انتقادهما، وندمه على ذلك فيما بعد.

٤ - من الأسباب التي تثير الصراع في نفس المراهق رغبته في تحقيق ذاته وتأكيد شخصيته في كثير من المواقف يقابل ذلك قصور محتمل في إمكانياته العقلية أو الجسمية أو الاجتماعية أو المادية أو بعضها أو كلها. فقد يود المراهق أن يتفوق دراسياً ولكنه لا يستطيع، وقد يحاول أن يتفوق رياضياً أو يشارك في الأنشطة الاجتماعية ولكنه لا ينجح في ذلك، وقد يحاول أن يظهر بمظهر القادر مادياً ليعوض القصور في جوانب أخرى أو ليجارى رفاقه، ولكن إمكانياته لا تسعفه. كل هذه الإحباطات تثير سخط المراهق وحنقه وضيقه. ولا يجد أمامه إلا والديه ليحملهم مسؤولية هذا الفشل، ويرميهم بضيق الأفق والتسلط، كما يتهم سلطات المدرسة بالتحكم والاستبداد، والمجتمع بالظلم والإجحاف، ويتأرجح بين التمرد والاعتداد الزائد بالنفس والتعالى من ناحية وفقدان الثقة بالنفس والاطواء والشعور بضعف الحيلة من ناحية أخرى.

٥ - من أسباب الصراع أيضاً لدى المراهق، عامل يتوقف على توازن جوانب النمو حيث أن النمو الجسمي يسبق النمو العقلي والانفعالي. ومن هنا يبدو المراهق في حجم الراشد الكبير ولكن سلوكه لا يزال طفلياً. ويترتب على ذلك أن المحيطين بالطفل قد يتوقعون منه سلوكاً راشداً مما يجعله عرضة للنقد، والحقيقة أن الكبار مثل المراهقين قد يقعون في التناقض أحياناً حينما يكلفون المراهق بأعمالاً ومسئوليات تحتاج إلى درجة أكبر من مستوى نضجه ثم يحاسبونه على عدم قدرته على القيام بها.

ثالثاً : خصائص الحياة الانفعالية في المراهقة

تنتم الحياة الانفعالية للمراهق بالخصائص والمميزات الآتية:

١ - عدم الثبات الانفعالي :

وقد ظهر من استعراضنا لمظاهر النمو الانفعالي أن حياة المراهق ليست ثابتة، بل هي عنيفة متقلبة متذبذبة. والمراهق لذلك أبعد ما يكون عن الثبات والاستقرار، ويؤثر ذلك على حياته وعلاقاته الاجتماعية. وتظل هذه السمة طالما أن الانفعالات مازالت قوية وعنيفة ولا تخفى إلا عندما تهدأ الانفعالات وتستقر فيتمتع الفرد بالثبات الانفعالي، علامة الرشد.

٢ - المثالية :

تظهر هذه المثالية في تأنيب ضميره الشديد والإحساس بالذنب إذا ما اقترف المراهق ذنباً أو ما إذا توهم أنه اقتراف ذنباً، أو إذا راودته أفكار أو نزعات غير بريئة. كما تظهر مثالية المراهق في استعدادة للتضحية في سبيل الوطن والتطوع لأداء الخدمات للجمعيات الدينية والاجتماعية، واستعداد بالتضحية في سبيل المبدأ، ولو وصل الأمر إلى درجة التضحية بالحياة. ومن بين مظاهر المثالية أيضاً إعجاب المراهق الشديد بالأبطال والشهداء الذين ضحوا في سبيل إعلاء مبادئهم وأفكارهم.

٣ - الرومانسية :

وتبدو الروح الرومانسية عند المراهق في حبه الشديد للطبيعة ورغبته في التعبير الأدبي عن حبه لجمالها وقراءته للإنتاج الأدبي الرومانسي، ويصاحب حب المراهق للطبيعة هروب من المجتمع وتفضيل العزلة والعزوف عن التجمعات فيما يشبه الانطواء. ويرتبط كذلك بظاهرة الانطواء والعزلة ظاهرة التمرد والرغبة في عدم التقيد بالنظم والقواعد الاجتماعية التي يراها المراهق ظالمة مقيدة متعسفة. وهو انعكاس لضعف حياته أمام دوافعه القوية وإمكاناته الضعيفة مما يؤدي إلى الصراع العنيف داخله. كذلك من مظاهر الروح الرومانسية مسحة الحزن والكآبة التي ترين على نفس المراهق، وكذلك رهافة المشاعر والخجل والحساسية المفرطة لأبسط المثيرات.

٤ - الفروق الجنسية في الحياة الانفعالية

ليست هناك فروق كبيرة بين الجنسين في الجانب الانفعالي، وما سبق ذكره ينطبق على كلا الجنسين. غير أن سمة الرومانسية أظهر عند الفتيات. ومن كذلك أكثر استسلاماً لأحلام اليقظة، وربما كان ذلك في البيئات الشرقية - والمجتمع المصري واحد منها - حيث تضع هذه البيئات قيوداً أكثر على حياة الفتاة، فلا تجد مفراً من اللجوء إلى الخيال لتعيش فيه، ولتحقيق ما تعجز عن تحقيقه في الواقع. كذلك نجد عند البنين ميلاً أكثر إلى العنف والثورة والتمرد من ناحية، واهتماماً موازياً بكيفية ضبط النفس والتحكم في الانفعالات وتحقيق التكيف في الوسط الاجتماعي من ناحية أخرى .

٥ - الحب :

يمثل الحب العمود الفقري في حياة المراهق الانفعالية، فهو يرضى إذا حصل عليه، وتسوء حالته إذا حرم منه، يبحث عنه ويسعى إليه، يريد أن يحبه الآخرون، كما يريد أن يمنح الحب للآخرين. وعندما يثور على والديه يتصور أنهما لا يحبان، ويستكين في اللحظات التي يرجع فيها إلى نفسه ويعرف أنهما مستودع الحنان والحب له. وهو عندما يتحبه إلى الطبيعة يبتها غرامه يفر إلى ما يحب، بعيداً عن ما لا يحب وهو الناس والمجتمع. وهو يحب الأبطال والمشاهير، ويتوحد مع كبار العشاق في الروايات الشهيرة. ومن هنا يتضح لنا أهمية عاطفة الحب في حياة المراهق الانفعالية. ولذلك سنعرض تطور هذه العاطفة الأساسية استكمالاً لرسم ملامح الحياة الانفعالية للمراهقين.

رابعاً : تطور عاطفة الحب

العاطفة تنظيم مكتسب من عدة انفعالات ركزت حول موضوع معين. وقد رأينا الطفل في الثالثة يبلغ أوج الثورة الانفعالية في الطفولة ويمر بمرحلة من التذبذب العاطفي بحيث يكون الشخص موضوع حبه وكرهه حسب ما يحققه له هذا الشخص من حاجاته. ولكنه يبدأ في إنهاء هذا التذبذب بحيث يكون الشخص موضوعاً لحبه حتى ولو لم يشبع له رغباته. وبهذا تكون العاطفة قد تكونت. فالعاطفة هي عادة انفعالية أو تنظيم انفعالي ثابت نسبياً يتبلور حول موضوع معين. وأول موضوع لحب الطفل عادة تكون الأم أو من يقوم مقامها، ثم تتسع عاطفة الحب لديه لتشمل الأب ثم الإخوة وأقرانه في اللعب. ويقبل درجة من التفاعل الاجتماعي معهم، ولكنه مازال حتى هذه اللحظة متمركزاً حول نفسه يحب ذاته ويحب من يحبه.

وعندما يذهب الطفل إلى المدرسة تتسع دائرة معارفه، ويبلغ درجة طيبة من النمو الاجتماعي تتمثل في الانفتاح على الآخرين. ويبدأ في الاندماج في شلة من أصدقائه، وينزع نفسه من التمرکز حول ذاته ويظهر ذلك في اهتمامه بمن حوله وفي التعاون معهم والتنازل عن رأيه وعن حاجياته لهم، هكذا تتطور عاطفة الحب في الطفولة المتأخرة من حب الذات إلى حب الآخر وفي هذه الفترة نجد نوعاً من التباعد بين الجنسين.

وفي المراهقة يظهر الدافع الجنسي بصورة واضحة وصريحة. وفي البداية يعتصم المراهق بنفوره السابق من الجنس الآخر في وجه هذه الدفعا، ولأن الدافع الجنسي في بداية المراهقة يكون غامضاً وغير واضح. ونجد للمراهق يتجه إلى

عقد صداقة مع أحد أفراد جنسه ويتجه بحبه نحوه وهى ما أسميناها مرحلة الجنسية المثلية. ولكن بعد وضوح الدافع الجنىى يتجه المراهق باهتمامه إلى أفراد الجنس الآخر، ويحاول جذب اهتمام أفراد، وهى مرحلة الجنسية الغيرية. أى أن المراهق يتحول بحبه من أفراد جنسه إلى أفراد الجنس الآخر. ومعنى ذلك أن تطور عاطفة الحب تمر عبر محورين:

الأول : محور الذات - الآخر، ويتم فى الطفولة المتأخرة.

الثانى : محور نفس الجنس - الجنس الآخر، ويتم فى المراهقة، وبذا تتبلور عاطفة الحب التى تأخذ طريقها إلى النضج لتكون الأساس فى تكوين الأسرة.

أما تكوين عاطفة الحب عندما تنصب على موضوع من أفراد الجنس الآخر، فإنها لا تتم بصورة فجائية كما لا تتم بصورة عمدية قصدية بل وأحياناً تكون لا منطقية، بمعنى أن الفرد لا يقول إننى شأشعر فى الحب، وهذا الشخص به كل الصفات الجديرة بالحب فليكن موضوعاً لحبى. ولكن الباحثين يرون أن هذه العملية تتم بناء على سلسلة من الخبرات التى يخبرها الفرد وتكون مرتبطة بشخص معين فإذا كانت الخبرات سارة فإن هذا الشخص يمكن أن يكون موضوعاً للحب وإذا كانت الخبرات غير سارة فإن هذا الشخص يمكن أن يكون موضوعاً لعاطفة الكراهية. أى أن عاطفة الحب والكراهية عند المراهق تتكون على نفس النسق التى تحدث به عند الطفل وإن كان على مستوى أكثر تعقيداً.

خامساً : مشاكل النمو الانفعالى فى المراهقة:

قد يحدث أن ينحرف خط سير النمو الانفعالى بحيث لا يسير فى مجراه الطبيعى نحو النضج. ويأخذ هذا الانحراف الأشكال الآتية مع ملاحظة أن هذه الأشكال إن هى إلا صور مبالغ فيها أو متطرفة لسمات موجودة فى المراهقة السوية :

١ - الجنسية المثلية :

وهى ميل الفرد إلى فرد من نفس جنسه. وقد رأينا أن الجنسية المثلية مرحلة عادية من مراحل النمو. ويمر بها كل الأفراد فى نموهم السوى. وفى الظروف الطبيعية تنتهى هذه المرحلة فى منتصف المراهقة على الأكثر ليبدأ الميل الجنىى الغيرى الذى يتجه فيه الاهتمام إلى أفراد الجنس الآخر ولكن ظروف اجتماعية

أو تربوية أو عضوية قد تحدث وتعرقل هذا النمو. وتقف بالفرد عند مرحلة الجنسية المثلية، ويأخذ المراهق كل إشباعه من هذه العلاقة، وقد تقف العلاقة عند حد التعلق العاطفي. وقد تصل في الحالات القصوى إلى درجة الاتصال الجنسي الكامل.

٢ - الجناح:

، الجناح هو السلوك الاجتماعي. وقد ذكرنا أن من سمات المراهق الطبيعية سمة التمرد والثورة والرغبة في الخروج على التقاليد والنظم، وميله إلى تحدى السلطات ولكن المراهق العادي يعود بعد ثورته أو تمرده إلى الانضباط والنظام ويدرك مشروعية القواعد والقوانين والسلطة. ولكنه يحدث في بعض الحالات أن المراهق يقع تحت ضغوط شديدة من جانب بيئته المنزلية والمدرسية، وقد يقع تحت ضغوط عنيفة من داخله أيضاً في الوقت الذي لا يجد من نفسه عاصماً يعصمه، كما لا يجد أحداً من الكبار يأخذ بيده ويساعده في أزمته. وقد وجد أن معظم المراهقين الجانحين من ذوي "الأنا" الضعيف وهو ما يشير إلى أخطاء في عملية التربية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن لديهم "أنا أعلى" غير مكتمل النمو مما يشير أيضاً إلى نقص في التربية الخلقية والدينية في المنزل أولاً، وفي المدرسة ثانياً، وفي المؤسسات الثقافية والاجتماعية ثالثاً.

٣ - الاعتمادية والتعلق الطفلي

حياة الطفل الانفعالية كلها يمكن اعتبارها سعيًا حثيثًا لتحقيق الاستقلال عن الأم، والاستقلال بشخصه عن الوالدين والأسرة. فبعد أن يكون الطفل في مرحلته الجنينية معتمداً اعتماداً كاملاً على أمه يقوم عند الميلاد ببعض المهام كالنفس والمساعدة في الطعام بالمص. ثم ينجز بتعلمه المشي خطوة كبيرة في سبيل هذا الاستقلال. وطوال سنوات الطفولة يسير خطوات في هذا الطريق والمفروض أن يتم الطعام النفسي في مرحلة المراهقة. ولكن في بعض الحالات يتأخر هذا الطعام أو لا يحدث، فتتخلل الروابط العاطفية والوجدانية التي تربط الطفل بوالديه قوية ومتينة بحيث لا يستطيع الطفل، أو لا يرغب في أن يستقل بشخصه عن والديه حتى ولو تظاهر بذلك. وتحقيق الطعام النفسي للطفل أو استقلاله العاطفي هو مسؤولية الوالدين بالدرجة الأولى، لأنهما اللذان يشجعان الطفل على الاستقلال بشخصه ويعودانه الاعتماد على نفسه، كما أنهما اللذان يمنعان الاستقلال بتشجيع استمرار اعتماد الطفل عليهما. وإذا عاش المراهق بين والدين لا يشجعان استقلاله العاطفي

فلا يستطيع الاستقلال بشخصه. وبذلك يكون مهدداً بالفشل فى أية أعمال يقوم بها. وهو ما يحدث فى حالات كثيرة أمامنا وفى الحالات المتطرفة — والتي كان يبلغ فيها تشبث الآباء بعدم استقلالية الطفل فيها درجة كبيرة — يفشل الفرد أيضاً فى تكوين أسرة لأنه يريد "زوجة أم" وليس "زوجة شريكة" وهو ما لا تستطيعه الزوجة السوية فمثل هذا الزوج يريد أن يأخذ، وليس لديه قدرة على العطاء فى حين أن العلاقة الزوجية السوية تقوم على الأخذ والعطاء المتبادل بين الزوجين.

سادساً : أنماط المراهق المصرى

ويحسن هنا أن نعرض لأنماط المراهقة المصرية. وقد ذكرنا من قبل أن المراهقة تختلف من مجتمع لآخر حسب ثقافته وظروفه. وقد أجرى مغاريوس (صموئيل مغاريوس: أضواء على المراهق المصرى. القاهرة. مكتبة النهضة العربية ١٩٥٨م) بحثاً عن المراهق المصرى انتهى فيه إلى أن هناك أربعة أشكال للمراهقة فى مصر هي:

١ - المراهقة المتوافقة:

وسماتها الاعتدال — الهدوء النسبى والميل إلى الاستقرار والإشباع الممتز — وتكامل الاتجاهات والاتزان العاطفى والخلو من العنف والتوترات الانفعالية الحادة والتوافق مع الوالدين والتوافق الدراسى والنجاح التحصيلى والتوافق الاجتماعى والرضا عن النفس .

٢ - المراهقة الانسحابية :

وسماتها الانطواء والاكتئاب والسلبية والتردد والخلل والشعور بالنقص والافتقار على أنواع النشاط الانطوائى وكتابة المذكرات والنقد والتفكير المتمركز حول الذات ومشكلات الحياة ونقد النظم الاجتماعية والثورة على تربية الوالدين والاستغراق فى أحلام اليقظة التى تدور حول موضوعات الحرمان والحاجات غير المشبعة والإسراف فى الاستمنا.

٣ - المراهقة العدوانية :

وسماتها التمرد والثورة ضد الأسرة والمدرسة والسلطة عموماً والانحرافات الجنسية والعدوان على الإخوة والزملاء والعناد بقصد الانتقام خاصة من الوالدين وتحطيم أدوات المنزل والاتفاق بإسراف والشغف بقراءة روايات المغامرات وأحلام اليقظة والتأخر الدراسى.

٤ - المراهقة المنحرفة :

وسماتها الانحلال الخلقي التام والانهيار النفسى الشامل والجناح والسلوك المضاد للمجتمع بالانحرافات الجنسية وسوء الخلق والفوضى والاستهتار وسوء التوافق والبعد عن المعايير الاجتماعية فى السلوك.

سابعاً : رعاية النمو الانفعالى فى المراهقة

١ - العمل على تعزيز ثقة المراهق فى نفسه من الحساسية الشديدة التى يعانيتها وهذا يتأتى عن طريق تشجيعه على الاشتراك فى كل أوجه النشاط والإحياء له أنه يستطيع أن يثبت نفسه وتقواه أيضاً فى أى مجال إذا أراد. وتتضمن هذه المعاملة بالطبع البعد عن السخرية منه ومعايرته أو مقارنته بغيره إذا كانت المقارنة ليست فى صالحه.

٢ - مساعدة المراهق على التخلص من الاستغراق الزائد فى الخيال واللجوء إلى أحلام اليقظة كلما واجهته صعوبة. وذلك بأن نجعل واقعه بقدر الإمكان محتملاً على الأقل إن لم يكن بهيجاً. وهو أمر ممكن وميسر على الآباء والمعلمين. وذلك بأن يشعروهم بأنهم يحبوه. ويقفون بجانبه بكل عواطفهم ويتمنون له كل الخير. فالمراهق يشعر فى أوقات كثيرة بالحزن والكآبة، ويعانى من العزلة حتى ولو كان فى وسط أهله لأنه يحس أن لا أحداً يشاركه همومه ومشاكله، وأن الكل لاه عنه ولا يشعر بما يعانیه. فإذا أحس المراهق بأنه موضوع اهتمام ورعاية المحيطين به فإن هذا الشعور يسعده ويذهب عنه شعور اليأس والإحساس بالغربة والوحدة. وإذا وجد المراهق أن فى واقعه ما يستريح له فإنه ينشد إليه ويحاول أن يعيشه ويندمج فيه ويندر أن يلجأ إلى الخيال والأحلام.

٣ - مساعدة المراهق على أن يحقق الاستقلال النفسى أو الفطام النفسى بتشجيعه على الاعتماد على نفسه وأن يُسند إليه ما يستطيع أن يتحملة من مسئوليات. وإلا نحاسبه بعنف إذا أخطأ. أو لم يتصرف التصرف الصحيح معطين له الفرصة مرة ومرة، حتى لا يفقد ثقته بنفسه. ويخطئ كثير من الآباء عندما يعوقون عملية الفطام النفسى لأبنائهم بتشجيعهم المستمر للاعتماد عليهم. وأحياناً ما يكون لدى الآباء دوافع نفسية لتعطيل هذه العملية كأن يكون الطفل وحيداً، ولا يرغب الوالدان فى أن ينفصل عنهما وحيدهما، ويعطيان

عظفا زائداً مستمراً فتقوى الروابط الوجدانية بينه وبينهما بدلاً من أن تضعف ليحل محلها روابط أخرى يعقدها المراهق مع آخرين. ويحدث هذا بصورة أكثر من جانب الأمهات.

٤ - يجب أن يعامل المراهق معاملة الشخص الكبير خاصة في النصف الثاني من المراهقة. فالمراهق يجد نفسه مستحقاً لمعاملة كالتى ينالها الأشخاص الناضجين في الوقت الذى يجد فيه والديه لازالان يعاملانه معاملة الطفل. والآباء في كثير من الحالات لا يجدون أن أبناءهم قد نضجوا سلوكياً - وإن نضجوا جسمياً - بدرجة كافية حتى تتغير معاملتهم لهم، فيظلوا يعاملونهم معاملة الأطفال. وهو ما يضايق المراهق ويثيره، ويجعله يشعر بالظلم والاضطهاد، وقد يخرج على طاعة والديه ويتحداهما. هذا الصدام يمكن أن يتفاده الآباء والمعلمين لو أشعروا المراهق أنه قد كبر فعلاً ويستحق معاملة مختلفة وأنه أهل للثقة وأن يأخذوا رأيه في بعض المسائل التى تخصه أو تخص الأسرة أو تخص نظام العمل في المدرسة، كما يجب أن يعرف الآباء والمعلمون أن المراهق لم ينضج للنضج الكافى الذى يؤهله لتحمل المسؤولية كاملة. ولا يجب على الآباء أن يقابلوا ثورة المراهق بثورة مماثلة، ولا يجب أن يفهموا أن هذا السلوك من جانبه تحد لسلطاتهم ومكانتهم، يجب أن يعاقب عليه، فالمراهق شخص غير ثابت تتنازع دوافع كثيرة وتتقافه أهواء مختلفة وهو يحتاج إلى المساعدة والعون، وإذا ثار وتحدى والده إبان عفوان ثورته الانفعالية فإنه في نهاية المرحلة يتصالح مع والديه ويكون نعم المساعد لوالديه في تحمل المسؤوليات الأسرية.

الفصل الثامن

النمو الاجتماعي في المراهقة

مقدمة :

مرحلة المراهقة هي مرحلة التنشئة الاجتماعية الحقة. لأنها المرحلة التي تتبلور فيها اتجاهات الفرد الاجتماعية والعقلية نحو العمل والإنتاج والمجتمع والتقاليد والعلاقة بين الجنسين والسلطة والقيم الخلقية وغيرها من موضوعات الحياة الأساسية. أي أن المراهق يتم صناعه خلال هذه المرحلة كمواطن أو كفرد متطبع اجتماعياً. ولذلك فلا غرابة أن المجتمعات البدائية تقيم للمراهق حفلة تنشئة فيها شخصيته، ويصبح بعدها مواطناً يستطيع أن يعيش مع الكبار ويسلك سلوكهم ويعامل على هذا الأساس. فالمراهقة هي قاعدة الرشد فيها تكتمل الملامح الأساسية لشخصية الفرد، الذي يستعد للاندخراط في حياة المجتمع، مواطناً يعطى ويأخذ، وينتج ويستهلك، ويسعى في سبيل استمرار الحياة وتقدمها له ولبنيه من بعده.

وسنعرض للنمو الاجتماعي للمراهق من خلال الموضوعات الآتية :

- مظاهر النمو الاجتماعي في المراهقة
- تطور السلوك الاجتماعي في المراهقة
- العوامل التي تؤثر في النمو الاجتماعي للمراهق
- خصائص مرحلة المراهقة من الوجهة الاجتماعية
- الشعور الديني في مرحلة المراهقة
- النمو الخلقى في مرحلة المراهقة
- رعاية النمو الاجتماعي في المراهقة

أولاً : مظاهر النمو الاجتماعي في المراهقة

يحقق المراهق تقدماً اجتماعياً كبيراً حتى لتكاد شخصيته أن تتحدد في هذه المرحلة. حيث يصل في نهاية المرحلة إلى المستوى الذي سيواجه به مسؤولياته الاجتماعية في العمل الذي سيلتحق به، وفي التعامل مع المؤسسات الاجتماعية،

وربما في الزواج وتكوين أسرة. وأهم المظاهر الدالة على التقدم الاجتماعي في هذه المرحلة ما يأتي : -

١ - تتسع دائرة المراهق الاجتماعية نتيجة انتقاله إلى المدرسة الإعدادية ثم الثانوية. فيزداد عدد أصدقائه وزملائه ويجد من نفسه دافعا إلى معرفة أكبر عدد ممكن من زملائه وتوثيق الصلة بهم ويجد في ذلك نوع من الشعور بالأهمية وتأكيد الذات.

٢ - يرتبط بالمظهر السابق مظهر آخر وهو رغبة المراهق في الاندماج في مجموعة من الأصدقاء تكون العلاقة بينه وبين أفرادها علاقة حميمة ووثيقة، ويدافع كل منهم عن هذه المجموعة أو الشلة بكل ما أوتي من قوة، ولا يقبل تهديداً لها من الخارج، ويضحي في سبيلها بكل شيء ويكون لديه استعداد لمسايرة اتجاهات هذه الشلة حتى لو كانت هذه الاتجاهات غير مطابقة لاتجاهاته وآرائه حيث أنه يجد ذاته داخل هذه الشلة.

٣ - يسير المراهق خطوات في طريق استقلاله عن والديه، ويكون متعجلاً لهذا الاستقلال. ويريد أن تكون له حياته الخاصة التي لا يتدخل فيها أحد ويغضب كثيراً لو أطلع أحد على أوراقه الخاصة أو فتح خطاباته الشخصية أو تصنّت على أحاديثه مع رفاقه، ويضيق بسؤال الوالدين له - عندما يريد الخروج - عن موعد عودته ومع من سيكون. يريد أن يكون له حريته الكاملة في التصرف اعتقاداً منه أنه يعرف جيداً ما يصلح له وأن سؤال الوالدين نوع من التطفل والتدخل في شئونه وأنهم يريدون التحكم فيه ومعالجة أموره بروح وأسلوب يرى أنه لا يتفق مع رغباته وميوله. ويخجل المراهق جداً لو حدث التدخل أمام زملائه وأصدقائه. وهو يتيه أمام أصدقائه وأفراد شلته بأنه يفعل ما يريد ولا يستطيع أحد أن يتدخل في شئونه. إن هذا الاستقلال مطلب للمراهق وأمل يسعى إلى تحقيقه دائماً وعندما يشعر أنه حققه فإنه يحس بلذة كبيرة لأنه يؤكد ذاته ويثبت شخصيته. ويزيده هذا الشعور اعتزازاً بكيانه المتحرر.

٤ - يهتم المراهق بمظهره الشخصي ويريد أن يبدو أنيقاً وسيماً حيث أن هذا المظهر الأنيق سيجذب إليه الأنظار ويترك الآثار الطيبة في نفوس الآخرين وينعكس ذلك في نظرتهم إليه ومعاملتهم له خاصة أفراد الجنس الآخر. ويشعر المراهق بكثير من الضيق إذا لم تتناسبه ملابسه من ناحية الحجم

خاصة وأنه يمر بفترة يسرع فيها النمو الجسمي ويشعر المراهق بالحرج إذا وجد وسط مجموعة من الرفاق يفوقونه في المظهر والملبس فهو يريد ألا يبدو أقل من الآخرين، ويتعسه جداً ألا يستطيع أن يجارى رفاقه في هذا السبيل فيتحاشى المجموعة ويبتعد عنهم.

٥ - من مظاهر التفتح العقلي والاجتماعي أيضاً في المراهقة إعجاب المراهق ببعض الأفراد من خارج بيئته الأسرية. وقد يكون موضوع هذا الإعجاب مدرساً أو زميلاً أكبر بحيث تتجسد في هذا الفرد الصفات التي يعجب بها المراهق ويتمنى لو كانت من سجاياه، مثل التفوق الرياضي أو المظهر الجذاب أو التفوق العقلي والتحصيلي أو الحضور الاجتماعي. ولذا فالمراهق يتوحد مع هذه الشخصيات وتأخذ هذه الظاهرة شكلاً أكبر في مرحلة تالية وهي إعجاب المراهق بإحدى الشخصيات الشهيرة المحلية أو العالمية في ميادين العلم أو الفن أو الرياضة. ويزداد إعجاب المراهق به إلى درجة التعصب لآرائه وأسلوبه. وقد يحاول تقليد هذه الشخصية في مظهرها وملامح شخصيتها الظاهرة وهي ما يسميه علماء النفس الاجتماعي بظاهرة "عبادة البطولة" في المراهقة.

٦ - يزداد وعي المراهق بالمفاهيم المتعلقة بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية مثل "الطبقة الاجتماعية" و "المكانة الاجتماعية". ويزيد هذا الوعي عندما يحتك المراهق بزملاء له من طبقات ومستويات اجتماعية مختلفة وقد يرى بنفسه مواقف اجتماعية يبدو فيها أثر هذه المفاهيم في التعامل الاجتماعي بين المحيطين به، ويزداد هذا الوعي حدة ويكتسب صفة انفعالية إذا مر هو شخصياً بمثل هذه المواقف وقد يقف من هذه المفاهيم بعد ذلك موقف المؤيد أو المعارض أو المحايد - ويتوقف ذلك على موقع أسرته في السلم الاجتماعي ودرجة ثقافته ونوعها. وهي بداية الاتجاهات السياسية والاجتماعية التي سيعتقها في حياته.

٧ - من مظاهر التفتح الاجتماعي أيضاً استعداد المراهق لخدمة الآخرين وتقديم العون لهم. ويكون ذلك إما مباشرة، أو عن طريق الجمعيات التي يشترك فيها، والتي تقدم الخدمات الاجتماعية. ويدفعه إلى تقديم هذه الخدمات رغبة مشاعره من ناحية، ورغبته في تأكيد ذاته من ناحية أخرى، ومن ناحية ثالثة يقوم هذا السلوك أحياناً كنتكفير من جانب المراهق عن مشاعر الإثم التي يشعر بها.

٨ - من مظاهر التقدم الاجتماعى فى النصف الثانى من المراهقة، ميل المراهق إلى انتقاء اصدقائه، فبعد أن كان فى أول المرحلة يصادق كل من يصادفه، ويرفض نصائح وتوجيهات الوالدين فيما يتعلق بضرورة انتقاء الأصدقاء ويعتبر هذا تدخلا فى شئونه، نجده فى نهاية المرحلة ينتقى أصدقائه على أساس التشابه فى الميول والتقارب فى الاتجاهات الخلقية والاجتماعية ويحدث ذلك بعد أن تكون اتجاهاته وميوله هو قد تحددت، ولم يعد ذلك الفرد الذى يقبل إقامة أى علاقة صداقة تدعم كيانه المهتر، وإنما هو ذلك الفرد الاجتماعى الناضج الذى يختار من يتجاوب معه فى نظرته للحياة الاجتماعية.

٩ - كذلك من مظاهر التقدم الاجتماعى فى آخر مرحلة المراهقة نمو الذكاء الاجتماعى. وهو توظيف القدرة العقلية فى المجال الاجتماعى وتترجم هذه القدرة عن نفسها فى التمكن من إنشاء علاقات اجتماعية مع الآخرين، والتصرف الحسن والملائم فى المواقف الاجتماعية المختلفة. وتقدير الظروف الاجتماعية للزملاء والأصدقاء والتقييم الصحيح للمناسبات الاجتماعية الخاصة أو العامة وإدراك مغزاها والحساسية الاجتماعية بصفة عامة.

١٠ - فى نهاية المراهقة يهتم المراهق بالمشكلات التى تصادفه فى أول دخوله الحياة العملية كمشكلات الزواج مثل اختيار الشريك وتبوير منزل الزوجية ومشكلات العمل واختيار المهنة ومشكلة التوافق المهنى والأسرى. وهكذا نجد أن التفكير فى هذه المشكلات يمثل أقصى درجات النضج الاجتماعى للمراهق.

ثانياً : تطور السلوك الاجتماعى فى المراهقة

يفضل بعض الباحثين تقسيم فترة النمو الاجتماعى فى المراهقة إلى مراحل لتتضح أبعاد التطور الذى يطرأ على هذا الجانب فى شخصية المراهق. ومن هذه التقسيمات. تقسيم تطور السلوك الاجتماعى عند الفتى المراهق إلى المراحل الثلاث الآتية :- (فؤاد البهى السيد . الأسس النفسية للنمو . القاهرة. دار الفكر العربى ١٩٧٥ ص ٣١٤ - ٣٥).

١ - مرحلة التقليد :

وتبدأ مع بداية المراهقة وتتميز بفرط الإعجاب من جانب المراهق بزملائه الشجعان والأقوياء والأنكياء. ويحاول أن يقلد الزعماء في نظره وتنتهى هذه المرحلة فى سن الخامسة عشرة.

٢ - مرحلة الاعتزاز بالشخصية

وتبدأ فى الخامسة عشرة وتتميز بروح المنافسة وبمحاولة المراهق الانتصار على زملائه بمغالاته فى مناقشتهم وبميله إلى السلوك العدوانى أحيانا وتمتد هذه المرحلة إلى قرب نهاية المراهقة.

٣ - مرحلة الاتزان الاجتماعى

وتحدث فى نهاية المرحلة ويظهر فيها تخفف المراهق من العصيان والاندفاع والتهور، وفى نظريته الجديدة لهذه الأمور على أنها أعمال صبيانية. أما تطور السلوك الاجتماعى عند الفتاة المراهقة فيسير عبر المراحل الآتية:

١ - مرحلة الطاعة

وهى امتداد للمسايرة التى كانت سائدة فى الطفولة المتأخرة. وتمتد لتشمل بدايات مرحلة المراهقة. وتظهر الفتاة خاضعة للمعايير التى يضعها الوالدان. وتتميز بالطاعة وبمائه الخلق والوداعة والرزنة والحياء والتظاهر بالحشمة طمعا فى إرضاء الأهل والوالدين.

٢ - مرحلة الاضطراب

وتمتد من حيث تنتهى المرحلة السابقة حتى حوالى سن الخامسة عشرة. وتتميز بالاضطراب الانفعالى واختلال الاتزان. فتبالغ الفتاة فى استجاباتها للمثيرات الهادئة وتتقلب من حالة انفعالية إلى أخرى مناقضة بسرعة وبحدة وبدون مقدمات وقد تبالغ فى الاهتمام بمظهرها ثم تعدل عن ذلك وهكذا.

٣ - مرحلة تقليد الفتيان

وتبدأ فى الخامسة عشرة، وتبدو فى تقليد الفتيان فى السلوك والذى والحوار إعجابا من الفتاة المراهقة بمظاهر القوة ولكن هذه المرحلة لا تستمر طويلاً، فقد تستمر عاما أو عامين على الأكثر لتعود الفتاة إلى طبيعتها الأنثوية الرقيقة. وقد يتوقف النمو بالبعض عند هذه المرحلة، وهن النساء المسترجلات.

٤ - مرحلة الاتزان الاجتماعى
وتبدأ فى أواخر المراهقة وتبدو فى استجابة الفتاة للمعايير الأنثوية الصحيحة
فى السلوك فى زينتها وحديثها وأنماط حياتها وتقبل دورها الأنثوى فى الحياة
برضاً كامل.

ثالثاً : العوامل التى تؤثر فى النمو الاجتماعى للمراهق

أما العوامل التى تؤثر فى النمو الاجتماعى للمراهق فهى وسائط التربية
أو عوامل التربية ذاتها متمثلة فى الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق والجو الثقافى
العام فى المجتمع وكما تعكسه إلى حد ما أجهزة الإعلام. وفيما يلى نبين فى نبذة
بسيطة كيف تؤثر هذه العوامل فى نمو المراهق اجتماعياً.

أ) الأسرة

١ - الأسرة أهم عوامل التربية الاجتماعية على الإطلاق. فهى التى توفر مختلف
المواقف والخبرات التى يمر بها المراهق فى طفولته والتى لها أثر كبير فى
تشكيل شخصيته وبلورة اتجاهاته الاجتماعية والانفعالية وعندما يشاهد معلم
الصف الأول فى المدرسة الابتدائية فى اليوم الأول من الدراسة فروقا فردية
بين أطفاله فى النواحي الانفعالية والاجتماعية، فهذه الفروق معظمها يرجع
إلى الأسرة والمناخ الأسرى الذى عاش الطفل فى ظله فى منزله.

٢ - والمعاملة الوالدية أهم العوامل حسما فى المتغيرات الأسرية بدورها، فهى
من العوامل المسؤولة إلى حد كبير فى وضع الطفل فى إحدى الفئتين
الكبيرتين: فئة المنبسطين أو فئة المنطوين. فالمفترض أن الطفل إذا تلقى
معاملة صحيحة أصبح من أفراد الفئة الأولى أو ممن يستمتعون بصحة
نفسية ويتكيف اجتماعى على الوجه الأرجح، والعكس صحيح فإن تعرض
الطفل لمعاملة خاطئة أو منحرفة فسيكون أقرب إلى أفراد الفئة الثانية وربما
كان من الذين تتعثر عملية التكيف الاجتماعى لديهم وينالون حظاً قليلاً من
الصحة النفسية. وفيما يلى نعرض لأهم الأساليب الخاطئة فى التربية كما
نشير إلى الأسلوب الصحيح، وأثر كل منهما على النمو الاجتماعى
بإيجاز شديد.

من الأساليب الخاطئة في المعاملة الوالدية :

* **القسوة :** ومن شأنها أن تزرع في الطفل إحساس بأنه غير مرغوب فيه. وهذا الإحساس يؤدي بالتالى إما إلى الثورة والتمرد وربما الجناح، وإما أن تؤدي إلى الانطواء والتفوق إحساسا بظلم المجتمع وقهره.

* **التدليل والعطف الزائد :** ويعطى نتائج قريبة من ذلك أيضاً، لأن الطفل الذى ينال معاملة من هذا النوع يتعود على الأخذ دون العطاء. وهو لن يجد هذه المعاملة فى المدرسة أو المجتمع. وفى الأغلب أنه يصطدم عندما ينخرط فى الحياة، وقد ينتهى به الأمر إلى الانعزال والانطواء.

* **التجاهل :** وهو ألا يشعر الوالدان بالطفل ويشمل هذا الأسلوب أيضاً عدم عقابه إذا أخطأ أو مكافأته إذا أحسن. وفى ظل هذا الأسلوب من المعاملة لا تتكون لدى الطفل معانى السلوك ولا يعرف على وجه الدقة حدود الخطأ والصواب.

* **التحكم :** وهو أنه يضع الوالدان من القيود ما يقيد حركة الطفل، ولا يسمحان له بحرية التعبير عن نفسه وعن مشاعره، بل إنهما يعمدان إلى رسم خطوط محددة ليس له أن يتخطاها. وعليه أن يتصرف ويسلك كما يريد الوالدان أو على الأقل لا يستطيع أن يأتى مالا يرضيان عنه. وهذا الأسلوب من المعاملة يجعل الطفل شخص نمطى بعيد عن التلقائية والمرونة.

* **الرفض :** وهو ألا يشعر الطفل بتقبل والديه له، بل إنهما كثيراً الانتقاد له، وأنهما لا يبديان نحوه الود والحب ولا يحرصان على مشاعره ولا يقيمان وزناً لرغباته. وهذا الأسلوب يؤدي إلى نتائج شبيهة بالتى ينتهى إليها الطفل من جراء تعرضه للقسوة.

* **الأساليب التى تزرع الشعور بالذنب :** مثل اللوم والتفريع والتأنيب والسخرية والمقارنة وهذه الأساليب من شأنها أن تشعر الطفل بالدونية وبأنه أقل من الآخرين مما يدفع به بعيداً عن الناس وعن التجمعات، وأن يكون اتصاله بالآخرين - إذا اضطر إلى ذلك - من خلال روح عدائية مشوبة بالحقد والحسد.

* **التنبؤ:** وهو أن الوالدين لا يعاملان الطفل معاملة واحدة في الوقت الواحد، وهذا يجعل الطفل لا يستطيع أن يتوقع رد فعل والديه إزاء أى موقف وتعتمد المعاملة فى هذا الأسلوب إلى حد كبير على المزاج الشخصى والوقتى للوالدين. وفى ظل هذا الأسلوب من المعاملة يشعر الطفل بكثير من الظلم والفوضى مما يجعله عرضه للتقلب هو الآخر، ولا يستطيع تحديد معانى الأشياء أو دلالاتها وهذا الوضع يجعله بعيداً عن التكيف الاجتماعى.

* **عدم المساواة فى المعاملة:** وهو أيضاً أسلوب خاطئ. حيث يشعر الطفل فيه بدرجة من المرارة والسخط. ويجعله ناقماً على والديه وعلى إخوته المحظوظين ولا نتوقع من الطفل فى هذه الحالة أن يمنح الحب والود لأحد، ففقد الشئ لا يعطيه.

* **التباين فى المعاملة الوالدية:** بمعنى أن كل والد يعامل الطفل معاملة مختلفة وهى معاملة ضارة لأنها تجعل الطفل لا يعرف الحدود بين السلوك القويم والسلوك الخاطئ ويعلم الانتهازية ويزين له الوصول إلى هدفه بأى وسيلة.

أما أسلوب المعاملة الصحيحة فيعتمد على الابتعاد عن الأساليب الخاطئة السالفة الذكر مع إشعار الطفل بالحب والحنان والرعاية والدفع وضرورة إرشاده إلى الطريق القويم فى السلوك والخلق وتوجيهه إذا أخطأ. وأن تلبى مطالبه بدون تطرف أو مغالاة وأن يعرف أنه لا تهاون فى ظل معاملة متوازنة عادلة ثابتة. والطفل الذى يحظى بمثل هذه المعاملة هو الطفل السوى الذى يستطيع أن يتعامل مع الآخرين معاملة الند للند، يعطى ويأخذ، يعرف معنى التعاون ويستطيع أن يمارسه.

٣ - أطلنا بعض الشئ فى توضيح أساليب المعاملة الوالدية لأنها كما قلنا حاسمة فى تكوين شخصية المراهق. والمعاملة ليست الجانب الأسرى الوحيد بل إن هناك نواح منها:

* **درجة التوافق بين الوالدين:** فإذا كان الوئام هو طابع العلاقة بين الوالدين انعكس ذلك على طبيعة العلاقات داخل الأسرة كلها، ووفر جواً ملائماً للنمو الاجتماعى. أما إذا كان العكس فإن المراهق يحرم من هذا الجو الطبيعى للنمو السليم.

* حالات الانفصال بين الزوجين : وسواء كان الانفصال كاملاً بالطلاق أو جزئياً كتعبير عن الخلاف فإن له أسوأ الأثر على النمو الاجتماعي للأبناء. ويسمى علماء الاجتماع هذه الأسرة "بالأسر المنهارة" Broken Houses ، ولا يمكن أن تعطينا نشأاً رُبى تربية اجتماعية سليمة.

* المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة : وهو متغير هام لأنه يؤثر على ممارسات الأسرة الثقافية والاجتماعية والترفيهية. ومما لاشك فيه أن المستوى الاقتصادي والاجتماعي المرتفع يوفر للمراهق خبرات اجتماعية لا يعرفها نظيره الذي يعيش في مستوى اقتصادي واجتماعي منخفض.

٤ - وبصفة عامة فإن المراهق يصطدم بوالديه في بداية مرحلة المراهقة ويصل ذروة الصدام بينه وبين والديه في منتصف المراهقة. ويزداد الأمر سوءاً لو قابل الآباء تصرف الأبناء بالقسوة أو بالقسوة أو بالعنف ولم يدركوا أن سلوك أبنائهم مظهر من مظاهر النمو سرعان ما يزول، وهو ما يعرفه كثير من الآباء المستعيرين، حتى ولو كانوا غير متعلمين ويحدث في نهاية المراهقة بالفعل - حينما تبدأ انفعالات المراهق - وتصلق أبعاد الحياة الاجتماعية ويتشرب الأنماط الثقافية، نجده حينئذ يقبل على أسرته ويفهم مالم يكن يفهمه من قبل ويوافق على ما كان يعارضه، بل ويكون عوناً لوالديه في توجيه إخوته الصغار وفي كافة المسؤوليات الأخرى.

ب - المدرسة :

١ - تتميز المدرسة بأنها بيئة متسعة تختلف كلية عن البيئة المنزلية سواء في عدد أفرادها أو في وظيفتها أو في طبيعة العلاقات السائدة فيها وقيمة المدرسة أنها نموذج مصغر للمجتمع. فالطفل يعيش في المدرسة وكأنه يتمرن على ممارسة ألوان الحياة الاجتماعية حتى يكون مهيناً لخوض الحياة الاجتماعية الحقيقية في المجتمع. والمدرسة في هذا الوضع كأنها حوض للسباحة يتمرن فيه الناشئ، على السباحة قبل أن يمارس رياضته في البحر.

٢ - المدرسة نتيج ألوان مختلفة من الأنشطة منها الثقافي والاجتماعي والرياضي بجانب المواقف التعليمية التقليدية. وأمام المراهق هذه الألوان وعليه أن يمارس ما يتفق مع ميوله. وما يجد نفسه راغباً في ممارسته من ألوان النشاط ولهذا النشاط قيمة تربية ونفسية كبيرة إذ يساعد المراهق على

إعلاء دوافعه ويساعده على تأكيد ذاته وعلى اكتساب مزيد من الخبرات الاجتماعية وغيرها. وهذه الأنشطة من أفضل الوسائل التي ننمى بها شخصية المراهق.

٣ - من الوظائف الاجتماعية الهامة التي تيسرها البيئة المدرسية في سبيل تنمية المراهق اجتماعيا هي وجود المعلمين. والمعلم بالنسبة للمراهق يؤدي وظائف نفسية عدة. فهو في المدرسة امتداد لدور الأب أو على الأقل الأخ الأكبر في الأسرة. ولذا فهو قد يتحدى المعلم باعتباره صورة من الوالد. ولكنه قد يتخذ كقدوة ومثل أعلى في السلوك والتفكير خاصة إذا حاز إعجابه، أو إذا كان المعلم من هؤلاء الذين يفهمون دوافع المراهق وميوله. ويتوحد المراهق مع معلمه في المدرسة كما توحد مع والده في طفولته المبكرة. ويتوحد المراهق مع معلمه يخطو خطوات واسعة في سبيل الاستقلال بشخصه عن والديه، وفض الروابط الوجدانية بينه وبينهما.

ج - جماعة الرفاق :

١ - تتكون جماعة الرفاق من مجموعة من الأقران الزملاء المتقاربين في السن وفي المستوى الدراسي غالبا، وفي الميول والاتجاهات. ويربط بينهم لذلك مجموعة من الروابط العاطفية والاجتماعية وللجماعة نظامها وتقاليدها التي اتفق عليه أعضاؤها. ويشعر المراهق بمسئوليته تجاه هذه الجماعة فهي إطاره المرجعي في كثير من الأمور.

٢ - تمارس جماعة الأقران أنشطتها معا. وتحرص الجماعة على أن يكون الأعضاء جميعهم موجودين في كل نشاط. ومن الأنشطة التي تمارسها الأنشطة الرياضية والرحلات وقد تكون هذه الجماعة على صلة بأحد المعلمين في المدرسة يتوسمون فيه التفاهم لأهدافهم ويتخذونه مرشداً وموجهاً، وقد لا يكون للجماعة أى اتصال بالكبار، بل وقد ينحرف نشاطها ويأخذ صورا لا اجتماعية.

٣ - وتختار الجماعة أفرادها حسب معايير ترى أن لها الأولوية. وهي تتكون أصلا حول فرد له صفات الزعامة مع بعض المقربين إليه ثم يزداد عددها بانضمام بعض الرفاق إليهم. وأهم المعايير التي تختار الجماعة أفرادها على

أساسها، الولاء للجماعة، والإخلاص لأفرادها، والالتزام بما يتفق عليه أفرادها. فهي جماعة سيكولوجية قبل أى شئ آخر. وقد ترفض الجماعة كثير ممن لا ترى فيهم أهلاً للانضمام إليها.

٤ - لجماعة الرفاق أهمية كبيرة بالنسبة للنمو الاجتماعى للمراهق، لأنه يمارس فى إطارها الحوار الاجتماعى وأساليب التفاعل الاجتماعى ويشعر فى ظلها بالانتماء إلى الجماعة والالتزام بمعايير حددتها جماعته وبالمسؤولية الاجتماعية، وهذه الجماعة مالم تتحرف عن وظائفها النفسية والاجتماعية تسهم كثيراً فى نمو المراهق اجتماعياً.

د - وسائل الإعلام

أجهزة الإعلام من الأدوات التى تؤثر فى رأى العام. كما أن برامجها وعروضها وانتاجها يفترض أنها تعكس بدرجة ما الوضع الاجتماعى والثقافى السائد وأجهزة الإعلام تبث اتجاهات اجتماعية وعقلية، وقيمتها أنها تنسلل إلى بيوت الناس وعقولهم وتحاصرهم أينما ذهبوا، ولا تحتاج منهم أحياناً أن ينتقلوا إليها. كما أن لبعضها جانبية خاصة كالسينما والتلفزيون والمسرح ويقبل عليها المراهقون بشغف. ومن ثم فإن لأجهزة الإعلام تأثير لا يستطيع أحد أن ينكره على تفكير المراهقين واتجاهاتهم. ولذا يجب أن تعمل هذه الأجهزة داخل الإطار الاجتماعى والثقافى للمجتمع، وتحت رقابة رشيدة لاتقيد عملية الإبداع الفنى، ولكن تمنع الإسفاف والتفريغ، الذى يظهر أحياناً فى هذا المرفق الخطير، فقد تهدم إحدى المسرحيات فى ساعات قليلة ما تحاول أن ترسخه أجهزة التعليم فى نفوس الشباب فى سنوات.

رابعاً : خصائص مرحلة المراهقة من الوجهة الاجتماعية

تتميز مرحلة المراهقة من الوجهة الاجتماعية بالخصائص والمميزات الآتية:

١ - مرحلة المراهقة التى يبحث فيها المراهق عن نفسه أو عن ذاته وتنتهى بالنسبة له عندما يحدد موقفه فى الوسط الاجتماعى الذى يعيش فيه ولذا تقتصر فترة المراهقة فى المجتمعات البدائية والريفية لأن المراهق يجد نفسه اجتماعياً بمجرد أن يصل سن البلوغ حيث يعترف به الكبار عضو فى

مجتمعهم ويكون قادراً على كسب عيشه، كما يتزوج وينشئ أسرة. بينما تطول هذه الفترة في المجتمعات الحديثة حيث يتعين على المراهق أن ينتظر - حتى يحصل على هذا الاعتراف من جانب المجتمع به كعضو كامل العضوية - مدة لا تقل عن عشر سنوات بعد نضجه الجنسي.

٢ - مرحلة المراهقة هي المرحلة التي يكتسب فيها المراهق الاتجاهات الاجتماعية المتعلقة بكافة نواحي الحياة كما أنها المرحلة التي تتحدد فيها قيم المراهق بعد الخبرات التي يمر بها. ويرتب المراهق هذه القيم ترتيباً يعكس ثقافته وميوله. وهذه الخبرات وتلك القيم لا تتجاوز كمتراكمات، ولكنها تتكامل معاً في فلسفة للحياة يحاول أن يتبناها المراهق وتكون له كالبوصلة التي توجه سلوكه الاجتماعي. ولكن هذه العملية لا تتم إلا في نهاية المرحلة والمراهق على مشارف الرشد، بل إنها من علامات الرشد الأساسية.

٣ - مرحلة المراهقة هي المرحلة التي يحدث فيها الفطام النفسي للمراهق ويقصد بالفطام النفسي وصول الفرد إلى درجة من النضج تسمح له بالاعتماد على نفسه والانفصال بالتالي عن والديه، فكما أن الفطام الذي يحدث في عام الطفل الأول يجعله يعتمد على نفسه في تناول طعامه إلى حد كبير يحدث الفطام النفسي في المراهقة الذي يجعل المراهق مهيناً لتنظيم شؤونه بنفسه، ولا يحتاج لوالديه إلا للمشورة بينما يتحمل هو كامل مسؤوليته.

٤ - العلاقات التي يعقدها المراهق مع أصدقائه دائمة إلى حد كبير، وليست كالعلاقات التي يقيمها الطفل في المدرسة الابتدائية حيث تجده يصادق زميله في الفصل أو جاره في المسكن، فإذا انتقل إلى فصل آخر أو إلى سكن جديد نسي زميله. أما المراهق فإنه عندما يعقد صداقة مع زميل له فإنه يحاول الاحتفاظ بها، بل ويكون مستعداً للتضحية من أجل صديقة ويأسف جداً إذا قطعت علاقته به.

٥ - تتبدى روح المسؤولية الاجتماعية في سلوك المراهق. فهو عندما ينضم إلى جمعيات النشاط الاجتماعي والخدمات العامة فهو يعكس روح المسؤولية التي يتحلى بها كما تظهر هذه الروح في استعداد المراهق لتقديم الخدمة التي يستطيعها لمن يحتاجها من أصدقائه أو جيرانه أو معارفه.

٦ - الفروق الأساسية بين الجنسين في النمو الاجتماعي تظهر في حرص البنات واهتمامهن بموضوع الزواج أكثر من البنين. كذلك تكون البنات أكثر مسيطرة من البنين للنظام والقواعد والقوانين، وهن أيضاً أكثر تعلّماً بمدرسيهن.

خامساً : الشعور الديني في مرحلة المراهقة

يمكن تلخيص أهم ملامح الشعور الديني خلال مرحلة المراهقة فيما يأتي:

١ - ما إن تبدأ مرحلة المراهقة حتى يبدأ المراهق نتيجة تفتح العقل وثورته الانفعالية في مراجعة عامة شاملة لكل الجوانب الدينية من مفاهيم وشعائر ويبدأ في تسليط أضواء النقد على المفاهيم والمسلّمات التي كان يقبلها من قبل.

٢ - يحدث نتيجة لهذه المراجعة أن تهتز ثقة بعض المراهقين في عدد من المفاهيم الدينية مثل الآخرة والثواب والعقاب والأنبياء ورسالاتهم. ويحدث هذا الشك في بداية المرحلة، ويبدأ بانقطاع المراهق عن أداء الشعائر ثم يمتد الشك إلى المعتقدات نفسها.

٣ - هذا التنبه إلى المعتقدات الدينية والتفكير فيها تسمى "باليقظة الدينية" ومن عوامل اليقظة الدينية التي يمر بها المراهق اكتشافه للحجم الهائل الذي يحتله الدين في تفكير الناس وفي توجيه سلوكهم وفي مدى سيطرة مفاهيم الدين على المفاهيم الاجتماعية وأساليب التعامل بين الناس. ولأن تأثير الدين يمتد إلى أعماق نفسه ممثلاً في "الأنا الأعلى" الذي يقف حائلاً بينه وبين أن يأتي أمراً يغضب الله والناس. ويكتشف المراهق أنه يحيط بأعنف دوافعه وأسلوب إشباعه هالة من التحريم والتقييد. والتحريم يتم على أساس للتعاليم الدينية والتقييد يشير إلى أن السبيل الوحيد إلى الإشباع يتم فقط في الإطار الاجتماعي المشروع وهو الزواج، وهو يحاط بالتقييد لأن تعاليم الدين تباركه.

٤ - تبلغ اليقظة الدينية أوجها في سن السادسة عشرة. وهذه اليقظة قد تأخذ طابع الحماس الديني الذي قد يصل إلى درجات الهوس والانسحاب شبه الكلي من الحياة للتفرغ للعبادة وهو ما نجده عند بعض الراشدين وما نجده عند المتصوفة حيث تتلون حياتهم كلها باللون الديني ويفكرون في الذات الإلهية

إلى درجة الذوبان فيها. وقد تأخذ هذه الیقظة الطابع العكسى طابع الشك، والذي قد یصل إلى مجاهرة المراهق بالإلحاد. وكلا المظهرین الحماس الدينى والشك الدينى فى بعض جوانبهما - عند بعض العلماء - هو رد فعل لعنف الدفعات الجنسية عند المراهق وللصعوبات التى یقابلونها فى عملية التكيف الفردى أو التكيف الاجتماعى. فالحماس نوع من الالتجاء إلى الدين طلباً لحمايته والبحث عن المخرج فى محرابه، والشك نوع من إعلان عدم الرضا والضيق من الدين الذى يتصور أنه یقف حائلاً بينه وبين إشباع دوافعه.

٥ - وفى أواخر مرحلة المراهقة تختفى مظاهر التطرف الدينى لیحل محلها نوع من التقییم الموضوعى الهادئ للدين ولموضوعاته. ويشعر المراهق الذى كان شاكاً بإحساس الذنب. ولا یجد المراهق تناقضاً بين الإرادة الإلهية والثواب والعقاب أو بين الطبيعة البشرية وفضائل الخير والفضيلة، ولا تعود الحوادث والمواقف الشخصية تؤثر على حكمه على الدين. ومن مظاهر هذا الاستقرار الدينى، أو الإيمان الدينى المستقر:

- * النظرة إلى المشكلات الدينية نظرة أكثر واقعية وتقديره للكون، وتأمله فى الجوانب العقلية والفكرية فى الدين.
- * تحول شعور الخوف والرهبه عنده من العقاب الدينى إلى درجة من الثقة فى رحمة الله وفى عدالته.
- * شعور التسامح الذى یبديه إزاء الأديان الأخرى وأتباعها. وأن الدعوة للدين تكون بالتى هى أحسن "ولكم دينكم ولى دين".

٦ - هناك بعض الفروق بين الجنسين فيما يتعلق بالشعور الدينى، فنجد أن الفتيات وإن كن أحياناً أقل ممارسة للشعائر الدينية من الفتيان فهن أعمق حساً من الناحية الدينية. وتقل جداً ظاهرة الشك الدينى بينهما إذا قورن بالبنين وقد صنف الملیجى (عبد المنعم الملیجى: تطور الشعور الدينى عند الطفل والمراهق. القاهرة. دار المعارف ١٩٥٥) الشعور الدينى عند الطفل والمراهق إلى الاتجاهات الدينية الآتية عند الجنسين:

بنات	بنون	الاتجاه
٦١ %	٥٠ %	الإيمان التقليدي
٢٦ %	٢٥ %	الحماس الدينى
١٣ %	٢٤ %	الشك
— %	١ %	الاحقاد

سادساً : النمو الخلقى فى المراهقة :

الخلق هو التنظيم المستقر والثابت نسبيا من العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا. والسلوك الخلقى تبعاً لذلك هو نمط السلوك الذى تحدده قواعد الخلق والمعايير الاجتماعية التى يدين بها المجتمع. وانتهى بعض الباحثين إلى أن مكونات الخلق تشمل الولاء للجماعة والفرد والشجاعة الأدبية والأمانة الأدبية والمالية وتحمل المسؤولية والمودة والصداقة والإخاء. وتبدو هذه الصفات ذات ارتباط عال موجب بينها. وهو ما تعززه المشاهدات اليومية العادية لسلوك الناس مما يؤكد وحدة الخلق.

والنمو الخلقى عند المراهق يتسع ويشمل أفقا أرحب مما نجده عند الطفل. فإذا كان ولاء الطفل هو للأسرة ومعاييرها الاجتماعية وقيمها الخلقية، فإن المراهق يخرج من هذا الإطار ليدين بالولاء لقيم المجتمع حتى ولو تعارضت مع قيم الأسرة، وتكتسب نظرته للأمور طابعاً مثالياً. ولذا نجد عند المراهق استعداد للخدمة والتضحية وروح المسؤولية. وقد يتسع مجال النمو الخلقى فى الرشد فيما بعد عند بعض الأفراد ليشمل الإنسانية كلها.

وينتهى الباحثون إلى أن العوامل التى تؤثر فى النمو الخلقى عند المراهق تتلخص فى العوامل الآتية:

١ - الثواب والعقاب :

كما يواجه المراهق فى الأسرة والمدرسة ومن جماعة الرفاق وفى المجتمع عامة، حيث يشاب عن السلوك الخلقى ويعاقب على السلوك اللاخلقى. والثواب والعقاب هنا ليست له صورة واحدة. وإنما يتمثل الثواب فى الاستحسان بكل صوره كما يتمثل العقاب فى الاستهجان بكل صوره.

٢ - التقليد :

وهو عامل هام أيضاً، بحيث يقلد الطفل أبواه في سلوكهم الخلقى فى المنزل ثم يلتحق بالمدرسة فيقلد مدرسيه، ثم يقلد من يعجب بهم من رفاقه الكبار، أو من الشخصيات التى يتعرف عليها، أو من الشخصيات العامة. وهنا يبدو أثر البيئة والقوة الحسنة أمام المراقبين فى تشكيل خلقه.

٣ - التأمل :

وهو تأمل الفرد الخاص للأمر الخلقى وتقييمه الشخصى لسلوكه ولسلوك الآخرين فى ضوء التعاليم الخلقى والمبادئ المتعارف عليها بين أفراد المجتمع وفى ضوء النتائج التى يراها أمامه.

سابعاً : رعاية النمو الاجتماعى

١ - تشجيع المراق على الاشتراك اشتراكاً إيجابياً فى مختلف أوجه الحياة الاجتماعية سواء فى الأسرة أو فى المدرسة أو فى المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وذلك بتوعيته بالأسلوب الصحيح الذى يتبع فى المناسبات المختلفة والهدف من هذه المناسبات والوظائف الاجتماعية التى تؤديها.

٢ - كلما كان الجو الأسرى جوا ديموقراطياً يسوده التفاهم والتفهم والرعاية بعيداً عن التسلط والتحكم، هيا ذلك الجو المناسب للتربية الاجتماعية الصحيحة للمراق حيث يتعود على إبداء رأيه وعلى الاستماع إلى آراء الآخرين واحترامها، وعلى عدم التشبث بالرأى وأن الرأى السائد هو رأى الأغلبية.

٣ - يجب ترك الحرية للمراق فى اختيار أصدقائه على أن يتم توجيهه فى هذا المجال. فيمكن تبصيره بالصفات التى يحسن توافرها فى الصديق، وإفهامه أن رغبته فى الصداقة لا ينبغى أن تدفعه إلى مصادقة كل من يعرض له، على أن نترك له حرية التصرف بعد ذلك. هذا الأسلوب فى المعاملة لا يجعل المراق يعاند أو يكذب على أهله.

٤ - مثلاً نحاول أن نقضى أو نخفف من صفة العناد عند المراق فإننا نريد أيضاً أن يكون لنفسه شخصية مستقلة بمعنى أن يكون له آراؤه التى يصل إليها بعد اقتناع وليس عن طريق الانصياع للآخرين كالأصدقاء، أو تبنيها لآراء معاكسة لآراء الوالدين، وأن يدافع عن وجهة نظره على أن يكون لديه

الاستعداد للتخلي عنها إذا اقنعه بذلك. ونعنى بذلك أننا نريد للمراهق أن يكون ذا شخصية متزنة واثقة لا أن يكون إمعة ومسايراً للآخرين. وتحتاج تنمية هذه الشخصية لدى المراهق إلى قاعدة من الاتزان الانفعالي والقوة الطيبة عند المراهق والوالدين معاً.

٥ - من الأهداف التربوية المرغوبة تنمية القدرات القيادية عند شباننا. ويتأتى ذلك عن طريق اكتشاف القدرات القيادية عند المراهقين في المدرستين الإعدادية والثانوية بملاحظتهم في المواقف المختلفة داخل الفصل وخارجه وخارج المدرسة أيضاً. وبعد تحديد العناصر التي لديها استعداد للقيادة يمكن تنمية هذه الاستعدادات بإسناد بعض المهام القيادية إليهم، مع توجيههم في أسلوب قيامهم بهذه المهام. على أن يعرفوا أن القيادة هي وضع إمكانيات الفرد في خدمة تنسيق وتنظيم جهود الآخرين لتحقيق هدف ما. وتتضمن القيادة الرشيدة قرراً كبيراً من الإيثار وإنكار الذات وليست تسلطاً وتحكما في الآخرين، بل إن القائد يعطى للمجموعة أكثر مما يأخذ منها.

٦ - وليس الأفراد القياديين فقط هم الذين عليهم أن يتعودوا تحمل المسؤولية بل إن ذلك مطلب تربوي أساسي لجميع المراهقين كجزء من إعدادهم للحياة الاجتماعية. ونقصد هنا بالمسؤولية الجانب الفردي الخاص بالفرد والمتعلق بمسئوليته الخاصة عن شئونه الشخصية والجانب الاجتماعي الخاص بالمجتمع والمتعلق بمسئوليته إزاء أفراد أسرته وإزاء جيرانه وإزاء بيئته ومجتمعه بصفة عامة. وتشمل المسؤولية الاجتماعية، بمعنى أن يكون المراهق على استعداد لمعرفة مشكلات بيئته ولديه الرغبة والافتتاح في المشاركة في الجهود المبذولة لحلها. ويكون المراهق على استعداد لتحمل المسؤولية الاجتماعية في النصف الثاني من المراهقة.

٧ - يوشك المراهق في نهاية المرحلة على الدخول في الحياة الاجتماعية ويكون حينئذ قد كون عدداً من الاتجاهات الاجتماعية والعقلية واكتسب عدداً من القيم الخلقية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية. كما يكون قد تأثر بعدد من الكبار الذين قابلهم أو سمع عنهم أو قرأ لهم. كل هذه الاتجاهات والقيم والتوحيات تعتبر دوافع ومثيرات للسلوك، ولكنه لكي يكون لها جدوى، وحتى تساعد في بناء شخصية متكاملة، وتمكن هذه الشخصية من التكيف في المجتمع لا بد لها أن تتصهر في بوتقة واحدة وتخرج على شكل

فلسفة للحياة. ولا بد لكل شخصية سوية مترنة أن يكون لها فلسفة فى الحياة، لأنها تكون فى هذه الحالة - أى الفلسفة بمثابة البوصلة التى توجه الفرد فى خضم الحياة العالى، ووسط الأمواج المتلاطمة فى حياتنا الحديثة. وقمة الرعاية الاجتماعية التى يمكن أن نوفرها للمراهق أن نساعد على تكوين هذه الفلسفة. وهذا لا يعنى أن نفرض عليه فلسفة جاهزة تؤمن بها، وإنما يعنى أن نتيج له الفرصة لكى يختار لنفسه وأن يكون فلسفة خاصة به. وبالطبع فإن المراهقين سيختلفون فى فلسفاتهم لأن كلاً منهم سيتأثر بالخبرات التى مر بها وموقفه الاجتماعى والاقتصادى ودرجة ثقافته. والمدرسة بجمعياتها الثقافية والاجتماعية والعلمية خير مكان يمكن أن يبنى المراهق لنفسه فيه فلسفة للحياة. على أن يكون المشرفون على هذه الجمعيات متصفين بصفات الديمقراطية وسعة الأفق والثقافة الواسعة وأن يكون قبل هذا لكل منهم فلسفة خاصة به.

خاتمة

فى التحول من المراهقة إلى الرشد

لايكاد علماء النفس يختلفون فى تحديد بداية المراهقة، ولكنهم يختلفون فى تحديد نهايتها كما سبق أن ذكرنا، وذلك لأن دلالات النضج العقلى والانفعالى والاجتماعى ليست واضحة، كما أن متغيرات اجتماعية ليست ثابتة تتدخل فى تحديد نهاية هذه المرحلة

فالمراهق يحقق النضج العضوى فى الثامنة عشرة مثلاً، كما يحقق فى نفس السن تقريباً النضج العقلى. ولكن الأمر ليس بهذه البساطة لأن التحول إلى الرشد لا يتم بالنضج العضوى والنضج العقلى، ولكن أيضاً بالنضج الانفعالى والنضج الاجتماعى، وهما المظهران اللذان يتأخر نضجهما مما يؤخر انتهاء فترة المراهقة وليس ذلك فقط، بل إن تأخر النضج الانفعالى والاجتماعى يؤثر أيضاً على اكتمال النضج العقلى وأدائه لوظائفه كاملة فى الحياة والمجتمع، ونوضح ذلك فيما يلى :

إذا كان المراهق يستطيع أن يمارس كل أنواع التفكير الاستدلالي والنقدى والابتكارى فإن الاضطراب الوجدانى لازال يشوش عليه هذا التفكير ويوجهه وجهات خاصة، أهمها أنه يجعل تفكير المراهق - رغم نضجه - منحصراً داخل نفسه أكثر مما هم موجه إلى الخارج، وتشوبه لذلك نزعة غير قليلة من التحيز. ويصعب أن يتجه التفكير إلى الخارج مالم يحصل المراهق على الاستقرار الانفعالى، حيث تخلص نفسه من الصراعات والتوترات التى كانت تجذب انتباهه إلى داخل نفسه. وبوصول المراهق إلى درجة طيبة من الثبات الانفعالى تتوجه العمليات العقلية لخدمة تكيفه فى الوسط الذى يعيش فيه، فيصبح الخيال واقعياً فى خدمة أهداف الفرد وحل مشاكله بعد أن كان خيالياً جامحاً، وينصب الانتباه على الأمور التى يقابلها المراهق فى حياته، ويتحول التفكير إلى البحث عن أفضل السبل لتحقيق أهداف المراهق فى الإطار الاجتماعى حيث يكون مواطناً نافعاً لنفسه ونافعاً للآخرين.

وهكذا يبدو لنا أن الاتزان الانفعالى هو الفصيل فى عملية النضج الشامل، وبالتالي الانتقال من المراهقة - مرحلة التحول من الطفولة إلى الرشد - إلى مرحلة الرشد فعلاً. وهذا الاتزان الانفعالى يعتمد بدوره على عدة عوامل: منها ما يتحقق

فى أثناء المرحلة مثل رغبة المراهق فى أن يعامل معاملة الشخص الكبير، ومثل رغبته فى تحقيق الاستقلال عن والديه واتخاذ قراراته الخاصة بنفسه وقدرته على تحمل مسئوليته الخاصة، ومن هذه العوامل أيضاً تواضع آمال المراهق وأهدافه حتى تتناسب مع إمكانياته العقلية والاجتماعية والاقتصادية. ولكن من العوامل ما لا يتحقق له بسرعة مثل الإشباع الجنى الذى يتأخر كثيراً.

وإذا كان انتهاء المراهق من دراسته والتحاقه بالعمل يمكنه من الحصول على الاعتراف الاجتماعى به، ويصنع له مكانة اجتماعية لم تكن له من قبل، فإن الأهلية الاجتماعية الكاملة لا يحصل عليها المراهق إلا عند الزواج وتكوين أسرة وهو ما يتأخر فى ظروف المجتمع الحديث، وبالتالي يكون المراهق مؤهلاً للدخول فى مرحلة الرشد، ولكن تنقصه هذه الخطوة التى تكمل اتزان الفردى واتزانه الاجتماعى. ولا يعنى هذا بالطبع أن الفرد لى يحقق رشده لابد أن يتزوج، ولكن يعنى أن العضوية الاجتماعية الكاملة فى المجتمع رهن بتكوين الأسرة.

وهكذا يتضح لنا أن المراهق عندما يحقق اتزانه الانفعالى فهو يستطيع أن يتكيف مع المجتمع وهى آخر مظاهر الانتقال من المراهقة إلى الرشد، ويستطيع حينئذ أن يعيش مع نفسه - وبالتالي مع المجتمع - فى وئام.

و الحمد لله قبل ومن بعد

هذا الكتاب

لقد أدركت القيادة السياسية في مصر أهمية مرحلة الطفولة فخصصت عقد التسعينيات عقداً للطفل المصري لتحشد فيه كل الجهود وتسخر كل الإمكانيات بهدف توفير أفضل تشئة لهذا الطفل. وانتعزت الجمعية المصرية لعلم نفس الطفل هذه المناسبة وانفتحت مع دار قباء لنشر سلسلة في الثقافة النفسية حول الطفل المصري ورعاية نموه. وهذا الكتاب انذى بين بديك - قارنى العزيز - يتضمن التغيرات النمائية للطفل منذ الميلاد وحتى سن الثامنة عشرة حسب قانون الطفل المصري، كما يتضمن الكتاب الخطوط العريضة والتوجيهات العملية والتطبيقية التى تكفل حسن رعاية الطفل المصري، ليأخذ مكانه بين أطفال العالم المتقدم.

عبده غريب